المرصد النبوي

تقارير واستقراءات ودراسات

من واقع

القراءة النصية لفقه التحولات

(٢٢ مَقالةً كُتِبَتْ مَا بَيْنَ ذِي الحِجَّةِ ١٤٣١ وذي القَعْدَةِ ١٤٣٥)

بقلم

الداعي إلى الله ورسوله

خادم السلف

أبي بكر العدني ابن علي المشهور

عفا الله عنه

المرصد النبوي

تقارير واستقراءات ودراسات

من واقع

القراءة النصية لفقه التحولات

المرصد النبوي، تقارير واستقراءات ودراسات من واقع القراءة النصية لفقه التحولات

تأليف: أبوبكر بن علي بن أبي بكر المشهور

الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

قياس القطع: ١٥ x ٢١

الرقم المعياري الدولي: ISBN 978-9957-595-06-7

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (٥٤٥٥/ ١١/ ٢٠١٤)

يمكن مراسلة المؤلف على موقعه الشخصي
alhabibabobakr.com



دار المُعين للنشر والتوزيع
Dar AL Mueein Publishing and Distribution

daralmueein
info@daralmueein.com
00962 796 118 792
www.daralmueein.com

تصميم الغلاف : أحمد سقاف السقاف


بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ٥٦ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ٥٧ لَيْسَ
لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ٥٨ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ
٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ٦١ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ
وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ٦٢﴾ [النجم: ٥٦-٦٢].

المطلع النبوي

ويلٌ للعرَبِ مِن شرٍّ قد اقترَب ، مِن فتنةٍ عَمياءَ صمّاءَ بَكماءَ ، ٱلقاعدُ فيها خيرٌ مِن ٱلقائِمِ ، وٱلقائمُ فيها خيرٌ مِن ٱلماشي ، وٱلماشي فيها خيرٌ مِن ٱلسّاعي ، ويلٌ للسّاعي فيها مِن اللهِ يومَ ٱلقيامةِ.

صحيح ابن حبان (٦٧٠٥)

المطلع الأبوي

عن عبدالله بن بشر قال: حدثنا أيوب ٱلسَّخْتِيَاني قال: اجتمع ابنُ مسعود وسعدٌ وابنُ عمر وعَمَّارٌ فذكروا فتنةً تكون ، فقال سعدٌ: أما أنا فأجلس في بيتي ولا أخرج منه ، وقال ابنُ مسعود: أنا على ما قلتَ ، وقال ابنُ عمر: أنا على مثلِ ذلك ، وقال عمَّارٌ: لكنَّني أتوسَّطُها فأَضْرِبَ خَيْشُومَهَا ٱلأَعْظَمَ.

مصنف ابن أبي شيبة (٣٨٤٦٥)

الإهداء

إِلى حَمَلَةِ القَرارِ المُتَداعِي . .

وَإِلَى المُرَشَّحِينَ لِلاِسْتِخْلافِ السِّياسِيِّ . .

وَإِلَى المِلْيُونَاتِ المُحْتَشِدَةِ فِي سَاحَاتِ الوَطَنِ العَرَبِيِّ وَالإِسْلَامِيِّ رَغْبَةً فِي إِنْجَازِ مَشْرُوعِ التَّغْيِيرِ . .

وَإِلَى البَائِسِينَ الحَائِرِينَ مِنْ أُمَّةِ الإِسْلَامِ ، التَّائِهِينَ حُكْماً وَعِلْماً وَغَايَةً وَمَصِيراً . .

وَأَخِيراً . . إِلَى الشَّبَابِ الوَاعِدِ . . القَارِئِينَ فِقْهَ التَّحَوُّلَاتِ بِعَيْنٍ ثَاقِبَةٍ وَاهْتِمَامٍ بَالِغٍ . .

المؤلف

الباعث

مَابَاعِثِي فِي الأَمْرِ غَيْرُ مَاجَرَى — مِنْ فِتْنَةِ التَّحْرِيشِ فِي كُلِّ القُرَى
وَمَا أَصَابَ النَّاسَ مِنْ تَنَافُسٍ — أَفْضَى بِهِمْ نَحْوَ الصِّرَاعِ المُفْتَرَى
مَا بَيْنَ إِفْرَاطٍ مُخِلٍّ هَالِكٍ — أَوْ عِلَّةِ التَّفْرِيطِ سَاءَتْ أَكْثَرَا
وَالحَقُّ أَنَّ الدِّينَ حَلٌّ جَامِعٌ — لَوْ يَفْقَهُوا مَا فِيهِ مِنْ لَمِّ العُرَى
يَالَيْتَ قَوْمِي أَدْرَكُوا مِنْهَاجَهُمْ — مِنْهَاجَ عَدْلٍ قَدْ عَلَا فَوْقَ الذُّرَى
فَانْظُرْ لِهَذَا المَرْصَدِ الوَاعِي إِذَا — مَا شِئْتَ أَنْ تَقْرَا الَّذِي قَدْ سُطِّرَا
مِنْ عَهْدِ خَيْرِ الخَلْقِ طَهَ المُصْطَفَى — حَتَّى زَمَانِ الدَّجْلِ عَهْدِ الإِفْتِرَا
قَوَامُ هَذَا العِلْمِ رُكْنٌ رَابِعٌ — مِنْ جُمْلَةِ الأَرْكَانِ رُكْنًا مُبْهِرَا

المقدّمة

نحمدُ اللهَ الكريم، ذا الفضلِ العظيم، على ما أوضحَ وبيَّن، ونُصلِّي ونُسلِّم على سيدنا محمد صاحب المَنهجِ الأحسَن، والمسلكِ الأمتَن، وعلى آلهِ وصحبهِ ومَن تبعهم بإحسانٍ في قراءةِ التَّحولاتِ والمتغيراتِ بالشاهدِ الأقوى والأضمَن..

وبعد؛ فإنَّ متابعتنا المستديمة لنصوص فقه التحولات ذات العلاقة الشرعية بالحوادث والمتغيرات فتحت لنا أُفُقاً جديداً في رصد الحوادث والوقائع. وهذا الأُفُق الجديد لا علاقة له بالعاطفة الذاتية ولا الانتماء الشخصي، ولا حتى بالمستوى العلمي والشهادة الأكاديمية، وإنما علاقته بعمق القراءة للنصوص النبوية ذات العلاقة بالمراحل ومجرياتها في لاحق الأزمنة.

وبهذه القراءة النصية تبيَّنَ لنا ولكل متأنٍ في قراءته ودراسته أنَّ تفسير الإسلام للأمور المستقبلية في شأن قضايا الحُكم والعِلم قائمٌ على النصوص الاستباقية المجموعة في الركن الرابع من أركان الدين، وهو الركن الخاص بالعلم بعلامات الساعةوما يتفرع عن هذا العلم الشرعي من قراءة نصية للربط بين الديانة والتاريخ..

وقد تابعنا مجريات الحوادث الإنسانية والإسلامية عالمياً ومحلياً وإقليمياً من خلال المَشاهد والمَلاحظ. كما تابعنا ذلك من خلال تطبيقات النصوص وإشاراتها.. وكانت النتيجة الحتمية الوقوف على هذه التسمية المناسِبة:

المرصد النبوي
تقارير واستقراءات ودراسات
من واقع القراءة النصية لفقه التحولات

حيث إنَّ نشطاء المراصد المتنوعة في مرحلتنا المعاصرة قد أوفوا حق النقل المباشر والتغطية المباشرة للوقائع والحوادث ساعةً بساعة وِفق سياسة الجهات التي ينتمون إليها..

وفقه التحولات يُلزِمنا نقل الحوادث والمتغيرات وَفق مطابقة النصوص التي سَبَقَت على لسان مَن لا ينطق عن الهوى ﷺ ، فجاءت العبارات مريرة ومثيرة، وظهرت بعض التعليلات على صورة خطيرة.. ولكنها في أساسها نقلٌ مباشر لحقيقة ما أخبر عنه سيد أهل الباطن والظاهر ﷺ ، وخصوصاً في أُمَّته الإسلامية التي تصاب بداء الاستتباع والغثائية..

فرصدناها في هذه المقالات، وجمعناها لمن يرغب في قراءة فقه التحولات..

وبالله التوفيق.

المؤلف

١٥ ذي الحجة ١٤٣١

المرصد النبوي..
دلالة ووظيفة

بسم الله الرحمن الرحيم

على مدى تاريخنا المعاصر وأقلام المغرضين المتنفِّذين في مواقع الدراسات الحديثة تزيِّف الحقائق من حيث كونها حقائق في ذاتها .. وتُطوِّع القراءة النصيَّة والفَهم الذاتي خدمة للمدرسة الظنية ذات العلاقة المباشرة بقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[النجم:٢٨].

فهذه الأقلام كما هو مُشاهَد وملاحظ تنحى في التعليل والتحليل منحى المدارس السياسية المهيمنة على حياة الشعوب، ومنها المدرسة الاستشراقية رائدة التحليلات المعاصرة ومرجعية غالب البحوث المتداولة ، منذ بدء عهد مرحلة «الأحلاس» المنصوص عليها في علامات الساعة والمعروفة بمرحلة «الاستكبار» والمناوشة والاختراق في فقه التحولات.

وبرغم أن هذه المدرسة التي برزت خلال المرحلة الغثائية- كما سماها مَن لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم – مدرسة قائمة على العقلانية المجرَّدة .. فإنَّ من روَّادها من أنصف ووصف الحقيقة من حيث كانت لا من حيث فَهِمها أو تلقَّاها مِن واقعه السياسي أو الاجتماعي. وهؤلاء المستشرقون المنصِفون مجموعة قليلة في مجموعات كثيرة أخرى ، عَمَّدَتْها القوى السياسية المتنفذة في العالم الحديث لتصبح وجه التناول البحثي عن الإسلام عموماً وعن المدارس التقليدية الأبوية خصوصاً.

والأصل في الخصومة التاريخية هو ضديتهم للإسلام ومُخرجاته، ولأن الاستشراق ـ أو بالمعنى الأدق «المدرسة الاستشراقية» ـ قامت على دراسة شؤون الشرق ودياناته وعقائده، فقد كان من مهماتها تحجيم عِلَّات المدرسة الإسلامية وإضعاف ثوابتها العلمية الشرعية أمام العقلنة والعلمنة. وهكذا

فعلت من بعدها غالب أقلام الباحثين والأكاديميين المرتبطين دراسةً وتخرجاً وشهادةً ووظيفةً بالمدرسة الاستشراقية.

وأدق ما يلزمنا إظهاره وإشهاره في «المرصد النبوي»:« حاجتنا لإعادة العلاقة المباشرة بين البحوث العلمية وأصول القراءة الشرعية في الإسلام »

ولو من وجهة نظر واحدة، دون التورُّط فيما تورط فيه «الظنِّيون» مِن أبناء المسلمين، أو ما تعمَّده المستشرقون من العالم الكافر المسيَّس ، مع اعتبارنا الحذر عند أخذنا الدراسات الظنيَّة للاستفادة من مظاهرها البحثية ولو من باب الاطلاع وقراءة وجهة النظر المعاكسة.

ولن يبلغ الباحثون المسلمون إلى القراءة الصحيحة والتحليل السليم إلا بعد التحرر الكامل من عقدة القلم المسيَّس وهو القلم المأسور بمراحل الاستعمار والاستهتار والاستثمار.. وكلها مراحل غازية للعقل والقلب والأرض والتاريخ بل عملت على نزع ثوابت البناء الإنساني والإيماني إلى نقائض ونواقض وعقلانية التصوُّر والتفكير والاستنتاج.

وهذه من وجهة نظر «المرصد النبوي» مشكلة كبرى تحتاج منا جميعاً تحرير الأجيال المعاصرة من لوثة الإفك والشك، وإعادتهم إلى قاعدة البحث الإيماني في الأديان كلها وليس في دين الإسلام وحده.

فالإشكال العالمي لدى الأمم كلها هو خروج التعليلات الفكرية عن دائرة الغيب إلى دائرة العقل، وهذا بالضرورة يؤدي إلى خروج التعليلات عن دائرة الإسلام إلى دائرة الكُفر. والكُفر في تقريرنا الشرعي: «عقيدة إبليس الرجيم»، وليس عقيدة الآدمية ، ودليلنا على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [الزُّمَر:٧]. فالكافر آدمي مُستغفل ومخدوع بعقيدة مُصنَّعة هي «عقيدة

الظن الإبليسية» الموصوفة في كتاب الله تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾[سبأ:٢٠].

فالتصديق الإبليسي.. أثمر شيوع التفكير الآلي للكُفر لدى العقل الإنساني المتمرِّد عن الدين. والتفكير الآلي هو التفكير الصناعي الناتج عن العقل ذاته منفصلاً عن النصوص الشرعية الملزمة مبدأ التسليم والاستسلام للأوامر.

ولهذا ميَّز القرآن صفة المؤمنين عن هذا الفكر الآلي المصنَّع، ووصَفهم في أول سورة البقرة بقوله: ﴿الم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾[البقرة:١-٥]، وفي سورة يس وَصَفَهم بقوله: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾[يس:١١]. وبهذا التوصيف الشرعي تبيَّن فريق المؤمنين وماهم من عقيدة شرعية سليمة.

وأعقب القرآن الوصف للعقيدة الكافرة في الآيات بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾[البقرة:٦-٧].

إذن فالمسألة التي نحن بصددها مسألة مفصلية هامة من واقع دراستنا النصية للكتاب والسنة، وهي التي نأمل بها أن نوظف البحث في «المرصد النبوي» لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من طوفان التغريب وفساد التعريب.

وأصل الإنقاذ قائم على «التوثيق النَّصِّي» ، وأصل الدلالة في التوثيق النصي «كتاب الله» الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[فُصِّلَت:٤٢]، والأصل الغائي في الدلالة النصية سنة النبي ﷺ

الذي لا ينطق عن الهوى ، وهما أساس القراءة التاريخية، ومحور النقل لثوابت القراءة الشرعية بالربط بين الديانة والتاريخ الإنساني بمراحله الثلاث:

١- **المرحلة الأولى**: مرحلة الرسالة والنبوة - فيما بين مكة والمدينة، وما أفرزته هذه المرحلة من الوحي والسُّنة والمواقف والتحوُّل المعرفي لدى الصحابة والآل، وانتقال الوعي البشري من مفاهيم الجاهلية إلى مفاهيم الإسلام حكماً وعقيدةً ونصوصاً وسلوكاً وتطبيقاً.

٢- **المرحلة الثانية**: مرحلة ما بعد النبوة - بَدءاً بموت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وما نصَّت عليه ثوابت القراءة الشرعية في الكتاب والسُّنة إلى نهاية الحياة الإنسانية بالنفخ في الصور ، وضابطها الشرعي النص الاستباقي، والاجتهاد، والمواقف، وحفظ بيضة الإسلام، وقيام فرضية الجهاد في سبيل الله.

٣- **المرحلة الثالثة**: مرحلة ما قبل البعثة المحمدية - تصاعدياً إلى عهد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وضابطها قراءتها القراءة الاستقرائية للتاريخ بوجهه الأبوي النبوي الشرعي، والأنوي العقلاني الوضعي من القرآن والسنة، إضافة إلى ما استُئنس به من الكتب السماوية الأولى ومن أخبار الأمم الداخلة تحت ضابط الحديث: «**حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»((١)).

وتكاد دراستنا في «المرصد النبوي» تبدأ من هذا التسلسل الشرعي الذي ارتبط عالمياً بنزول الوحي تصاعدياً من عهد نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى عهد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ويتحدد عهد آدم في دراسة مرحلته بنزوله إلى عالم الأرض مباشراً لمسؤولية الخلافة، أما ما قبل ذلك فالدراسة تحمل مفهوماً شرعياً آخر وهو دراسة العالم الأزلي أو التاريخ الأزلي.. وضابطه أيضاً نصوص التكوين الآدمي

(١) رواه البخاري في صحيحه

وما ورد من النصوص عن «آدم وخلقه» منِ مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[البقرة:٣٠]، وما ترتب على هذا الإعلان الرباني من ردّة فعل لدى الشيطان في عالم السوابق – أو عِلم السوابق.. وأنَّ هذا العلم من خصوصيات قراءة التاريخ الأزلي.

ويأتي بعد هذه المرحلة التكوينية الأولى: سجود الملائكة، وإباء إبليس، وظهور عقيدة الكبر والكفر، ومحاورة إبليس للرب في شأن الإنظار والاحتناك.

ثم تليها مرحلة الاحتناك الصعب: وفيها سكنى آدم الجنة، وخلْق حواء، وبدْء مشروع الاستتباع الظني الإبليسي في قصته مع الآدمية: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾[طه:١٢٠]، وما ترتب على هذا الإغواء من المدرسة الظنية الإبليسية التي أبلغت آدم وحواء إلى الأكل من الشجرة.. وما ترتب على ذلك من العري وخصف أوراق الجنة، والخروج بالحسرة والندامة إلى عالم الخلافة في الأرض.

وعود على بدء.. فـ«المرصد النبوي» موقع علمي شرعي للبحث المعرفي القائم على إعادة الاعتبار الغَيبي لأربعة علوم أساسية:

١- **عالَم الأزل:** ويقابله عِلم السوابق والخواتيم ، وهو من خصوصيات الحق سبحانه.

٢- **عالَم الأجل:** ويقابله عِلم القضاء والقدر، مع الأخذ بضابط النصوص وإقامة الأسباب في المزمورات واجتناب المنهيات.

٣- **عالَم الأمد**: ويقابله عِلم عالَم الجزاء من عِلم البرزخ والبعث والنشور.

٤- عالم الأبد ، وهو عالم الخلود في الجنة أو النار ، نسأل الله السلامة منها.

وهذه العلوم في دراستنا النصية قائمة على تحليل الوحدة الموضوعية والشرعية في حديث جبريل المعروف بـ«أم السُّنَّة» وما تفرَّع عنه من الثوابت الأربعة:

الإسلام، الإيمان، الإحسان، العلم بعلامات الساعة.

وهذا العِلم الأخير المسمى بـ«عِلم الساعة» هو محور الدراسة الشرعية للتاريخ المعروف بـ«الربط الشرعي بين الديانة والتاريخ» بمراحله الثلاثة المذكورة آنفا.

- مرحلة الرسالة المحمدية – مرحلة الوحي والعصمة والنبوة
- مرحلة ما بعد الرسالة إلى قيام الساعة – مرحلة العلامات والأشراط
- مرحلة ما قبل البعثة إلى عهد آدم – عهد الخلافة والتكوين

وتنحصر الدراسة في ثلاثة أمور:

١- القراءة للنصوص الأصولية خلال مرحلة التنزيل - كتاباً وسنةً - والتعمُّق في مدلولاتها وثمراتها وقواعدها وضوابطها

٢- القراءة للنصوص الاستباقية.. والنظر في مدلولاتها

٣- القراءة للنصوص الاستقرائية.. والنظر في مدلولاتها

وبهذه المتابعة العلمية الشرعية يتم تحرير القلم وثمراته عن علمانية

الاستشراق، وعلمنة الاسترقاق، وعولمة الاسترزاق. إضافة إلى إعادة الاعتبار للثلاثة الأصول التقليدية:

- **المذهبية الإسلامية** منذ تكوُّن مدارسها
- و**التصوف الإسلامي** وربطه بمرتبة الإحسان
- و**محبة آل البيت** وربطها بالعقيدة

وتحريرها مما أدخلته المدرسة الظنية من التُّهم المسيَّسة والإفراطات والتفريطات المقصودة وغير المقصودة، وفي ذات الوقت تحجيم البحوث في موقعها المناسب من الصلة السندية بالمرحلة الاستعمارية والاستهتارية والاستثمارية.

وسيتحمَّل المرصد النبوي مسؤولية الربط العلمي بين المدارس المتنوعة ذات الارتباطات المتشابهة في شن الحملة الفكرية على المدرسة الأبوية التقليدية وبين المدرسة الأم: المدرسة الظنية الإبليسية، وتحديد مرحلة بروزها في مواقع الحُكم والعِلم والاقتصاد والثقافة والاعلام، ومدى تأثيرها النسبي والسببي في العمليات الحزبية والتيارية والطائفية والطبقية والسلالية والمذهبية المتطرِّفة، ومنشؤها السلبي في المرحلة الغثائية كرافد معارض لـ«الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن».. وتجاوزها المتعمَّد لنصوص فقه علامات الساعة ولعلاقة هذه النصوص بالقراءة النصية الاستباقية عن التحولات المحلية والإقليمية والعالمية.

إن مهمة «المرصد النبوي» مهمة كبيرة وخطيرة، ولكنه مرصد لا يقوم على الظن ولا الحدس ولا المراء والجدل، وإنما يقوم على «الربط بين الديانة والتاريخ» كمعادل شرعي أمام ما تروِّجه المدارس التحريشية عن «تهويد

التاريخ وإعادة صياغته لمصلحة الأبلسة» سواء بتحريف النصوص أو بتطويع المراحل بالقوة والعنف وإشاعة المتناقضات أو الصيد بالماء العَكِر.. ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[البقرة:١٤٨].

وخير ما نختتم به تعريف المرصد النبوي قول النبي ﷺ: «**يرث هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»(١)، وهذا ما نأمله ونرجوه بإذنه تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، وبلفظة «**يحمل**»: البزار في مسنده، والطبراني في مسند الشاميين، وذكره ابن حبان في الثقات.

المراصد ظاهرة المرحلة وتعادلها القراءة الاستباقية للمرصد النبوي

بسم الله الرحمن الرحيم

ونحن نستقبل موسم حج بيت الله الحرام. وهو الركن الخامس من أركان الإسلام .. نجد الأمة الإسلامية دخلت مرحلة من أحرج مراحلها التاريخية حسب ما نص عليه «المرصد النبوي»..

والمرصد النبوي الذي نعتمد تقاريره اليوم إنما جاءت تسميته من واقع الحياة المعاصرة.. حيث أكثر الإعلاميون الإستناد إلى تقارير المراصد الإعلامية وصارت في لغة المرحلة مصادر ثقة في شرح الوقائع الكائنة والحوادث الدامية.. وصار الناقلون للغتها وأخبارها يسمون أيضا في لغة الإعلام الناشطين والنشطاء..

والمرصد النبوي.. مرصدُ من لا ينطقُ عن الهوى ﷺ، بل يُقرر الحوادث ويتناولها استباقياً، وهذا ما يُميزنا نحن أُمَّة البشير عن غيرنا من الأُمم التي يصعب عليها استباق الحدث بالنصوص..

وقد كانت هذه المسألة - «استباق الحوادث» - جزءاً لا يتجزأ من ثقافة المسلمين وخاصة في دراستهم للركن الرابع من أركان الدين .. الركن المعني بالعلامات والأمارات والأشراط.. وهي أيضاً مادة المرصد النبوي الموثوق.. المرصد الذي لا يقف عند مسألة وصف الحوادث ونقلها كما هي عند حدوثها.. بل يستبق الحدث في كل مرحلة.. عَلِم ذلك مَن عَلمه وجَهل ذلك مَن جهله..

والمسلمون اليوم - وقد ارتبطت ثقافتهم بالإعلام أكثر من ارتباطها بحقائق الإسلام - قد تشكلت ولاءاتهم وانتماءاتهم حسب التوجهات المقننة بمراصد الإعلام.. إلا من رحم الله..

والذين رحم الله.. هم أضعف الخلق موقعاً ومكاناً وصوتاً وتأثيراً.. وسبب ذلك طول مراحل التآمر ونجاح وسائط التسييس وقبول الشعوب خطوات الشيطان.

ومهمة المرصد النبوي تذكير المؤمنين من أمة محمد أجمعين بأسباب السلامة في كافة شؤون الحياة حتى يلقى العبد مولاه على غاية من الاحتراز والتمكين .. سالماً باللسان من الذم وسالماً بالأركان من الدم.. غير مشارك في الإثم وغير ساكت عن الجرم.. لا يعين الظالم في ظلمه ولا يعالج الظلم أبشع منه.. وهذا هو عين المشكلة في عصر الغثاء المسيس.

وفي غمرة هذا الغثاء المسيس تحول الجيل الإسلامي من ولاء وبراء شرعي بالنصوص إلى ولاء وبراء وضعي لفقه اللصوص، والشاعر يقول:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حَيَّاً ... ولكن لا حياة لمن تُنادي

ونارٍ لو نفختَ بها أضاءت ... ولكن ضاعَ نفخُك في الرَّمادِ

وغاية ما نحتاجه في غمرة التعصب المقيت والتهور المميت أن نعود مرة أخرى إلى ذات المرصد الموثوق.. «مرصد النبوة» ونقرأ التوجيهات الشرعية التي نضمن بها سلامة الحياة وسلامة الممات..

ومن هذه التوجيهات قوله ﷺ: «**إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوىً متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجابَ كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك ودعك من أمر العوام ، فإن من ورائكم أياماً للعامل فيهن أجر خمسين** ، قالوا: منا أو منهم؟ قال: **منكم**»

وهذا النص وأمثاله يجمع للمؤمن المحتار في محدثات عصرنا أمرين:

الأمر الأول: قراءة المرحلة وما يدور فيها بالنصوص الاستباقية الشرعية ليضمن سلامة التشخيص من جهة ، وليتعرف على خيانة التشخيصات التي تتناولها أجهزة الإعلام ومأجورو الأقلام تحت القواعد المسيسة من جهة أخرى:

القاعدة الأولى : فرِّق تَسُد

القاعدة الثانية : التحريش والمنافسة

القاعدة الثالثة : التوسيد «**إذا وسد الأمر إلى غير أهله**»

القاعدة الرابعة: إضاعة الأمانة «**إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**»

الأمر الثاني : تنفيذ المواقف الشرعية التي يدعو إليها الإسلام عند الرغبة في المشاركة الفعلية مع الناس سلباً وإيجابا ، وفق الحالة المسيسة ، بما يضمن المساهمة المفيدة ، مع عدم المشاركة في المحذور والمحظور، أو بدء المعالجة للموقف الذاتي السليم عند طوفان الشر واستفحال آثاره بين المجتمعات، والتوقف الكلي عن الحركة الاجتماعية العامة ، مع استمرار ما يلزمه شرعا في الحياة الذاتية الخاصة..

هكذا يوجهنا المرصد النبوي عند فشو الاضطرابات وشمول الهرج والمرج في الأمة ..وأما المراصد العقلانية والناشطون الحقوقيون والإعلاميون والأقلاميون والطاغون على القرار والمعارضون لهم وما يترتب على ذلك من معارك وصراعات واحتدامات واعتصامات وغيرها فما هي من وجهة نظر المراصد النبوية إلا نتائج لمقدمات.. ومُعبِّرون عن سير الواقع ومسيرته وفق السياسات الدولية أو الإقليمية أو المحلية، ولا أكثر من ذلك..

فالمقدمات التي صاغها الشيطان للأمة خلال المرحلة الغثائية وقابلها الجمع الأوسع بالهتاف والاستشراف منهم بعلم وإدراك ومنهم بجهل وارتباك أدت بالضرورة إلى ما نرتكس فيه ونعانيه بدءاً من السياسة والاقتصاد .. ومروراً

بالعلم والاعتقاد، ونهاية بالقضايا الثقافية والإعلامية، وهذا لا يعني إدانتنا لكل شيء برز وظهر في المراحل، وإنما لنَميز الخبيث من الطيِّب..

فالطيِّب ما رضيه الله لنا وأوعدنا به من العيش الآمن في الدنيا عند تطبيقه والجنة الكريمة بعد رضاه في الآخرة. والخبيث ما لم يرضه لنا وأوعدنا به من العيش الضنك في الدنيا والعذاب الأليم يوم القيامة.. ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

إن حاجة البقية الباقية من منتسبي الديانة هي: حفظ أنفسهم ومن يقبل النصح من خواصهم من طوفان الهرج الدامي والمرج المتنامي، الحافز بكثير من الشعوب إلى وسائل الكفر التي طالت واستطالت وملكت شغاف الجيل المندفع والرعيل المنتفع، لتَصُب الجميع في الفتنة التي لا منتصر فيها سوى المستثمر.

وإننا نتوجه إلى الله في هذه الأشهر الحرم التي كان الجاهليون في مرحلة الجاهلية الأولى يعظمونها ويلقون أسلحتهم وينظرون في مصالح حياتهم وأسواقهم أن يدل المسلمين في مشارف الجاهلية الثانية أن يتذكروا شرف انتمائهم للدين الإسلامي في قِيَمه الإيمانية، قبل أن يفوت الأوان وتنهار وسائط الأمن والأمان وينتصر على العقل والدين الشيطان، ولا نقول إلا ما وصفه ربنا في كتابه: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٦ - ١٥٧].

المرصدُ النَّبوي
في كَشفِ هَويةِ الرَّبيع العَرَبي

المطلع القرآني:



﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ۝٢٨ ﴾

[إبراهيم: ٢٨]

المطلع النبوي:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**يتقارب الزمان، ويقبض العلم وتظهر الفتن، ويلقى الشح، ويكثر الهرج**» – رواه مسلم في صحيحه

عن أبي سمرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال:قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**يُوشِكُ أَنْ يَمْلَأَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَيْدِيَكُمْ مِنْ الْعَجَمِ ثُمَّ يَكُونُوا أُسْدًا لَا يَفِرُّونَ فَيَقْتُلُونَ مُقَاتِلَتَكُمْ وَيَأْكُلُونَ فَيْئَكُمْ**» – رواه أحمد في مسنده

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**الفتنة الرابعة عمياء مظلمة تمور مور البحر لا يبقى بيت من العرب والعجم إلا ملأته ذلاً وخوفاً، تطيف بالشام وتغشى العراق، وتخبط الجزيرة بيدهاورجلها، وترك فيها الأمة عرك الأديم، ويشتد فيها البلاء حتى ينكر فيها المعروف ويعرف المنكر، لا يستطيع أحد أن يقول مه مه، ولا يرقعونها من ناحية ؛ إلا تفتقت من ناحية يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافرا، ولا ينجوا منها إلا من دعا كدعاء الغريق في البحر، تدوم اثني عشر عاماً.. تنجلي حين تنجلي وقد انحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتتلون عليه حتى يقتل من كل تسعة سبعة**» – رواه نعيم بن حماد في الفتن

رأسُ الحربَة

أحمدُ اللهَ الذي فتحَ أسرارَ المعرفةِ مِن معدنها الأساس، كتاب الله وسُنَّة نبيِّه محمد بن عبد الله خير الناس، صلى عليه الله صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين ما ظهرت حقائق النبوة تبدد الأغلاس، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار، وأسأله سبحانه التوفيق وسلامة السير في وعر الطريق على هدى ورشد وتحقيق إلى يوم الأرماس..

وبعد؛

فالحق سبحانه يقول: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[التوبة:١٢٢]، ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأنفال:٢٥]، ومفهوم الآية قد أشبع المفسرون تناوله في كتب التفسير، وإذا صح لنا تأويل يحمله مدلول الآيات في عصرنا المقلق فإن النفرة من أجل التفقه في أمر الدين واجب، والإنذار للأقوام والجماعات والأحزاب والفئات جزء من مسؤولية البلاغ.. ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾..

وما كان الحذر المشار إليه إلَّا من أمر جلل يصيب الأمة عند جَهلِها بأمرِ التَّفَقُّهِ في الدِّين.. إذ لا حَلَّ ولا علاج بغيره.. و التَّفَقُّهُ في الدِّين يربطنا مباشرة بأركانه الأربعة كما هي مجموعة في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وبرغم أنا أكثرنا من الإشارة إليه وإلى تفصيله ووحدته الموضوعية

والشرعية في أكثر من كتاب ورسالة ومقالة.. إلاّ أن الضرورة الملحة لدى قراءة الواقع المعاصر من خلال الرباعية الشرعية تلزمنا الإفصاح والإيضاح.. وإبداء الأمر ورفع عقيرة الإنذار من خلال ما نعلم ونفهم لكافة الأقوام المعنية بمدلول الآيات السالفة.

فالأقوام المشار إليهم يسبحون اليوم ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠].

وأعتقد يقيناً أن التصديق والالتزام من أقوامنا بما نشير إليه من ضرب المستحيل، إذ لا مجال للتفكير والتأمل والعود إلى فهم النصوص ومدلولاتها حسبما نقرؤها من فقه التحولات ورباعية الأركان، فالأحداث تتلاحق والظروف والأسباب تتسابق، وترسم المواقف والمتغيرات أكثر من رسم النصوص وقراءتها، والأجيال تميل إلى أخذ وتناول الأطباق الجاهزة والوجبات السريعة المُعدَّة في واقع العادات والتقاليد المتوارثة، أو ما صُنِع بعناية إعلامية وتجارية مُسيسة أكثر من ميلها إلى ممارسة فن الطبخ والإعداد وحُسن الاختيار لما هو نافع ومفيد على وجه الحقيقة داخل منازلها ومساكنها وأصول مرجعيتها المعتادة.

وهذا مثال لما نحن بصدده.. فالإنذار والتحذير المشار إله في آيات القرآن لم يُفد كثيراً من أصابتهم الفتنة على عهد صدر الإسلام إلا مَن رَحِم الله، وهُم قِلَّة قليلة لا يتجاوزون الأفراد في مجموعات العدد والأعداد، ثم تكاثروا من بعد وتزايدوا، وبقي الأمر درساً لمن جاء من بعدهم وعِظةً واعتباراً لمن ألقى السمع وهو شهيد، وصار الأمر اليوم معضلة أكثر من كونه ظاهرة مرحلة.

وكونه «معضلة» أمر صحيح من وجهة نظر الموقنين بالله وموعوداته، أما من لا يُلقي للأمر بالاً فلا يدرك غير ما نشأ عليه وتعلمه في مشاتل التدريس والتسييس، وقد أشار الحديث النبوي إلى ذلك فيما أخرجه الترمذي في سُننه عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فانتهى ببصره إلى السماء فقال: «**هذا أوان يختلس العلم من الناس، حتى لا يقدروا منه على شيء**»، فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن؟ فوالله لنقرأنه ولنُقْرِأنه نساءنا وأبناءنا، فقال: «**ثكلتك أمك زياد، إن كنت لأعدّك من فقهاء المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى ماذا يغني عنهم؟**»، قال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت فقلت: وتسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء، لو شئت لحدثتك بأول علم يرفع من الناس: الخشوع، يوشك أن تدخل المسجد الجامع فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً».

وهذا النص النبوي عن التقرير الصحيح للحالة المعاصرة في أمة الإسلام، وخاصة بعد أن تولى أمرها عدوها منذ قرون ونزع عنها أولاً قرار الحكم، ثم نزع بالتدرُّج والسياسة قرار العلم، وهيأ الظرف المناسب لإيجاد مسلمين نفعيين خدماتيين تبقى لهم صلاتهم وعباداتهم وصورة طاعاتهم الظاهرة، مع فقدان الأخلاق النبوية حتى في تطبيقهم شريعة الإسلام فيما بينهم، وتقليص مواقع التربية والدراسة الأبوية التقليدية ذات العلاقة ببناء القيم والعلم الشرعي الذي خصَّنا به من بين الأمم، إضافة إلى المجاهرة بعداوة المدارس الأبوية التقليدية، واختلاف التُّهم والشُّبَه العقدية والاجتماعية لتشويه صورة المذهبية الإسلامية، ومفهوم العلاقة بأهل البيت، والعلاقة بمدرسة الإحسان المعروفة بالزهد والتصوف.

وبقي الصراع في الساحة العربية والإسلامية المعاصرة تربية وتعليماً وثقافةً

وإعلاماً متصاعداً حول النقائض والنواقض برعايةٍ عالميةٍ مُسيَّسة، يصعب على جيل الإعلام معرفة دقائق خطورتها.

وقد بلغت أوجها اليوم إلى منع عقوبة الإساءة إلى النبي محمد ﷺ، واعتبار هذه العقوبة – في «دولة الكويت» مثلاً – مخالفة لحقوق الإنسان، مع وجوب تعديل قانون هذه العقوبة التي قد تصل إلى الإعدام، وإلا فإن منظمة الحقوق الدولية تعتبر العقوبة مخالفة لتشريعات القانون الدولي الموقعة عليه وعلى الالتزام به في دولة الكويت(١).

وستعمل القوى الدولية يوماً بعد يوم على حماية «الإلحاد والفساد» المسمى لدى أعداء الإسلام بـ«الحقوق» حتى تجرد المسلمين من كافة الحدود الشرعية، ثم تجريدهم من الغيرة على القيم والآداب.. وكم قد فعلت وفعل وكلاؤها من المراحل السابقة من ترويض المجتمعات كي تتخلى عن جملة من ثوابت الديانة وقواعد الشريعة، فقد كانت بعض دويلات المنطقة تقيم بعض صور هذه الحدود كقطع يد السارق وجلد شارب الخمر، ورجم الزاني إلا أن الالتزامات الموقعة بين هذه الدويلات والسقوف السياسية الدولية أجبرتها على التخلي بالتدرج البطيء عن هذه المظاهر الشرعية.

وكأني بالإشارة النبوية عن الفتنة الرابعة البكماء العمياء الصماء التي يؤول فيها أمر الأمة إلى الكُفر قد برزت في أكثر من صورة وتدخُّل، على مستوى الحدود الشرعية والحدود الجغرافية.

وكم نحن كمسلمون في حاجة ماسة إلى متابعة المرصد النبوي للضبط

---

(١) خبر أذاعته قناة بي بي سي يوم الأربعاء ٢٦ جماد الأول ١٤٣٣هـ.

والربط الشرعي قبل فوات الأوان، والضبط والربط المشار إلى أهميته هنا لا يعني إصلاح ما فسد أو إعادة سير عجلة التاريخ إلى الوراء.. وإنما محاولة إقناع جيل الآلة وضحايا التحولات بأن المعلومات الشرعية الثابتة عن خير البرية وسيلة تشخيص عملية استباقية تسهم في تحليل أوضاع الأمة، وترسم المعالجة المرجوة من مصادر موثوقة لا علاقة لها بمصالح المتنفذين في العالم ولا بمصالح الوكلاء وعملاء التحولات.. بل بما تكون الطَرَف المحايد الخارج عن دائرة الصراع السياسي المعاصر كلّه.

لقد احتشدت المسميات الإسلامية الجديدة على صفة أحزاب وجماعات وتيارات وكُتل متنوعة الهويات والغايات، كان مبتدأ ظهورها وانتشارها بُعيْد سقوط القرار الإسلامي العالمي للخلافة الإسلامية، وتكاد المجموعات الفكرية والسياسية أن تتفق - رغم تناقضاتها - على ضدية ومحاربة المدارس الإسلامية الشعبية التقليدية في صورها الثلاث:

المذهبية، والعلاقة بآل البيت، وصيغة الارتباط بمدرسة التصوف.

ويعود سبب هذه العداء المُعلَن أو المبطَّن لدى آخرين إلى شمول الحملة المتظافرة من القوى الاستشراقية ذات النصيب الوافر من سياسة الاختراق الفكري وتفكيك أواصر العلاقة بين «مدارس الإسلام التقليدية، ومدارس الإسلام الجديدة»[1] من خلال الدراسات الفكرية المشار إليها في أحاديث

---

(١) وهـذا التعليـل لا يعفي مـدارس التصوف مما حل بهـا وبأتباعها من الإفراط والتفريـط ، فالمعالجـة لهذين الطرفين أمر لابد منـه ولا مناص ، وإنما نحن بصـدد إدانة أسـلوب المعالجة الـذي يحمل صفة العـداء للمنهجية الصوفية وحب آل البيت.

المصطفى ﷺ: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم**» ، وهو التداعي السياسي المرافق لـ«فتنة الأحلاس» فيما عرف بـ«مرحلة الاستكبار» و«مرحلة الاستظهار» المنصوص عليها في علامات الساعة، ثم التداعي العسكري المرافق لـ«فتنة السَّرَّاء».. «مرحلة الاستعمار» المنصوص أيضاً عليها. وكِلا المرحلتيْن عملتا بجهد وشمول تخطيط وتنفيذ على إعادة تركيب العقل المسلم المدان بالنص النبوي ذاته، حيث يشير ﷺ إلى هبوط المستوى الإسلامي لدى الشعوب في تقدير الحالة وتقرير الإحالة[1] بقوله ﷺ: «**أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل..**» وهذا تقرير حالة ومرحلة بعينها يطلق عليها في ثوابت المرصد النبوي «الغثائية».

وتُعرف الغثائية بالنَّص النبوي لا بغيره؛ حيث يشير المصطفى ﷺ إلى ثقافة المرحلة ووسائط تعليمها وتربيتها فيقول: «**يُلقى عليكم الوَهَن**» ، والجملة في لغتها «مبنية للمجهول» بما يشير إلى فاعل غير مرئي ولا مشاهد بعينه ، وإنما البارز والظاهر «نائب الفاعل»، وهُم الوكلاء والعملاء العباقرة السياسيون من قادة الاستشراق والاختراق وذيولهم الإقليمية والعالمية والمحلية.

و«الوهن» المشار إليه في الحديث لا يحتاج إلى طول تفكير في معانيه، وإنما فسَّره النبي ﷺ بقوله: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»، وحب الدنيا وكراهية الموت ثقافة مرحلة وسياسة استتباع مُبرمَج وممنهَج، يبدأ بالتسلُّط العسكري، ثم التسلط الفكري السياسي، ثم التسلط الاجتماعي، ويليه بعد

---

(١) **تقدير الحالة**: ربط الواقع المتحوِّل بالنصوص، و**تقرير الإحالة**: وصف الواقع ومجرياته بعلم الحقيقة الشرعية لا بالظنية العقلية.

ذلك ما تبقى من الوسائط والعوامل القائمة على النقض والقبض، وإشاعة داء الأمم الغازية: «البغضاء والحسد»، أي صفة الصراع المسيَّس بين الأفراد والجماعات والأحزاب والقبائل والأُسَر المتفاوتة في الترتيب الاجتماعي الموروث، ليضعف بذلك الاهتمام بـ«الدين» والتنشئة على ثوابته.. وهذا ما يقرره الحديث الشريف: «**لا أقول حالقة الشعر ولكنها حالقة الدين**»(١).

وقد تأكد بالنص النبوي وقوع ذلك في المراحل المعبَّر عنها بـ«الإصابة بداء الأمم»، وما ترتَّب عليها من الوقوع في «الغثائية».. «**حب الدنيا وكراهية الموت**»، وفي رواية: «**وتنزع المهابة من صدور عدوكم**».

وازدادت هذه الجرأة ممن سماه النبي ﷺ بالعدو ليبسط في لاحق المراحل وسائط الفشل والاحباط في أمة وصفت في القرآن بأنها ﴿**خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾[آل عمران:١١٠] لتصبح ذيلاً وعالة، بعد أن كانت رأساً وقيادة، مما ينتج عنه عودة الصراع والتنافس القبلي والقومي والطائفي والعقدي والطبقي والسياسي فيضرب بعضها ببعض كما أخبر عنها أيضاً رسول الله ﷺ وعن قدر الله فيها بقوله: «**وأن لا أسلط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من أقطارها**» أو قال: «**من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضاً**»(٢).

---

(١) إشارة إلى حديث: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ لاَ أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَفَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكُمْ لَكُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ» - رواه الترمذي في صحيحه وأحمد في مسنده، وغيرهما باختلاف في اللفظ

(٢) رواه مسلم في صحيحه

ويبدو والله أعلم أن هذا الحفظ للأمة مقرون بمراحل الحصانة في مستوى القرار، وقد استمر هذا الحفظ حتى سقوط قرار الخلافة العباسية بالغزو المغولي، ثم تفككت الدولة الواحدة ودخلت مرحلة التمزُّق، ثم عاد القرار الواحد بالمرحلة العثمانية عدة قرون ثم نقض إلى غير رجعة حتى اليوم، وربما كان المعنى من قوله ﷺ: «**إذا ضُيِّعت الأمانة**» وقول السائل: «وكيف إضاعتها؟» والرد عليه بقوله: «**إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله**» إشارة إلى اختراق العدو وتسلطه في هذه المرحلة بنزع القرار وتسيير دفة الأمور على أيدي وكلائه المعبَّر عنهم بالبناء للمجهول نائباً للفاعل المتسلِّط من خلف الكواليس.. فالوكلاء المقتتلون على الملك والحُكم يقتل بعضهم بعضاً ويهلك بعضهم بعضاً بدعم المستثمرين الأعداء..

ولعل في هذا المعنى المشار إليه في الحديث ملحظاً خفيّاً يفسره البناء للمجهول في أكثر من مصطلح حديثي نبوي، فالتوسيد، وضياع الأمانة، وإلقاء الوهن، وما سُمي بـ«الوكالة والعمالة» هنا يُفسر ظاهر سلوك المسلمين في استباحة بعضهم البعض، ولكن الدوافع الأساسية والاستثمار الغائي يكون للمتسبب الراعي سياسة المرحلة وممول عقدة الصراع من خلف الكواليس.. وفي هذا الأمر نذكر مقولة أحد القادة الوكلاء: « نحن لا نُصدِّر الثورات بل نَدعمها.. »، والدعم المشار إليه في المقولة يفسره البناء للمجهول في نص الحديث كما سبق.

وقد شاهدنا في «المشتل اليمني» مثالاً خلال مرحلة الثورة الوطنية، وما تلاها من مراحل الاستقلال والتصحيح المتنوع – كما يسمونه – حتى الانقسام بين اليسار واليمين، ثم انقسام اليسار إلى يسار انتهازي ويسار متطرف، إلى ساعة الحسم الدموي الذي دفعت فيه البلاد ضريبة الدم المساح على مذبح

الصراع الإبليسي الهاتِك لكافة القوى المتنازعة على «إرضاء الإله الوهم»، أو كما يقال عنه: تحقيق السعادة الأسطورية.. «المجتمع الديمقراطي»، الذي أبى الشيطان أن يرضى مرة واحدة بالاعتراف بتحقيقه من شعوبنا المندفعة، بل صار في كل جولة من جولات الاندفاع والانتفاع يطلب المزيد من الدماء، وانتهاك الأعراض، وتشريد الضحايا، وسقوط الكثرة الغالبة في أتون الفقر والعوز والأمراض لهذا الهدف الموهوم والغاية الخرافية.. مرة باسم الاستعمار وما أنجز، ومرة باسم الثورة ضد الاستعمار وما أفرز، ومرة ضد الاستثمار وما أحرز.. وها هي الفوضى الخلَّاقة تدفع بالشعوب في جولة جديدة نحو تحقيق الديمقراطية المعبودة في محراب الإبليس الرجيم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابًا ضِعۡفًا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾ [الأعراف:٣٨].

نعم.. لقد ابتلينا في هذا العصر بعِلَّة التصنيف والإحالة حتى أُضيعت الحقيقة المرجُوَّة والأمانة المجْلوَّة، وما مِن مجتمع مُسلم إلا وهو يعاني من عِلَّة «الأنوية».. ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ في مستوى الحُكم والعِلم أو الرعايا المتكتلة المتحزِّبة ديناً ودولة. وما مِن باحثٍ وكاتبٍ وصحفي معاصر ممن أفرزتهُ سياسةُ التَّمرحُلِ إلا وذهب يُعللُ نفسهُ وغيرهُ بإبطال حُجَّة الحق الدامغ المطروحة على ساحة المناقشة الواعية ، ليرجع طَوْعاً أو كَرهاً إلى الاشتغال بعُقدة المنافسة ضد حملة الأقلام الأبوية التقليدية والنيل من سلوكياتهم. فالعلاج المتَّفق عليه أو تقييم المرحلة شرعياً لا يُقبل من وجهة نظر عالم أو باحث مُنتمٍ للتصوف أو آل البيت.. لماذا؟ لأن البرنامج الغثائي المدعوم قد أسقط الاعتبارات العلمية عن الصوفية والتصوف، وعن كافة المنتمين إلى مدارس آل البيت منذ سقوط داعمها المرحلي ولو كانت تحمل شرف

الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي.. فالبرنامج الغثائي المرحلي قد جعل من فقه المبررات والمغالطة سُدوداً منيعة في عقول الجيل الخدماتي المستغفَل، فإما أن يرُد على مثل هذا التعليل بإثارة الشُّبه والنقائض المألوفة، وإما أن يسرق الفكرة ويعيد توظيفها لمصلحة مدارس الإفراط والتفريط التقليدية، ويضع الحق وأمانته بين هاتين العِلَّتيْن المستشريتين في أُمَّة القرآن والسنة، وهكذا تطول الغربة، ويستمر الاستغفال، ونماذج الاعتلال والاختلال والاحتلال.. وللأسف.

ولكنا وإنَّ عَزَّ المَطلب، وقَلَّ النصير، ورضي الجلّ الأوسع بالدُّونِ، واستتبعوا كل ناعق مَفتون، فإنَّ لنا في الله عِوَض، وفي ثوابه ونيل رحمته ومغفرته غرض، فما ذكرناه أو أشرنا إليه فمن باب «**إظهارِ العِلمِ المكتوم في عَصرِ الإفكِ المَدعوم**».. مستجيبين لقول من لا ينطق عن الهوى ﷺ: «**إذا لعن آخر هذه الأمة أوَّلها فمن كان عنده علم فليظهره**»(١).

وقد أظهرنا ما علمناه، وبَيَّنّا ما عرفناه، تبرئةً للذمة وخدمةً للأمة ، فمن استأنس قلبه للحق كما تبين فقام بأمره فذاك رجاؤنا، ومن استوحش قلبه لما تعين فأشاح بوجهه وقلبه فأمره إلى الله، ويسعه ما يسع عباد الله، وكم في عباد الله من أشباه وأشباه الأشباه.. وما لنا إلَّا أن نقول ما قاله الصابرون:﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٦]..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه البخاري في تاريخه،وابن ماجه في سننه، والطبراني في الأوسط، بروايات مختلفة.

السير ضد التيار موتٌ محقَّقٌ

هذا هو الواقع بين أيدينا وتحت سمعنا وبصرنا يُعبِّر عن نفسه، والجميع منا يمور ويدور في مجرى التيار الجارف المنطلق انطلاقة المعابر الممهدة لسيره في نظام الريّ المبرمَج..

والمرصد النبوي المعبِّر عن منهج الرسالة يربط المسلم بمنطلقات الأمور وبدء كينونتها، وما يفسر هذه المنطلقات من نصوص من لا ينطق عن الهوى ﷺ.

أما المثقفون والمفكرون وعامة الأمة، فيرتبطون عادةً بمجريات الأحداث وأثر حركة الأمواج السائرة في سدود ومعابر المياه الموجَّهة من أقصى منابع الأودية حتى أقصى مصبِّها الأخير..

وهناك فرق بين القراءتين: بين من يقرأ النتائج الكائنة بعد النظر العميق في قراءة المقدِّمات، وبين من يقرأ الحالة الراهنة والصراعات الدائرة من داخل محور المتناقضات وثمرات التكتلات ، فالأصل أن الحالة الراهنة والصراعات الدائرة ثمرة ونتيجه لمقدمات سياسية واجتماعية واقتصادية وتعليمية وتربوية بدأت بنقطة بداية وسارت في طريق التراكم الانحرافي تحت سمع وبصر المهندسين المنفذين مسيرة الانحراف والانجراف.

وإذا كانت «سيول المرحلة الراهنة في بلد ما» تتجمع في سدود وقنوات حديثة أشرف على تصميمها وتنفيذها خبراء ومهندسون عالميون، فكان

من نتائج هذه السيول المتحركة في مسارب وقنوات المشروع جرف التربة الخصبة، وتصحير الأراضي الزراعية الغنية، وتحويل المساحات المخصبة إلى وديان ومسايل عارية التربة والإنبات كما شهدنا ذلك في أوطاننا بُعَيْد مرحلة الاستقلال وتبني الدول الشرقية مشاريع الري والسدود، بحيث تكون الثمرة النهائية بعد ثلاثين عاماً أو أربعين عاماً توقف العمل الزراعي والاستثمار الإنباتي في واسع الأرض المخصبة وارتباط الرعايا والمّلاك وعمال الحقول بعد هذه النكسات بعجلة السوق التجارية العالمية.. ما بين موظف ومهاجر عن وطنه، وباحث عن لقمة عيش في أكناف الأرض القاحلة.. فما هو التقييم العقلاني لهذه المرحلة مقدمات ونتائج .

هذا النتاج الزراعي كمثال، وهو من أهم الأمثلة الفكرية المعبرة عن واقعنا المعاش منذ بداية عهد الاستعمار وتقسيم تَرِكة الرَّجُل المريض.. ويندرج تحت هذا المثال أمثلة أخرى.. فهناك الواقع السياسي، والواقع الاجتماعي، والواقع الاقتصادي المالي، والواقع التعليمي، والواقع التربوي، والواقع الثقافي، والواقع الإعلامي، والواقع الديني.. كل هذه الواقعيات تحتاج إلى بحث وطول نظر في مقدماتها ونتائجها على طول مساحة الوطن العربي والإسلامي.. لنقيم بذلك مهمات ووظائف المرصد النبوي العادل.. مرصد لا ينطق صاحبه عن الهوى ﷺ ، ولا تستفزه الأحداث ولا التحولات، ولا يرتهن بدراسة مستشرق، ولا يرضخ لتعديل خبير ولا أمير ولا وزير: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[فُصِّلَت:٤٢].

ولعل من واجب المرصد النبوي أن يعرض على الجيل المسلم والمتأسلم مقترح الدراسة العلمية النصية لهذه الأمثلة الفكرية ، لتتم دراستها دراسة متحررة عن الشهادات الرسمية وشبه الرسمية، ومتحررة أيضاً عن تعميد

اللجان وتصحيح الاختبار والامتحان، معتمدة في هذا المطلب الشرعي على «الديانة الإسلامية الخاتمة» باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد في رصد المقدمات والنتائج لمراحل البشرية كلها، والشاهد: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[فُصِّلَت:٤٢] في الحياة الإنسانية كلها بمصدريْها الأساسيين: كتاب الله وسُنَّة نبيه محمد ﷺ، ولا غير هذين المصدرين.. شاهد هذا القول كلام الحق سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[آل عمران:٨٥]، فالأمم الشرقية والغربية قديماً وحديثاً ومعها الشعوب الجاهلية والوثنية التي أدانها القرآن والسنة وأطلق عليها مسمى الجاهلية في مثل قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾[المائدة:٥٠] كلها لا تحمل للعالم الإنساني قديماً ولا حديثاً حلّاً ولا بعض حل، وإنما تكرر مأساة الكفر والجاهلية في الشعوب جيلاً بعد جيل، ومرحلة بعد أخرى.. مستجيبة للاحتناك الإبليسي والتسويل النفسي والتأليه للعقل ومدارس الظن الافتراضي: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾﴾.. هذا الظن الذي علمنا القرآن كيفية اتخاذ المواقف الشرعية حياله بقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ وما ذكر الله إلا القرآن وسُنن نبيه محمد ﷺ ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[النجم:٢٩] وأبى العقل الإنساني إلاّ تحكيم الفكر الواقعي المادي المجرَّد، فما حُكم ذلك؟.. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾[النجم:٢٩-٣٠]، ومبلغ الكفر والكافر والملحد والمعاند علم الظن الإبليسي القائم على أصليْن:

١- خطوات الشيطان.

٢- تسويلات نفس الإنسان.

والنص الرباني يحذرنا منذ وضع مقدمات الرسالة من هذين الأصلين بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾[النور:٢١]، ويقول في شأن تسويلات النفس: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾[المائدة:٣٠]، فالتسويلات النفسانية والخطوات الشيطانية أصل المدرسة الأنوية الإبليسية المادية الطبعية الوضعية العقلانية منذ عهد آدم، والعلاج منها قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩﴾[الشمس:٩]، ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ﴾[هود:١١٢]، وظلت معركة الإسلام والجاهلية معركة المصير الأزلي المستمر بين فريقين:

- حزب الله الناجي في الدنيا والآخرة.
- حزب السعير الشيطاني الهالك في الدنيا والآخرة: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٩﴾[المجادلة:١٩].

ولا ثالث لهذيْن الفريقيْن.

فالسلام والنجاة في الدينا والآخرة مرهونة بالديانة الإسلامية منذ التكليف حتى الموت عقيدة وشريعة وقيماً ودينا ودنيا وظاهراً وباطنا.. يتدرج في هذا التكليف الرباني شعوب الأرض ممن يصل إليهم البلاغ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾[المائدة:٤٤] ، فالكافرون من كل وجه من خالفوا منهج الديانة ولم يلتزموا بأوامر الدين ولم يجتنبوا نواهيه: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾[الفرقان:٧٠].

كما أن الندامة والفشل والعذاب في الدنيا والآخرة مرهون بالكفر والجاهلية عقيدة وشريعة وقيماً وظاهراً وباطناً وعادات وتقاليد.. قديماً وحديثاً.

والمعركة بين هاتين المدرستين قائمة على قدم وساق:

١. فمن يدعم ويقوم بأمر المدرسة الربانية: الأنبياء والرسل والوارثون من أهل العلم والأمانة.

٢. ومن يدعم ويقوم بأمر مدرسة الكفر والجاهلية: الشيطان والدَّجَّال ووكلاؤهما في قراريْ الحكم والعلم في الشعوب الإنسانية كافة.

ومع كل مرحلة وزمن تُطوِّر المدارس المتصارعة وسائلها ومسائلها لتعيد صياغة الأمم ومواقفها مرة بعد أخرى وفق الهيكلة المرجوة لدى الفريقين.

والمرصد النبوي يدعو المسلمين بالخصوص إلى عمق النظر في شروط قراءة التاريخ ومكوناته ومقدماته لتبرز لهم بالأدلة القاطعة حالة السلامة فيهم وفي غيرهم، كما تبرز حالة الخيانة والندامة لديهم ولدى الأصول الشرعية الربانية، والتدبر والتأمل في الأصول الوضعية العقلانية الإنسانية.

واليوم لا بد من إرضاخ «المرحلة المعاصرة» لشروط المرصد النبوي، وتمييز منهج الديانة الحق في مسيرة الإنسان المسلم وغير المسلم، وما هي الإجراءات الشرعية حيال ذلك، وتمييز منهج الجاهلية والكفر في مسيرة الإنسان المسلم وغير المسلم، وما هي الإجراءات الشرعية حيال ذلك.

ولا اعتراض على أمر الله ولا قَدَره ومكتوبه، وقد عزا الأمر إليه بقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن

﴿تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾[آل عمران:٢٦].

فالمرصد النبوي لا يشتغل بمسألة من يحكم ومن لا يحكم، وإنما يشتغل بتقرير حالة من حكم وموقعه من العدالة والسلامة أو عكسها، وتقرير حالة المحكومين وموقعهم من العدل والسلامة.

فالعدل والسلامة هدف المرصد النبوي ووظيفة تقاريره، أما المشغولون بالامتلاك والمحافظة على موقعه، أو المشتغلون بنزع القرار وإثارة الشعوب ضد مالكه.. فهم يعيشون أزمة ولا يصنعون حلّاً، ويَمُرُّ الوقتُ تِلو الوقت.. شهوراً وأعواماً والمأزومون على غاية الاندفاع نحو امتلاك القرار ، أو فك ارتباط بينه وبين حامليه وهكذا دواليك.. تجييش واشتباك، ودماء وارتباك، وحروب ومؤامرات وانتهاك، وانصراف الجميع عن مبادئ العدل والسلامة وشرف البناء والتنمية إلى مشروع الشيطان الرجيم.. مشروع المنافسة أو التحريش حول أسباب المشروع ومتناقضات أتباعه وعملائه ووكلائه ومستثمريه.

المرحلة الغثائية تحت المجهر

من مهمات المرصد النبوي إعادة قراءة التاريخ المتمرحل على ضوء الأصليْن الشرعيين العالميين «الكتاب والسنة»، وسنحاول في هذا البحث أن نبدأ القراءة الشرعية عن المرحلة الغثائية المنصوص عليها في أحاديث علامات الساعة باعتبارها معترك الفتنة المستشرية اليوم في الأمة الإسلامية، وباعتبارها أيضاً الوعاء الزمني الموعود في علم فقه التحولات «علم المتغيرات»، وهو العلم الشرعي المقتبس من رباعية أركان الدين الواردة في حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والمعرّف لدى علماء الأصول بـ«أم السُّنة».

وهذه المرحلة المسماة في النص النبوي بـ«الغثائية» تدرس بالنظر المتأني في الأحاديث الاستباقية عن «آخر الزمان» ومطابقة نصوصها بالواقع الجاري والأحوال الكائنة رأي العين، كما كان يفعل ذلك أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عند مطابقتهم للعلاقات بمجريات واقعهم وعصورهم، فعن مطرف بن عبد الله بن الشخّير قال: قلنا للزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يا أبا عبد الله ما جاء بكم؟ ضيّعتم الخليفة حتى قتل ثم جئتم تطالبون بدمه؟ قال الزبير: إنا قرأنها على عهد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر وعمر وعثمان: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾ لم نكن نحسب أنا أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت»(1).

وعن مرة البهزي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في طريق من طرق المدينة فقال: «**كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنها صياصي بقر؟!**» قالوا: نصنع ماذا يا رسول الله؟ قال: «**عليكم هذا وأصحابه**- أو:

---

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح

اتبعوا هذا وأصحابه» قال: فأسرعت حتى عييتُ فأدركت الرجل فقلت: هذا يا رسول الله؟ قال: «**هذا**» فإذا هو عثمان بن عفان [1].

وعلى هذا المنحى يستفاد أن الفتن السياسية ذات العلاقة بالتغير في قرار الحكم والعلم على مدى التاريخ الإسلامي ترضخ للنصوص الاستباقية ذات العلاقة بعلامات الساعة، ولا تفسَّر من خلال مرقومها الاجتماعي والزمني المجرد، كما أنها لا تفسر أسبابها وبواعثها بمواقف الشعوب ومواقف الجماعات والأحزاب وسياسة الكتل ومصالح القوى المتصارعة في المرحلة، فهذا مفصل خطير في القراءة التاريخية للتحولات، وبانعدام القراءة الشرعية تختلط الأوراق وتفسر الأمور تفسيراً عقلانياً مجرّداً كما هو حال الأمم السابقة التي قرأت الأحداث والتحول في قرار الحكم والعلم قراءة عقلانية وأبت الالتزام لأمر الله.. ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾[النحل:١١٢].

وفي هذا المفصل التاريخي الهام أخذنا موضوع «المرحلة الغثائية» ذات العلاقة بالحياة المعاصرة محلياً وإقليمياً وعالمياً كمثال للقراءة الشرعية المرتبطة بالعلم الاستباقي والنصوص النبوية، ليدرك القارئ أهمية الكتاب والسنة في تحديد الحق من الباطل في شأن الحكم من جهة، وشأن العلم من جهة أخرى.. لأن بينهما تلازم أكيد، وترابط تليد.

إن منطلق دراستنا لهذا المرحلة لا يحمل عداءً لرمز ولا جماعة ولا حزب ولا تيار ولا نظام.. حيث قد يفهم مثل ذلك من عناصر المثقفين والمتنفذين

(١) رواه أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك وصححه.

في المرحلة الغثائية، وإنما تحمل الدراسة حلاً استقرائياً ينفعنا جميعاً ويربطنا على وجه الدقة بالموروث الشرعي المُنزل من عند الله، كما يعرِّفنا شرف التميز القرائي الممنوح لنبينا محمد ﷺ عن الماضي والحاضر والمستقبل، وموقع هذه القراءة المتميزة من من ثقافة المسلم ودراسته العلمية خصوصاً في عصر التسابق المعرفي، والاهتمام التثقيفي الداعي إلى عمق النظر في العلوم ومنجزاتها.

وأي مُنجَز أعظم من علم شرعي لا يحمل الكذب ولا يروِّج له؟ يُطل بنا على العالم الإنساني من مبتدئه إلى منتهاه، ويزيدنا ثقافة بالخالق سبحانه الذي ﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾[يونس:٤]، ويجمع لنا في نصوصه بين دراسة عالم الأجل مع عالم الأزل.. لنُفعِّل قوى الإيمان بالله في ما قرره أزلياً، ونتعرف على قدر الله فيما قدَّره أجليّاً، وندرك دورنا المعرفي والتعرفي الاختياري فيما منحنا الله من استعدادات ومواهب نقيم بها - مع نصوص الشريعة - ضابط الاختيار.. ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾[الأنفال:٤٢].

لقد ضمن المرصد النبوي لنا جميعاً سلامة القراءة للمراحل كلها بما فيها «مرحلتنا الغثائية» إذ هي إحدى الأوعية الزمنية المرصودة في نصوص الكتاب والسنة.. سواء من حيث الزمن الرقمي أو السلوك البشري قرباً وبعداً من الله ورسوله ، وما تقرر شرعاً في عالم الأزل، وتنفذ على أيدي المجموعات البشرية والمكلفة وعلى غير المجموعات البشرية في عالم الأجل.

ونخصُّ المرحلة الغثائية هنا بالدراسة النموذجية كونها حصيلة التراكمات التاريخية المتدرجة التي أشرف الشيطان ووكلاؤه على تحقيق المشروع الأنوي فيها خطوة بعد أخرى، ومرحلة بعد مرحلة، بدءًا من نقض قرار الحكم وقرار

العلم، ونهاية بالفتنة العمياء البكماء الصماء التي يؤول فيها أمر الأمة فيها إلى الكفر.. كما عبَّر عن ذلك من لا ينطق عن الهوى ﷺ.

وبهذا يتقرر أن مبتدأ المرحلة الغثائية منذ سقوط قرار الخلافة على عهد عبد الحميد الثاني وتنازله عن سدّة الحكم، وما رافق هذه المرحلة من المؤامرات المتنوعة داخلياً وخارجياً لنقض قرار الحكم الإسلامي الواحد، ونقض وحدة الأرض الإسلامية الواحدة.. تحت المسمى الغثائي الاستعماري المتداول سياسياً بين دول أكلة القصعة «تركة الرجل المريض»، وتمتد هذه المرحلة المقبوضة المنقوضة محلياً وإقليمياً وعالمياً إلى عصرنا المعاش المعروف سياسياً بمرحلة الربيع العربي، وما تمخض عنها من المواقف والتحولات، وهي المرحلة التي نحن بصددها من وجهة نظر شرعية، وقليل من هذه الأمة من يقيّم المراحل شرعيّاً، أو يضع لها المقارنة النصيّة ، لانعدام الغوص العلمي في فقه التحولات وأحاديث العلم بعلامات الساعة.

ويكاد جل الجيل الإسلامي المندفع للتغيير أن يكون مع قادة التغيير الإسلاميين والإعلاميين ، ينطلقون في اندفاعهم المشبوب واكتساحهم من واقع الظلم السياسي القائم على قاعدة الفعل ورد الفعل. والفعل ورد الفعل في أساسه سياسية المستثمر والمستهتر والمستعمر.. محرك عواطف الضحايا، ومحرك أسلحة الحكام الظالمين ومن شايعهم للضرب فيما بينهم والتضحية بهم جميعاً في معارك التبرير والتحرير والتغيير، ومع كل نهاية معركة يبدأ المستثمرون في حَبكِ مؤامرة المستقبل الجديد من داخل عناصر الثورة ، وبمجموعات العمل الضدي وفق الاحتياجات الطبعية للمجموعات وتشكلاتهم الحزبية، أو القبلية، والمناطقية، أو الطائفية، أو غير ذلك من

عوامل المتناقضات والنواقض المدروسة[1].

فالمفاصل العملية المؤثرة في حركة التغيير لا يملكها الأحرار المقاتلون، وإنما يملكها المموِّلون الأشرار القابعون خلف كواليس المراحل.. يشعلون الفتن، أو يستثمرون إخمادها.

وعزتنا نحن المسلمون لا تكمن في مساندة أقماع الفتن ولا في تهيئة ظروف استقرار المستثمرين.. وأما غالب الإسلاميين والمستسلمين والمؤسلمين، فلا يعنيهم مثل هذه العزة التي تشير إليها النصوص، وإنما تعنيهم كلمة «الحرية والديمقراطية وتحقيق مصالح الإنسان وحقوقه» باعتبارها برنامج المرحلة الغثائية بصرف النظر عن المموِّل والمنفِّذ والمستثمِر.

لقد عرفنا النظام الجمهوري في المرحلة الغثائية برنامجاً ثورياً ضد نظام الملكيات الاستبدادية، وبهذا البرنامج تحولت العواصم العربية والإسلامية في غالبها من نظام فردي إلى نظام جمهوري ديمقراطي، وكان في هذا التحول ما كان من زحف جيوش ومنظمات قتال وتخويف شعوب، وهتك أعراض، وقتل أبرياء وغير أبرياء، وإفساد في الأرض بِاسم إصلاحها، وبذل الأموال والثروات في التسليح والتشليح، وإقامة منابر الإعلام في سبيل التوضيح والتصحيح.. حيناً في سبيل التزوير والتقبيح أحياناً أخرى.

وبمرور الزمان على طريق البرمجة الموجهة جاء الربيع العربي كما أطلق عليه صُنَّاعُه ومستثمروه، وبإخراج غريب وعجيب، ومن أعجب ما فيه أن تصبح بعض الأنظمة الجمهورية التي قامت على الديمقراطية والحرية مدعومة

---

(١) **المدروسة**: أي التي تم التخطيط لها بعناية من أعداء الإسلام.

بقرار الإفك العالمي في مرحلة ما هي الهدف الأول للتغيير ومنطلق التفكيك والتغيير.. بينما تصبح بعض الأنظمة الملكية الموصوفة سابقاً بالاستبداد هي الملجأ والمرجع ومصدر التمويل للثورات، وأوراق المبادرات.

والسؤال يقول: من الذي غيَّر المقاييس، وعبث بالأوراق؟ وما هي الجهة المحركة لكلا الفريقين؟ ولصالح من يعمل كل منهما على مدى تاريخنا الاستعماري القريب؟

والإجابة عن هذا السؤال كامنة في خفايا أوراق العلم بعلامات الساعة. أما تقارير الخبراء، وملفات الوزراء، وتعليقات القادة والأمراء، ومجريات الحوادث وفق ما تفرزه المرحلة فـ«فعل وردّ فعل».. شعوب تثور، وأنظمة تتهرأ وتتساقط، والتاريخ شاهد - كما يقولون - وعجلة التغيير لا ترجع إلى الوراء..

والتاريخ في أوراق العلم بعلامات الساعة إما أزلي، وإما أجلي، ولكل تاريخ ضوابط وثوابت، وضابط التاريخ الأزلي الإيمان بالقضاء والقدر وعلم السوابق والخواتيم، وهذا علم لا يعرف إلا بالديانة الإسلامية وحدها.

وضابط التاريخ الجلي عُمق النظر في فقه التحولات وعلم المتغيرات، وهذا علم لا يُعرف إلا بدراسة أركان الدين الأربعة مجتمعة لا متفرقة:

الإسلام - الإيمان - الإحسان - العلم بعلامات الساعة.

ومَن استفزته العبارات وضاق صدره من عمق التعليلات فلن يستطيع الخروج عن دائرة المألوف؛ والمألوف لدينا كان سبباً في الأزمات وطول خراجها، ولا زلنا نعاني وسنظل في المعاناة إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً..

الأخطبوطُ الماسِخُ..

الطرفُ الثالثُ في مَعركةِ التَّغيير

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة.. في واقعنا المعاصر شعوب إسلامية وعربية متناقضة المواقف، ومتنوعة القرار والمذاهب، وحكومات إسلامية وعربية مُسيَّسة تحكمها في قمتها العُليا قرارات الشرعية الدولية، وهناك طرف ثالث يعمل لمصلحة «المجهول»..

والمجهول هدفٌ معلوم لدى الطرف الثالث ووكلائه، ولكنَّهُ غير معلوم لبقية القُوى المتحرِّكة والساكنة، حتى علماء المسلمين وقادة العرب إلا مِن حيثية واحدة. فالهدف المجهول بيِّنٌ ومكشوف لمن نظر في هذه الحيثية وأخذها بقوة.

إنها حيثية «المصدريْن الأساسيين»: القرآن والسُّنة. والمصدران الأساسيان هما اللغة العالمية عبر تاريخنا الإسلامي لقراءة السلبية في شأن القرار والاستقرار، وسلامة الاستمرار. وهما أيضاً يحملان سر الانحراف، وخريطة الاختلاف.. ولكن بقراءة «الركن الرابع من أركان الدين»، وفقهه الشرعي المعروف بـ«فقه التحولات» ولا غير ذلك.. وهذا هو سر غياب المعرفة القطعية لدينا جميعاً بدور «الطرف الثالث».

والطرف الثالث بالنسبة لثقافتنا المرحلية المعاصرة يُسمى في وسائل الإعلام، ولغة الحياة والنظام: «الشرعية الدولية».. «الأمم المتحدة».. «القُوى العالمية».. وأما في فقه التحولات ولغة الركن الرابع من أركان الدين فـ: «أكَلَةِ القَصعة».. و«مِلَّة الكفر».. و«وكلاء الشيطان».. و«الدَّجَّال».

ولكن ما قصَّتنا مع هذا الطرف الثالث ونحن في أساس منهجنا التاريخي نَدين بدين الإسلام، ونعمل على تطبيقه في التعليم ونصوص الدساتير وأيضاً

في حياتنا العامة؟ وكلنا نرى الأمة الإسلامية والعربية قائمة بشعائر دينها وِفق المذاهب والجماعات والفِرَق والمدارس الإسلامية، والمسلمون في تِعْدَادهم السكاني يُمثلون أغلبية واسعة في الإحصاء السكاني على الكرة الأرضية؟؟

وهذا السؤال هو مِفصل الموضوع كُله.

ولو طرحناه على خبراء السياسة والاقتصاد والتاريخ لسمعنا ما هو مألوف ومعروف.. «وكلٌ يُغني على ليلاه».. أما لو طرحناه على فقه التحولات ولغة النبوة التي عبر عنها القرآن بقوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤** ﴾[النجم:٣-٤]، سنجد الإجابة الصحيحة، وستكون الإجابة:

« اربطوا بين قراءة التاريخ ونصوص الديانة.. وتجاوزوا التاريخ المكتوب بلغة السياسة، أو دعوه جانباً واقرؤوه كمثال من أمثلة الانحراف والاستخفاف بالديانة والشعوب»

هل تستطيعون ذلك؟ وهل يعترف أحد منا بأنه في ثقافته ومعلوماته ومسيرة حياته جزء لا يتجزأ من «تركيب المرحلة السياسي»؟؟ ولم أقل: «جزء في ديانته»، فالجميع منا ملتزمون للديانة - أو الغالبية مِنَّا - ولو صُورياً إذا لم يكن عند البعض عين الحقيقة.. فمن يجيب؟

إننا لو تركنا الإجابة لفقه التحولات لكان الأمر أولى وأفضل، ولهذا نعيد العبارة الشرعية التي نُسبت إلى فقه التحولات.. «اربطوا بين قراءة التاريخ ونصوص الديانة»، فنصوص الديانة من فقه التحولات تقول: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بَاعًا بِبَاعٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، وَشِبْرًا بِشِبْرٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ مَعَهُمْ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «**فَمَنْ**

إذاً؟!»[1]، وتقول أيضاً: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكَلَة إلى قصعتها**» قال: قلنا: يا رسول الله.. أومِن قِلَّة بنا يومئذٍ؟ قال: «**أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل.. تُنتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويُجعل في قلوبكم الوَهْن**» قال: قلنا: يا رسول الله.. وما الوهْن؟ قال: «**حُب الدنيا وكراهية الموت**»[2].

والمقصود من هذه النصوص الشرعية أنَّ واقعنا المعاصر منذ امتداد «الأخطبوط الماسخ» وتقسيم تَرِكة الرجُل المريض - كما يُعبَّر عنه في قراءة التاريخ السياسي للعصر الحديث - نعيشُ «مرحلة مؤامرة»، بدأت بالاستعمار وعلمانِيّته، ثم على أيدي المُهجَّنين الاستسلاميين وعَلمَنتهم، وأخيراً بلغَ الجميع إلى العولمة الدولية التي قال عنها مَن لا ينطق عن الهوى ﷺ في فقه التحولات: «**تصيرون فيها إلى الكُفر**»[3].

هذا هو تقرير المرصد النبوي للأحداث الجارية في الأُمَّتيْن الإسلامية والعربية منذ امتداد «الأخطبوط الماسخ».. فهل كذب رسول الله ﷺ، أم كذب المتعاطفون مع «أكَلَةِ القَصعة» ؟؟

ولا شك أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى وحاشاه أن يكذب على الله أو يكذب على أمته، فقد بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة. فهل نظرتم يا أتباع الكتاب والسُّنة في مقولات «المرصد النبوي» وهو يُقرر الحالة الخطيرة للأمَّة بصرف النظر عن مذاهبها ودولها وأعراقها وأرصدتها وتكتُّلاتها وحضاراتها الصورية في الواقع المُصنَّع، والمستقبل المُقنَّع، والنصوص النبوية

---

(١) رواه أحمد في مسنده، والحاكم في المستدرك
(٢) رواه أحمد في مسنده، وأبو داوود في سُننه
(٣) رواه نعيم بن حماد في الفتن

شاهدة على الحال؟ وما علينا نحن المسلمون من تقارير الخبراء، وتعليقات الصحافة، ومقولات النشطاء الحقوقيين والسياسيين، فهي في فقه التحولات: «لغة المرحلة» وليست علاجاً لها، وإنما الذي يعنينا بصفة شرعية مقولات المرصد النبوي. و«المرصد النبوي» - إذا صحَّت العبارة - يمثِّل هذه القراءة النصية قياساً على لغة المرحلة، وسيُبرز لنا مشروع الربط بين قراءة التاريخ والديانة، لأنَّ لغتنا العالمية لكل مرحلة منحصرة في قول الله تعالى وقول النبي ﷺ، حيث قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ٦١﴾[النساء:٥٩-٦١].

إننا أمام قراءة جديدة الابتعاث، عريقة الأصالة، تبدأ ببداية القراءة الشرعية التي قرأها سيد الأمَّة في غار حراء: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ٤﴾[العلق:١-٤]، وتنتهي بانتهاء القراءة النَّصية للمعاني السامية المقروءة على لسانه ﷺ.. ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

فتعالوا بنا نقرأ التاريخ مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بنصوص ديانتنا الشرعية، ونتعمق في هذه العالمية الربانية الحاملة معنى الرحمة للشعوب مجسدةً في رسالة النبي الخاتم، نبي الرحمة المهداة، المنزَّل عليه مِن ربه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةٗ لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء:١٠٧].. صدق الله العظيم..

اللهم يا من وفَّق أهل الخير للخير وأعانهم عليه

وفِّقنا للخير وأعِنَّا عليه..

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم..

ظاهرة التحدِّي العلماني والتعدِّي الظَّلْماني

مِن ثمراتِ «ٱلعولمة»

في مَظهَرِها ٱلمعروف بأمرَيْنِ:

ٱلتكنلوجيا ٱلمعلوماتية وٱلقوىٰ ٱلدولية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَرَدَتْ على العالم العربي والإسلامي ظاهرة «التحدي العلماني والتعدي الظلماني» كإحدى صور الامتداد السلبي لعقيدة الشيطان في العالم، وقد يكون الكثير من المسلمين لا يدركون هذه الأبعاد، ولا يولون لها بالاً، حتى لو كانوا يعانون من آثارها في أبنائهم وبناتهم الذين ارتبطوا بالدراسات المنهجية العلمانية والعلمنية والعولمية المعاصرة من خلال التعليم المعلَّب في المراحل الأساسية، والتعليم المقَولَب في المراحل الثانوية، والتعليم المخصَّب في المراحل العُليا.

ويزيد على هذا التحوُّل والتحلل ما بقي من أساليب التعلُّم الذاتي ووسائل الثقافة والإعلام الممنهج المحلية والإقليمية الهشة، والعالمية المسيَّسة، وخاصة لأولئك الشباب والشابات الذين يُتاح لهم التجوُّل في العالم الغربي والشرقي على صفة الدراسة التكميلية أو الدورات التدريبية أو السياحية الترفيهية، ليرجعوا وقد بعدت الشُّقة بينهم وبين حقائق الديانة الشرعية، وغلبت على عقولهم وقلوبهم نقائضها ونواقضها التي بدأ الاعتراض عليها منذ بدء العلاقة بالتعليم المشار إليه سلفاً.. حيث إنَّ التعليم الشرعي في كثير من بلاد المسلمين لا يتجاوز الاختلاف المذهبي، وتكريس لهجة ولغة التنافس بين معتنقيه، مما أثمر الطائفية لدى قوم، والمتناقضات العقدية والتعبدية لدى آخرين، منذ أن قبضت قوى العلمانية والعلمنة والعولمة على ترسيم حدود وترقيم مناهج الأنظمة المعاصرة.

وقد بدأ هذا العمل الدؤوب منذ أن عرف المجتمع الإنساني شعار «تقسيم تَرِكة الرجل المريض» وما نجح التحدي العلماني في باكورة هجمته على الإسلام إلا بتنفيذ هذا الشعار وحُسن احتواء ثمراته، وهو أصل وأساس المنطلق الظلماني الشيطاني الذي نعاني منه اليوم وقبل اليوم وبعد اليوم.

فالأنظمة العربية والأنظمة الإسلامية المعاصرة منذ تقسيم هذه التَّرِكة المشار إليها بين من سماهم النبي ﷺ «أكَلَة القَصعة» خرجت طوعاً أو كرهاً عن «قرار إسلاميتها المطلقة في الحُكم والعِلم»، وتحوَّلت بإدراك لدى البعض، وبغير إدراك لدى البعض الآخر، إلى مشاتل متنوعة الوسائل والمسائل لإنجاح مشروع العلمانية وِفق سياسة الاستتباع المطاطي المتدرِّج ، ذلك الاستتباع الذي عبَّر عنه من لا ينطق عن الهوى ﷺ بقوله: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بَاعًا بِبَاعٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، وَشِبْرًا بِشِبْرٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ مَعَهُمْ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «**فَمَنْ إِذاً؟!**»[1].

فالاستتباع: انتقال قوة أثر الحُكم والعِلم، وهندسة أجيال الأمة من أهل الإسلام إلى «أهل الاستسلام».. والاستسلام فلسفة سياسية قائمة على أمرين:

١- خنوع ورضا بالهيمنة العالمية وخدمة عملية لإنجاح برامجها العلمية والتربوية والتعلمية والثقافية والاقتصادية والإعلامية والسياحية.. إلخ في المواقع المعاصر.

٢- تطرُّف واندفاع في منطلقات فهم الإسلام وإعادة تأثيره وامتلاكه لقرار الحكم ، بما حقق صفة الاستسلام السياسي لبرامج التطرف الفكري وطرحها لمشروع إبادة وتصفية للمسلمين ضد بعضهم البعض داخل الأُطُر السياسية الاستسلامية؛ بدءًا بالأنظمة والأحزاب المشارِكة في الحُكم، ونهاية بالكُتل والجماعات المعارضة لها على ذات التنافس والتحريش المعبَّرِ عنه في أحاديث من لا ينطق عن الهوى ﷺ بأنه جزء لا يتجزأ من مشروع أكَلَة القَصعة: «فرِّق

(١) رواه أحمد في مسنده، والحاكم في المستدرك

تَسُد».

وهو المقصود في حديث آخَر من مقولة المعلِّم الأعظم ﷺ عن «ضياع الأمانة»: «**إذا وُسِدَّ الأمرُ إلى غيرِ أهْلِهِ**»، وهذا هو المفصل الخطير في تاريخ التحوُّل الشرعي إلى الواقع الوضعي في قراري الحُكم والعِلم.

وقوله: «**سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**» أي: وسائل وأساليب من هيمنوا على القرار، وهم المعنيون بقوله في آخر الحديث: «اليهود والنصارى» ، وقوله: «**بَاعاً بِبَاعٍ ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ ، وَشِبْراً بِشِبْرٍ**» أي: تتفاوتون في إنجاح مشروع العلمانية الكافرة داخل أوطانكم وشعوبكم المغلوبة وِفق سياسة الاستتباع المطَّاطي المتدرِّج. فالاستتباع في مصر ولبنان وسوريا وبلدان عربية وإسلامية ذات كيانات مستقلِّة يختلف تطبيقاً وتحدياً وتعدياً عن بلدان عربية وإسلامية أخرى كاليمن، والحجاز، والخليج، وإيران، وماليزيا، وأندنوسيا، ولكنها في نهاية المطاف تؤدي هدفاً مشتركاً في خدمة المسيخ الدجال وظلمانية الشيطان الوضعية العقلانية.. الفِكر الإنساني المادي المجرد.. «الديمقراطية الحرَّة».

إنَّ الوصول إلى مشروع «الديمقراطية الحرَّة» في الأوطان العربية والإسلامية هو المشروع المنتظَر تنفيذه بالتدرُّج المطاطي، وعلى أيدي القادة والمهندسين العرب والمسلمين المعنيين بقوله ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**». فأسلوب المخاطبة يشير إلى حَمَلة قراري الحُكم والعِلم المسيَّس في العالميْن المنفصليْن.. العالم العربي بقومياته، والعالم الإسلامي بأقاليمه ومجموعاته.

ومفهومنا هنا عن «الوصول إلى مشروع الديمقراطية الحرَّة» لا يقف عند دراستنا لمرحلة «تَركة الرجل المريض وتقسيمها» بل يتدرج أيضاً لدراسة المراحل اللاحقة لها.. كمرحلة العلمنة.. ثم مرحلتنا المعاصرة المعروفة دولياً بـ«العولمة».

فالمراحل الثلاث:

١. العلمانية – مرحلة الاستعمار: وهي مرحلة التقسيم للتركة وبسط الهيمنة.

٢. العلمنة – مرحلة الاستهتار: وتمتاز بترويض العَقل المُسلِم ليتبنى تطبيق المفاهيم العلمانية.. رأسمالية وشيوعية في وطنه ومؤسساته.

٣. العولمة – مرحلة الاستثمار: وفيها يبدأ عمل الشراكات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية والثقافية والإعلامية والتعليمية الخ بين مهندسي الديمقراطية الحرَّة، وعملاء الأنظمة ومؤسساتها الرسمية وشبه الرسمية، وليس أمام هؤلاء غير الالتزام المتدرج بالتنفيذ.

وهذه المراحل الثلاث قد تم تنفيذها حسبما خُطط لها من جهة «العقل الظلماني»، وحسبما تنبأ بوقوعها صاحب العقل النوراني ﷺ. وأما الشعوب فهي في «غفلتها عن الأمر».. إلا من رحم الله، ومن رحمهم الله أجرى عليهم أسباب الحفظ والسلامة على نماذج وأنواع:

- فمنهم من حفظه الله بالعِلم والدراسة الشرعية المُسندة، فحَفِظَ بها أمر الله.
- ومنهم من حفظه الله بالطاعة والعبادة بالالتزام لأمر الله.
- ومنهم من حفظه الله بحُسن الخاتمة والتوبة والأوبة إليه بعد الوقوع في التجاوزات ومعصية الله.

والذي يعنينا هنا من هذا كلّه الإجابة على تساؤل المتسائل:

« لماذا ازداد أثر وتحدي العلمانيين في الوطن العربي والإسلامي، وضعف أثر العلماء المسلمين حتى صار شباب المسلمين ينكرون الخالق ويعلنون عن

إلحادهم وكفرهم جهارًا في بعض مواقع التواصل الاجتماعي؟»

والإجابة على هذا السؤال:

« العود إلى دراسة التاريخ مربوطاً بنصوص الديانة وإسقاط النصوص على مجريات الأحداث التاريخية، ليعرف الباحث والمستبصر شروط التشخيص للعلل، ثم شروط المعالجة بعد دقة التشخيص، ثم انتظار الحلول وبروز آثار العافية»

ومشكلتنا اليوم أننا نشاهد العمليات الثلاث: «التشخيص والمعالجة ومبشِّرات العافية» بأيدي سماسرة الحُكم والعِلم الذين أوكل إليهم الشيطان تنفيذ المشروع الظلماني، ومنهم من يعلم بوظيفته، ومنهم من لا يعلم.

ومِن الذين لا يعلمون قادة ومُتنفِّذون كُثُر، وجدوا أنفسهم فجأة وبغير مقدمات هدفاً مكشوفاً لنيل الشعوب من ذواتهم ومراحل حُكمهم، وتحت سمع وبصر المهندسين الكبار الذين استثمروا وجودهم في مواقع القرار، فذهبوا بين مقتول ومسحول ومستغنىً عنه وطاغية ومخلوع.. وإلخ مِن المسميات الهلامية الإعلامية. ومع هذا وذاك فمشروع «الديمقراطية الحرَّة» يتحقق خطوة بعد أخرى من فوق كراسي القرار وتحت منابر القادة الأحرار، وإلى جانب علماء السلطة الفُجار.. وموقع المشروع المنفذ حياة الشعوب وواقعهم المغلوب وعلامته النصية قوله ﷺ:

١. «**أن تَلِدَ الأمَةُ ربتها – أو: ربَّها**».. ومعناه حصول الخلل المسيَّس في قضايا العِلم والاعتقاد ومتفرعاتهما..

٢. «**وأن ترى الحُفاة العُراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البُنيان**»[1].. ومعناه حصول الخلل المسيَّس في

---

(١) مِن حديث جبريل المعروف بـ«أم السُّنَّة» – رواه ومسلم في صحيحه،

قضايا الحُكم والاقتصاد ومتفرعاتهما..

وصدق رسول الله ﷺ.. فهذان المحوران المعروفان في: «فقه التحولات والعلم بعلامات الساعة» ـ وهما رُكنا الـ«عِلم بعلامات الساعة» ـ يكادان أن يستوعبا مجُمل مهمات العلامات الصغرى والوسطى والكبرى التي اعتنت نصوصها بفقه المتغيرات في حياة الأمة المحمدية وبقية شعوب العالم، وصارت عند عمق القراءة مرتكزاً معرفياً يستند عليه الباحث المستبصر لماضي الحضارات والديانات، وحاضرها ومستقبلها من وجهة النظر الإسلامية الشرعية الاستباقية والاستقرائية.

أما الاستباقية: فآيات وأحاديث العِلم بعلامات الساعة عن مستقبل الزمان، وهي كثيرة ومتنوعة، فالآيات في كتاب الله، والأحاديث في سُنَّة رسول الله ﷺ تجمع بين الصحيح والحَسَن والضعيف.

وأما الاستقرائية: فآيات وأحاديث تتناول قراءة التاريخ والتحولات البشرية تصاعدياً إلى عهد خِلقة آدم وتسويته ونفخ الروح فيه، وما ترتب على ذلك من العِلم الأزلي وعِلم السوابق.

ومما يؤسَف له أنَّ هذا العلم مُعطَّلٌ عن التفعيل والحركة القرائية في أمَّة القرآن والسُّنة لأسباب يعلمها الله تعالى. وأما فيما نعلم – والله أعلم وأحكم – أنَّ إغفال الركن الرابع من أركان الدين عن موقعه الشرعي من رباعية الأركان كان السبب الأول في ضعف القراءة الشرعية عن المتغيرات، بل وكان السبب الثاني في إنزال فقه الثوابت على معالجة المتغيرات مما زاد الطين بلَّة وإخراج المعالجة عن موقعها الشرعي الخاص.

ولهذا الأمر نشير هنا إلى ضرورة إعادة الدراسة الشرعية لفقه حديث «أم

وأصحاب السنن باختلاف في اللفظ

السُّنَّة» حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بأركانه، أو مواضيعه الأربعة مجتمعة لا متفرقة، لينطلق علم «فقه التحولات» من سجنه التاريخي إلى رحب المعالجة للأمور كما يريدها الله، وكما حددها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وليس لنا هنا إلا أن نظهر ما عَلِمناه في هذا الأمر المُحرِج ولا نقول إلا ما قاله الصابرون: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٦].

وقد تحقق على عهود الانسلاخ الثلاث: «العلمانية والعلمنة والعولمة» ما جعلنا مسلمين أقرب إلى غير المسلمين ما عدا ما أبقاه النقض والقبض من قليل العُرى في الشعوب المستغفلة، أما في مستوى القادة ومتنفذي المؤسسات فالأمر قائم على أشدّه، ولا مجال لكشف مفهوم الأمر القائم أكثر مما قلناه حيث قال أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عما سكت عنه: «لو بثثته قطع هذا البلعوم»(١).

ونسأل الله الحفظ والسلامة والموت على حُسن الختام آمين..

---

(١) مقولة أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «حفظتُ من رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعاءَيْنِ: فأما أحدُهما فَبَثَثْتُهُ، وأما الآخَرُ فلو بَثَثْتُهُ قُطِعَ هذا البُلْعومُ» - رواه البخاري في صحيحه

شروط النهضة والاستنهاض..
بين اكتشاف الحقيقة وفساد الافتراض

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ أي نهضة بشرية لا تقوم في عالم الإنسان قطعاً إلا على رؤية ومنهجية علمية، ولن تنجح أمة من أمم الاستخلاف في الأخذ بشروط الخلافة إلا بتطبيق منهجها الذي تسير على هديه وخطاه.

والأمة الإسلامية منذ أن أوكل الله إليها مهمة الاستخلاف الشرعي في الأرض حدد لها دستوراً شرعياً ينقسم إلى قِسمَين:

١. وَحيٌ من عند الله نزل به جبريل.. وهو القرآن

٢. إلهامٌ على قلب النبي محمد ﷺ.. وهو السُّنَّة

وكِلا المصدرين هما أساس المنهج الشرعي للتطبيق المأمول، والبناء الموكول.. ويتفرع عنهما بعد ذلك ما يتفرع من المفاهيم والاستنباطات والتفرعات المفسرة والمبينة لما انبهم أو استعجم من النصوص والثوابت. وهذا هو ما فعله الإسلام عشية نزوله مُنجماً منذ البعثة حتى الوفاة، وتلك هي مرحلة البذر الأول لعوامل «النهضة والاستنهاض».

واليوم والعالم الإنساني قد شهد نهضة علمية حديثة كان قوامها النظري ما عرَّفه الخبراء والمهندسون الماديون بالثورة الصناعية رائدة العصر الحديث، فإن مشروع الحضارة المشار إليها طغى على كل شيء في عالمنا المعاصر، وغزا بِعُجَرِه وبُجَرِه حياتنا الإسلامية وحياة الشعوب المتنوعة في كل باطن وظاهر.

وعلى مدى قرون قليلة.. تحول العالم إلى ببغاوات ناطقة بلُغة التطور المادي النظري والتطبيقي من بداية التعليم الأساسي ونهاية بالتخصصات العُليا، وانعكس ذلك على الديانات ودراساتها وخصوصاً دين الإسلام الخاتم.. ومرتكزات تدريسه وتطبيقه ، حتى صارَ جزءاً لا يتجزَّأ من تركيب المنهج

الغثائي المعاصِر.

فالمسلمون في غالب مراحل دراستهم اليوم إنما يدرسون الدين مصبوغاً بالعقلانية المجردة وخاصة عند تقرير القوانين الطبيعية في العلوم والجغرافيا والكيمياء والفيزياء معتقدين أنها مكسب علمي لا علاقة للدين به، بل ويعتبرون العلم الشرعي مناقضاً للعلوم الطبيعية ومعارضاً أو متعارضاً معها، وصار المعنيون بالنظريات العقلانية يدعون شباب المسلمين إلى التحرر عن خرافات الدين ومفاهيمه الروحية الأسطورية – كما يقولون. ولا زلنا نشهد الأقاويل العلمانية والعلمنية والعولمية تنسف كل يوم وليلة ثوابت العلاقة بين علوم الديانة وعلوم التطوُّر الحضاري.

ولسنا هنا بصدد النفي للجديد ومنجزاته، فالعصر قد تجاوز النفي والاعتراض، ولكنّا بصدد التوضيح، وإعادة التشخيص لعلَّةٍ نخرت جسد الأمة وأفسدت هويتها العالمية، وسخَّرت طاقات المسلمين وجهودهم وعقولهم وقلوبهم إلى خدمة «غايات وهمية» ، بين منافسة لدى القادة والعلماء، وتحريش بين الجماهير والدهماء، أفضَت إلى وقود الفتنة الطائفية لدى قوم، والفتنة الطبقية لدى آخرين، والفتنة الاعتقادية لدى فريق، والفتنة المذهبية لدى فريق آخر، والفتنة السياسية الحزبية لدى مجموعات، والفتنة التيارية الفئوية لدى مجموعات أخرى، والواقع العربي والإسلامي أعظم شاهد على صراع هذه الكتل المتنوعة بدءاً من مستوى قرار الحُكم ومروراً بقرار العِلم، ونهاية بمجموع شؤون الحياة الإنسانية والإسلامية كلها حتى مستوى الأندية وملاعب الكُرَة.

والأمر المأسوف عليه من وجهة نظرنا كون الجميع يبحثون عن عوامل النهضة والتطوُّر، ولكن بقراءة مريبة غريبة لا تمتُّ إلى الدراسة الشرعية النصية بقدر ما ترتبط حِساً ومعنىً بالقراءة الوضعية الطبعية العقلانية.. هذه القراءة

التي صارت اليوم سبباً من أسباب سقوط أُمتنا في طريق المسرب الدجالي الموعود.. والمسرب الدجالي الموعود يحمل في جنباته ومهماته ورقة نهضة علمية، ومشروع تطوُّر تقدُّمي جديد، ولكنه على حساب الهوية الإسلامية وعلى حساب العِزة الإيمانية.. وقد مضى من الزمن التاريخي وقت كثير لصالح هذه المسيرة الانحرافية في أوطاننا المغلوبة وهويتنا المسلوبة، ولا زال من أجيالنا المخدوعة من يكبِّر ويُهلل لهذه المشاريع ويتبناها في مستوى الحُكم والعِلم، لسببٍ مُهم.. وهو كونه في مخرجات فقهه وعلمه جُزءاً لا يتجزأ من برامج الثقافة المرحلية، وعُنصراً من عناصر أبجدياتها المعرفية المتداولة في منابر التربية والتعليم والثقافة والإعلام والاقتصاد والسياسة والفكر منذ بداية مرحلة الاستعمار، ومروراً بمرحلة الاستهتار والاستثمار.. هذه المراحل التي لم ترضخ للدراسة التحليلية النصية من وجهة نظر الإسلام، وإنما رضَخَ الإسلام ومشروعيته لدراسة المستشرقين، وانتقادات الليبراليين والعلمانيين والعلمنيين والعولميين المشار إليهم سلفاً في مقالتنا هذه.

وقد آن الأوان مع بروز علم فقه التحولات المقتبس من بطن العلم بعلامات الساعة أن تُرضَخ المراحل التاريخية كلها أزمنةً وأوعيةً وتخلفاً ونهضةً وديناً ودنيا لهذا العلم الشرعي المسؤول عن القراءة التاريخية، وعن تحديد السلامة في الأمم وسيرها، وعن السلامة في المعتقدات والعبادات والعلاقات والثقافات، وغير ذلك.

فعِلم فقه التحولات فقه لا مجال للرأي فيه ولا للتصورات العقلانية بقدر ما هو علم يضع العقل في موقعه الطبيعي من مستواه الفكري المحدود.. ويُطلِق العَنان لهيبة النَّص الواقعي حالة التنزُّل المرحلي في حياة مَن لا ينطق عن الهوى ﷺ، والنص الاستباقي الذي يُحدد هوية الباطل وامتداده ونورانية الحق واشتداده، والنَّص الاستقرائي الضابط لقراءة التاريخ الإنساني كلّه بشقيْه:

* الأبوي النبوي الشرعي
* الأنوي العقلاني الوضعي

وأصل هذا العلم مأخوذ من حديث أُم السُّنَّة المشتهر بحديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا مجال لقراءة هذا العلم وتفصيلاته إلا بنقطة البدء في دراسة هذا الحديث وموضوعاته الأربعة.. والتركيز الخاص على الموضوع الرابع منه وهو: العلم بعلامات الساعة من هذا الموضوع، والنظر في طرفيه الأساسيين:

- «**أن تلد الأمة ربتها** – أو: **ربها**»
- **وأن ترى الحفاة العراة العالة يتطاولون في البنيان**»

ومعرفة عمق الدلالة من هذين الطرفين اللذين هما رُكنا العلم بعلامات الساعة:

الأول: نقض قرار العِلم والاعتقاد.. ويشير إليه الركن الأول.

الثاني: نقض قرار الحُكم والاقتصاد.. ويشير إليه الركن الثاني.

ويُفهم من دراسة وتحليل نقض قرار العلم والاعتقاد أنَّ الأمة الإسلامية تطرأ عليها في مسيرتها العلمية والاعتقادية جملة من النواقض والنقائض تعرف وتتميز بدراسة مجمل العلامات الصغرى والوسطى جيلاً بعد جيل، حتى يبرز في الأمة انقلاب الأمر في التربية والتعليم والثقافة، بما يجعل المرأة المسلمة التي ارتبطت من خلال الإسلام بالآداب والحشمة وبر الوالدين وحُسن الاعتقاد في الصالحين تَلِد أبناء وبنات يتحولون من سلوك الآباء والأمهات إلى تقاليد الاستتباع لبرامج الثقافات والإعلام والاقتصاد والاعتقاد الغازي مجتمع المسلمين، حتى تكون البنت بعوامل التعليم والثقافة ومراتب الشهادات والوظائف سيدة الموقف، وكذلك الولد مع أبيه وأُسرته وجيله التقليدي، كما هو مشاهَد وملاحظ اليوم في حياة الأمة الإسلامية.. وهذه المشاهدة تقتضي

دراسة الظاهرة المتحدَّث عنها في هذا الحديث الاستباقي، ودراسة عواملها التاريخية والموضوعية، بما يحدد لنا زمن الظاهرة وتعيين مرحلتها.

كما أن دراستنا لمدلول نقض الحُكم والاقتصاد باعتباره الركن الثاني من أركان العلم بعلامات الساعة أنَّ الأمة الإسلامية يطرأ عليها في مسيرة الحُكم ومسيرة الاقتصاد جملة من النواقض والنقائض المجملة في العلامات الصغرى والوسطى جيلاً بعد جيل حتى تظهر دلالة الأمر المشار إليه بحُكم الحفاة العراة العالة وتطاولهم في البنيان كإحدى ظواهر النقض للحُكم الشرعي، وإحدى ظواهر النقض للاقتصاد الإسلامي المزموم بزمام الإسلام.

وقد برزت هذه العلامات جلية وواضحة في تدرُّج مرحلي متتابع منذ بدء مرحلة المُلك العضوض ونهاية بالمرحلة الغثائية، وهي المرحلة التي بدأت بتداعي الأمم الكافرة في ما عُرِفَ بـ: «مرحلة الاستكبار» و«مرحلة الاستظهار» وهي مرحلة الإعداد لتقسيم تَرِكة الرجل المريض والمعبَّر عنها في الحديث: «فتنة الأحلاس»،

- ثم بـ «مرحلة الاستعمار» أو كما سماها الحديث الاستباقي: «فتنة السرَّاء» وهي مرحلة التقسيم لتَرِكة الرجل المريض ومرحلة الشراكة الأولى بين حُكام وشيوخ وقبائل المنطقة العربية ودول الاستعمار بالمعاهدات وكان من ثمراتها الحرب العالمية الأولى والثانية.

- ثم تليها: «مرحلة الاستهتار» وهي مرحلة الحرب الباردة بين الرأسمالية والشيوعية والمعبَّر عنها في نصوص العلامات بـ«فتنة الدهيماء» ، وفيها شهد العالم العربي والإسلامي انقسام الأمة إلى مُعسكرين تبعاً للنظام العالمي المنقسم إلى عالم غربي رأسمالي، وعالم شرقي اشتراكي أغرق المجتمع الإسلامي والعربي بسياسة الصراع

الطبقي والحزبيّ اليمينيّ واليساري المسيَّس وثمراته.

- وتلتها «مرحلة الاستثمار» وهي ما أُطلق عليها مسمَّى «الصحوة» في ابتداء المرحلة المشار إليها بـ«العولمة» ، ومروراً بأحداث الاختراق لبرج التجارة العالمي المعبر عنها في نصوص العلامات بـ«الفتنة الرابعة» العمياء البكماء الصمَّاء التي يؤول أمر الأمة فيها إلى الكُفر. وفيها شهد العالم سياسة النظام العالمي القائم على القطب الواحد وسقوط مرحلة الصراع بين معسكري الغرب والشرق ليدخل العالم العربي والإسلامي مرحلة الامتداد العسكري والسياسي والاقتصادي العالمي تحت مظلة المنظمات الدولية المهيمنة في الشؤون المحلية والإقليمية والعالمية، وما ترتب على امتداد هذه المرحلة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وثقافياً وإعلامياً،

- حتى بدء «مرحلة الاستنفار» التي أُطلق عليها مسمى «الربيع العربي» في الأوطان المجزأة، كما أطلقت عليها قوى الهيمنة الدولية مسمى «الفوضى الخلاقة» ، وهي المرحلة المعبَّر عنها في نصوص العلامات بمرحلة أو فتنة الصيلم أو «الصيلمة». والصيلمة: هي الداهية الكبرى أو العظمى، التي تبرز فيها مجمل وباقي العلامات الوسطى والصغرى على مدى تاريخي طويل يُختتم بالمرحلة السفيانية الأولى ثم مرحلة السفيانية الثانية.. وفيها يشهد العالم العربي والإسلامي الكثير من العلامات الصغرى وما بقي من العلامات الوسطى كما أخبر عنها من لا ينطق عن الهوى ﷺ في الأحاديث الاستباقية.

والجدير بالإشارة هنا أن هذه القراءة النصية لعلم المتغيرات ونصوص فقه التحولات وعلوم الساعة، تنقل الأمة الإسلامية من وصف الأحداث

والمتغيرات وفق سيرها الزمني وتدوينها المرحلي السياسي إلى النظر فيها وتقييمها من خلال سابق العلامات والأشراط والأمارات التي تدل على مفاصل الأمانة وأوعيتها ، وعلى مفاصل الخيانة وأوعيتها ، سواء في عالم المسلمين أنفسهم أو في عالم الكفر والإلحاد والشرك بالله.

كما أن من فوائد هذا العلم الشرعي، دراسة المراحل الإنسانية السابقة للإسلام، ودراسة مسيرات السلامة الشرعية وتمييزها عن مسيرات الخيانة الوضعية، ومعرفة موقع وأثر المخلوق الناري اللعين، مستثمر الانحراف والكفر والخيانات إبليس الرجيم، ومعرفة جنوده ودجاجلته وأعوانه التاريخيين ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾.

ومع هذا وذاك فإن هذه الدراسات النصية لفقه التحولات لا تمت إلى النظرة التشاؤمية، أو القراءة السوداوية للحياة ، بقدر ما أنها تقرر الحالة التشخيصية من وجهة نظر صحيحة لا لبسَ فيها ولا غموض ولا استغفال للعقل ولا تحريف للنقل..

وبها أيضاً نقرأ الوجه الناصع لمراحل التنفسات ومفاصل الشرف والخير في الأمم والشعوب، وما يجمع الله به أشتات البشر في مراحل الحياة الإنسانية من القواسم المشتركة التي يعرف بها الإنسان حق الإنسان، والمسلم حق المسلم وحق غير المسلم، وحقوق الحيوانات والكائنات، وشرف العلاقات بين المخلوق البشري والكون والطبيعة ومواردها وثرواتها وما سخره الله في باطن الأرض وعنان السماء من ماء وكلأ، وأسباب نبات وإنبات ويقينيات كونية، وما تحدى الله به العقل الكافر من الآيات والمعجزات والمكونات، كمثل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الأنبياء:٣٠] وكقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ

ﭐلۡحَقُّ﴾[فُصِّلَت:٥٣].

وبهذا العلم نعترف للعقل الإنساني ما أنجزه في عالم الاختراع والاكتشاف، وأن هذا العلم قاسم إنساني مشترك لا علاقة للكُفر به، كما أنه لا علاقة للإسلام بالتخلف والجهل، وإنما العلاقة في هذا الشأن بالإكباب على شروط المعرفة أو عكسها، فمن أخذ بها نال مبتغاه بجدِّه وطلبه وحُسن نظره، ومن تخلف عنها عجز عن اللحاق بالركب الحضاري وصار تابعاً أو عالة على غيره.

وبهذا العلم نعرف الأسباب التي أدت إلى تأخر المسلمين عن ركب الحضارة كما نعرف سوء استخدام العالم الغربي والشرقي لأهداف الحضارة ومخرجاتها وخاصة في معاملتهم مع المسلمين.

وبهذا العلم نقرأ المفاصل التاريخية المدانة بالنصوص سواء كانت في عصر الإسلام إلى عصرنا أم من عصر الاسلام تصاعدياً إلى عصر آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

وبهذا العلم نقرأ التاريخ النبوي الأبوي الشرعي ونميز به التاريخ الأنوي الطبعي الوضعي، وما يفعله أعداء الإنسانية عموماً من تفسير الحياة تفسيراً مادياً مجرَّداً.. وأن هذا التفسير هو عمل شيطاني موجه يراد به إفساد العقل الإنساني واحتناكه ليكون من حزب السعير.

وبهذا العلم أيضاً نقرأ شروط النهضة والانتهاض الصحيحة التي يقول فيها الخالق سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾ [الأعراف:٩٦].

وأخيراً برباعية الأركان ووحدتها الموضوعية والشرعية يمكن إعادة القراءة للثوابت الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان، مصانةً بعلم المتغيرات وفقه التحولات.. حيث تعالج القضايا العقدية والإيمانية والإحسانية بأركان

الثوابت، وتعالج قضايا التحوُّل والمتغيرات واختراقات العدو الشيطاني ووكلاؤه بالعلم بالعلامات والأشراط ودراسة الفتن المضلَّة ذات العلاقة المباشرة بالانحراف العقدي والانحراف الأخلاقي والانحراف السياسي والاقتصادي والثقافي والتربوي والتعليمي والإعلامي.

إنَّ كل «نهضة واستنهاض» لأي أمة من الأمم تبدأ بنموذج القراءة الواعية للأسباب والمسببات، ونحن أمة جعل الله لنا شروط نهضتنا في أول آية نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [العلق: ١- ٥].

فنسأل الله سبحانه أن يوفقنا لحُسن القراءة كي نوفَّق لحُسن التشخيص المؤدي بالضرورة إلى حُسن المعالجة.. واجتثاث الداء من جذوره.. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

نقطة توضيح

بسم الله الرحمن الرحيم

تتعرض الأمة الإسلامية في مسيرة تاريخها الشرعي إلى هجمتين أساسيتين تدخلان ضمن مسيرة القضاء والقدر في العلم الأزلي والسوابق، لا يمكن الخلاص منهما أو توقيف مسيرتهما، وإنما يمكن التعرف عليهما وتحديد ثغرات الوقوع فيهما بمجريات الأسباب والمسببات المؤدية إلى المحذور من الأمر المقدور.

وقد أخبر عن ذلك ﷺ في حديثه بقوله: «**إنَّ اللهَ زوى لي الأرضَ، فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها. وإنَّ أُمتي سيبلغُ ملكُها ما زُوىَ لي مِنها. وأعطيتُ الكنزيْنِ الأحمرَ والأبيضَ .وإنِّي سألتُ ربِّي لأُمتي أنْ لا يُهلكَها بسنةٍ عامةٍ، وأنْ لا يُسلطَ عليهِمْ عدوًا مِنْ سِوَى أنفسِهِمْ، فيستبيحَ بيضتَهُمْ. وإنَّ ربِّي قال: يا محمدُ.. إنِّي إذا قضيتُ قضاءً فإنهُ لا يردُّ، وإنِّي أعطيتُكَ لأُمتِكَ أنْ لا أُهلكَهُمْ بسنةٍ عامةٍ، وأنْ لا أُسلطَ عليهِمْ عدوًا مِنْ سِوَى أنفسِهِمْ يستبيحُ بيضتَهُمْ ولوْ اجتمعَ عليهِمْ مَنْ بأقطارِها** – أوْ قال: **مِنْ بينَ أقطارِها – حتى يكونَ بعضُهمْ يُهلكُ بعضاً، ويَسبي بعضُهمْ بعضاً**»[1]، وفي رواية بزيادة: «**ألا وإني أخاف على أمتي الأئمة المضِلِّين، وإذا وُضِعَ السيف في أمتي لم يُرفع عنها إلى يوم القيامة**»[2].

وأصل هذا الأمر المشار إليه في هذا الحديث يرجع إلى ثلاثة أمور:

الأول: قضاء وقدر كتبه الله على البشرية وخاصة الأمة المسلمة يحمل حكمة المولى في مسيرة الأجل والحياة.

الثاني: حصول غفلة واستتباع وضعف في المسلمين في تطبيق ما منحهم

(١) رواه مسلم في صحيحه والترمذي في سننه

(٢) رواه أحمد في مسنده، وأبو داوود في سننه، وابن ماجه في سننه

الله من عقيدة وشـريعة ومراتب سـلوك.. مما يؤدي إلـى فتح ثغرات الفتن والشرور.

الثالـث: ظهور الأئمـة المضلِّين الذين يتولون قيـادة الفتن، ويتبنون صرف الشـعوب عن شـرف حقائق الديانـة – بعلم أو بغير علم – إلـى فتن الحُكم والعِلم المؤدية بالضرورة إلى ما حذر منه ﷺ، وإلى ما أوعد به المولى من استتباع الشيطان والهوى والنفس والدنيا.. إلخ. وكل هذه الفتن تنطوي عند الرغبة في معرفة أسبابها ومسـبباتها، والوقاية من مضلاتها، وكشف أحوال أئمتهـا المضلِّيـن ، وفق الحقيقة النصية فيمـا اجتمع من أحاديث النبي ﷺ في فقه المتغيرات أو ما يسمى بالركن الرابع من أركان الدين كافة ما يجري في أمته من المتغيرات والفتن، فيما يعرف بالعلم بعلامات الساعة.

وقد اعتنى العلماء بعلوم العقيدة والشريعة ومراتب السلوك، وقلَّتْ عنايتهم بمواضيع الفتن والتحولات، وانحصر همُّ المؤرخين على تاريخ الاضطرابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي وقعت في تاريخ الإسلام والمسلمين، مشفوعة بتحليل الحوادث والوقائع وأقوال المؤرخين فيها دون ربطها بالنصوص إلا فيما ندر، مما كان سَبباً في إصدار الأحكام الظنية على من قد سبقت من النبي ﷺ حصانتهم وتوثيقهم، أو إشاراته ﷺ إلى سلامة اجتهادهم وصحة مواقفهم.. حيث إن للنصّ أثراً بالغاً في ترجيح المواقف، وتعديل الذوات وصيانة المراحل.

ومِن هنا صار النصّ النبوي الخاص بفقه التحولات والمتغيرات أصلاً من أصول الديانة إثباتاً ونَفياً.. وقراءته بتأنٍ وتدبرٍ وحُسن نظرٍ باعتباره حاوٍ على جُملة من المعاني والأبعاد عاملاً مساعداً على معرفة الحق وأهله من جهة.. ومعرفة الوجهة الشرعية في سقوف الحُكم والعِلم من علامات الأئمة المضلِّين لما سماهم النبي ﷺ في أحاديث الفتن وعلامات الساعة..

من مثل قول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والله ما أدري أنسيَ أصحابي أم تناسوا؟ والله ما ترك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ مَن معه ثلاث مائة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته»[1].

وهذا الحديث يبرز اهتمام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالانحرافات والتحذير منها ومن أوعيتها المفتونة، باعتبار الأمر جزءاً من مهمات الرسالة فيما يجب التحذير منه.. شأنه شأن الإيمان بالقضاء والقدر والتسليم بأمر الله فيما يجريه على عباده.. والضابط الشرعي بين الأمرين قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**اعملوا فكُلٌ مُيسرٌ لما خُلِقَ لَه**»[2].

إنَّ إيمان المؤمن بسرِّ ما أودعه الله في الشيء وضِدِّه، وأن قانون الوجود ومسؤولية التكليف للعقل الإنساني مبنية في نصوص الأديان على إدراك سِر التضاد وما وراءه من حكمة إلهية عظيمة، كفيلٌ لدى العقلاء بإمضاء أمر الله وحسن الالتزام بالمأمورات واجتناب المنهيات، وحُسن التفهُّم لما وراء الفتنة وأربابها من الضرر والانحراف.. وهم بذلك يضمنون مشاركتهم في بناء السلام المأمول في الأرض ويخففون وطأة الشر ووسائل انتشاره وامتداده في الحياة.

وقد اعتقد البعض من العلماء أن موضوع الفتن والعلامات موضوع خاص بالبعض دون البعض الآخر من عموم الناس، ظناً منهم أن أسلوب العرض لمواضيع الإبلاغ عنه أو في مستوى من تناوله وحفظه وعبَّر عنه كحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.. واعتبروا أن هذا الفقه ليس من باب الأحكام العملية التي يجب إبلاغها للجميع، والصحيح في هذا الشأن أن هذا العلم جزء من علوم الديانة سواء في صفة البلاغ عنه أو في نماذج حفظه وتذكاره، فالمعلوم أن رسول الله

(١) رواه أبو داوود في سننه

(٢) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وأصحاب السنن

ﷺ بلَّغ هذا العلم في ملأ من الناس، وعلى أسماع الجميع في منبر المسجد، فقد جاء في حديث أبي زيد الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله: «صلَّى بنا رسولُ الله ﷺ الفجرَ وصعِد المنبرَ فخطبنا حتى حضرتِ الظهرُ، فنزل فصلى، ثم صعِد المَنبرَ، فخطبنا حتى حضرت العصرُ، ثم نزل فصلَّى، ثم صعِد المنبرَ، فخطبَنا حتى غربتِ الشمسُ، فأخبرنا بما كان وبما هو كائنٌ، فأعلمُنا أحفظُنا»[1]، ويتقرر بهذا الحديث عموم الإبلاغ بهذا العلم لا بخصوصيته.

وإنما الخصوصية في هذا العلم جمع أطرافه في يوم واحد من الفجر إلى غروب الشمس، ولهذا قال ابن حجر: «وفي تيسير إيراد ذلك كله في مجلس واحد من خوارق العادة أمر عظيم، ويقرب ذلك مع كون معجزاته لا مِرْية في كثرتها أنه أعطيَ جوامع الكلم..»[2].

ويكاد أن يكون العلم بعلامات الساعة اليوم «نقطة الفصل بين الحق والباطل»، وخاصة أن الخوف والقلق الذي كان يساور العلماء عند إظهار مكنون علمه قد تجاوز الجميع، حيث يجد المحقق والباحث في ثنايا هذا العلم أن غالب العلامات الوسطى والصغرى قد وقعت في حياة الأمة تِباعاً.. ولم يبقَ من العلامات الوسطى سوى القليل الذي لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة، كما أنه لم يبق من العلامات الصغرى إلا العدد الأقل إذا قارنَّا ذلك بما مرَّ من العلامات. أما الذي بقي من العلامات فالعلامات الكبرى.. ومبتدؤها بالإمام المهدي ومرحلته التي تملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت جوراً، وقد عدَّها بعض العلماء آخر العلامات الوسطى، واعتبر المرحلة الدجالية أول العلامات الكبرى - والله أعلم وأحكم.

ولكنا عند طول الاستقراء والمتابعة للنصوص تبيَّن لنا ترجيح البدء في

---

(١) رواه مسلم في صحيحه

(٢) فتح الباري.

العلامات الكبرى بالمرحلة المهدية كونها تحوُّلٌ شامل في قراريْ الحُكم والعِلم وما تفرع عنهما، ومبتدأ تسلسل زمني مترابط يمهِّد بعضه لبعض. فظهور الإمام المهدي وانتصاراته في العالم سبب لظهور الدَّجَّال وخروجه.. وخروج الدَّجَّال وامتداد فتنته سبب في نزول عيسى عليه السلام، ويتم القضاء على الدَّجَّال وأتباعه بتعاون مشترك بين الإمام المهدي وعيسى المسيح عليهما السلام، وينقطع بهذه المرحلة الكُفر والفساد في مواقع القرارين.. موقع قرار الحُكم وموقع قرار العِلم، لتَنْعم الشعوب بأفضل مرحلة جامعة للفضائل والقِيَم والسلام.

ويظل التداخل بين العلامات الكبرى والعلامات الصغرى مستمراً ومتلاحقاً حتى نهاية الكون بالنفخ في الصور، وأهم ما نقرره هنا في مسائل العلامات وخاصة الكبرى أنها علامات تُقرر «المعركة الفاصلة» بين المسلمين والكفر وبين العدل والجور، فلا بد أن يشمل الاختلاف النصّي سرد مواضيعها بما يساعد على تمويه الحقائق وعدم إبرازها جلية، ليظهر الحق المرتقب في حينه المقرر والمقدر في مأمن من التربُّص والأذى.

ومثال ذلك اختلاف العلماء والمذاهب في شخصية الإمام المهدي، وموقع ظهوره. فالاختلاف بين العلماء جارٍ مجراه على وفق ما اجتمع لكل فريق من الأدلة والبراهين النصية، ولكن التحقيق في الأمر يشير إلى أن الاختلاف النصي والاختلاف في تفسيره وتعليله عامل مساعد على اخفاء شخصية الإمام، وبث روح الشك والريبة في الناس حتى لا يتعيَّن الأمر الخطير بوضوح فيكون الإمام تحت «مراقبة العدو المتربِّص».

ومع هذا وذاك فإنَّ العدو المتربِّص هو المعنيّ اليوم وقبل اليوم بملاحقة هذه النصوص وآثارها، ومحاولة كشف ما وراءها من الخفاء والسِّريَّة.. ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

ومثل ذلك قضية الدَّجَّال وظهوره.. فالغالبية من الناس، علماء ودهماء، لا يعتقدون اعتقاداً جازماً أنَّ المرحلة الدَّجالية قد بدأت في الأمة الإسلامية من عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخاصة بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ظلماً وعدواناً، ولا يصدقون أن الواقع السياسي وما تلاه من واقع العلم والثقافة والاقتصاد والتربية والتعليم والاعلام وهَلُمَّ جرا.. في العالميْن العربي والإسلامي مخترق من وجوه كثيرة بسياسية التمهيد التراكمي للدَّجَّال الأعوَر، وإننا اليوم نكاد أن ننفذ سياسة الدَّجَل والدجاجلة من داخل برامجنا التعلمية والثقافية والتربية والإعلامية والاقتصادية «بعلم أو بغير علم».

والمقصود «بعِلم»: أي بارتباط مسيرتنا العلمية بفتنة الدَّجَّال في مواقع القرار.. والمقصود «بغير عِلم»: تنفيذ الشعوب المستغفَلة برامج الدَّجَّال في الخطط الإدارية والاقتصادية والسياسة والتعليم والثقافة والإعلام ملتزمين بقوانين العمل وسياسة المراحل المُعدَّة سَلَفاً وبعناية موجَّهة، وهي ما أطلق عليها نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «مرحلة الاستتباع» في قوله: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بَاعًا بِبَاعٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، وَشِبْرًا بِشِبْرٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ مَعَهُمْ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «**فَمَنْ إِذاً؟!**»(١)، والمقصود المشار إليه بلغة القيَاس المعنوي:

ومَن غير اليهود والنصارى يعملون على دونمة الخلافة الإسلامية لتصبح الأمة الخاتمة تابعة بعد أن كانت متبوعة؟.

ومَن غيرهم يتآمر على ما عرف بتركة الرجل المريض لتعاد المنطقة العربية والإسلامية تحت رحمة أكلة القصعة الشَّرِهين؟.

ومَن غيرهم يستجذب عقول الأجيال المسلمة لتتخلى عن ديانتها الخاتمة

(١) رواه أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك

في قضايا الحكم والعلم، وتنادي بالقضايا السياسية والاجتماعية الغربية والشرقية؟.

ومَن غيرهم يعملون على توسيد الأمر إلى غير أهله في المجتمع الإسلامي والعربي لتضيع بذلك الأمانات الشرعية وتسود الخيانات والقوانين الوضعية؟

ومَن غيرهم يعمدون إلى غرس الكيان اليهودي الصهيوني في الوطن العربي، وافتعال الصراع القومي العرقي والسلالي وتشجيع الحزبية السياسية؟.

ومَن غيرهم سيعمل على ترويج الربا والحرام والشبة الاقتصادية في الأمة الإسلامية القائمة في دينها على الكسب الحلال والمال الحلال.. والإنفاق الحلال؟.

ومَن غيرهم سيدفع ثائرة المنافسة والتحريش التعليمي والتربوي والدعوي السياسي والطائفي والطبقي والاجتماعي في مجتمعات الرحمة والسلام والمحبة والديانة من خلال البرامج الفكرية الغازية، ونقض العلم والحكم، وإفساد علاقة الأمة بالإسلام والإيمان والإحسان من خلال تغير المناهج التعليمة، والتربوية، وإعادة صياغة المواد المنهجية وصياغة وعي المعلم والمربي في المدارس والجامعات من خلال تغيير المناهج التعليمة؟.

ومَن غيرهم سيدعم الصراع القبلي الديني في جزيرة العرب، ويعيد رسم الخرائط والحدود العربية والإسلامية لتتحول الأمة إلى دويلات وسلطنات وإمارات تتصارع على الحدود والموارد الاقتصادية؟.

ومَن غيرهم سيعمل على غزو الوطن العربي والإسلامي المنكوب ليعيد رسم الأوطان بالاستعمار والاستهتار والاستثمار مرة بعد أخرى، وحشد الشعوب المستغفلة ضد بعضها البعض، لهد التركيبات السياسية والاجتماعية والاقتصاية الهشة المصنَّعة للمراحل تلو المراحل؟.

ومَن غيرهم يعمل على الإضرار بالمرأة المسلمة ونقض تركيبات علاقتها الشرعية بأدب الإسلام والتدين، من خلال الحشد الإعلامي والأفلامي والأقلامي لشعارات الحقوق والمساواة، المتخذة ذريعةً للتخلص من القيم والآداب والضوابط الشرعية، كما هو مشاهد وملاحظ في الوطن المغلوب والقرار المسلوب؟.

وكم سنعدد تحت هذا الاستفهام من قضايا أشار إليها المعنى الاستباقي في حديث رسول الله ﷺ..

إننا أمام مشكلة متشعبة الأطراف والأبعاد.. وعلينا كأُمَّة وُصِفَت بالخيرية أن نتحرر - ولو بالقراءة النصية أولاً - من هذه الضغوط الاستعمارية والاستهتارية والاستثمارية يبقى لنا ما نحتاج إليه في قاسم العلم النظري المشترك باعتبار حاجتنا للعلم وتطبيقاته..

كما يجب أن نتحرر من آثار الركام التاريخي السلبي المتخذ صفة الكتلة ضد الكتلة، والمجموعة ضد المجموعة، فما هي إلا من عمل الشيطان الرجيم، ونعيد قراءة المراحل الإسلامية باعتبارها أساس التاريخ المرتبط بالديانة الخاتمة وفق نصوص فقه التحولات المستمد من علم المتغيرات والعلم بعلامات الساعة.

وقد حاولنا في هذا التقرير وتناول قراءة مراحل الإسلام كلها بالعلامات المنصوص عليها في فقه التحولات، ولنا بإذن الله في هذا الجانب بسط مستقبلي يضبط القراءة التاريخية للمراحل وقادتها.. وبالنص الشرعي الاستباقي، وليس بالدعاوي الاعلامية التي يتحدث بها الإعلام أو المُحَرِّفُون الناقضون لعرى الإسلامي.. وحجتنا في ذلك نصوص العلم بعلامات الساعة، وإحياء فقه الركن الرابع من أركان الدين.. وخاصة في مراحل الغثائية الممتدة من سقوط مرحلة الخلافة العثمانية بتنازل السلطان عبد الحميد الثاني إلى ما نحن

نعيشه اليوم من آثار العلمانية والعلمنة والعولمة، وما خلف المصطلحات من سياسة «الشيطان والدَّجَّال والكُفر» المعروف بـ«الثلاثي الوبائي» المدمِّر كافة الشعوب في أمور دينها ودنياها.

إن العلم بعلامات الساعة علم شرعي ضروري يحتاج من علمائنا وباحثينا ومن حملة القرار أن يولوه أهمية بالغة لأنه علمنا الشرعي وضابط علاقتنا بالمراحل والأمم، وهو العلم العدل الذي يفسر مسيرة التاريخ الإنساني والإسلامي على الوجه الشرعي الصحيح: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ﴾[الأنعام:٨٣].

اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه.. وارزقنا العلم اللدني النوراني الذي يصلح به لنا أمر الدنيا والآخرة.. آمين.

يؤول أمر الأمَّة إلى الكُفر..
المسيرة الإجبارية نحو
«جُحرِ الضَّب»

بسم الله الرحمن الرحيم

لسنا هنا ضد الإنسان الكافر، ولسنا ضد العقول الممهدة للكفر، وإنما نحن أمام تقرير شرعي يستمد تحليل الإنسان الكافر من مصدر خالق الإنسان ذاته، وتقرير شرعي يستمد تحليل العقول الممهدة للكفر من القرآن والسُّنة.

فالإنسان الكافر مخلوق موجَّه برسالات سماوية، والعقول الممهدة للكفر عقول مستغفلة ومفتونة، والمرصد النبوي يسهم في تثقيف الشعوب الإسلامية والإنسانية كي تقرأ التاريخ الإنساني والإسلامي المكتوب بلُغة الديانة الشرعية.. لا بِلُغة الشرعية الدولية - كما تسمى، وللشرعية الدولية مجال آخر تضبطه النصوص.

كما يسهم المرصد في قراءة المستقبل بعد قراءة الحاضر بلغة الأحاديث الاستباقية والاستقرائية من منطوقات: ﴿**ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ**﴾[الأعراف:١٥٧] قراءة تحرير العقل الإسلامي أولاً والإنساني ثانياً من صور الاحتناك الابليسي المعادي للجنس البشري بعمومه.

فالإنسان مخلوق مستهدَف ومنصوص على استهدافه.. والشيطان مخلوق مستهدِف ومنصوص استهدافه للبشرية، وسلامة الإنسان مرهونة بسلامة ديانته وأمانته، وفشله مرهون بفشل ديانته وأمانته، وأول الأحزاب خطورة على الآدمية «حزب السعير»، وهو الحزب المنصوص على اسمهِ ووَسمهِ ورَسمهِ في كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيه محمد ﷺ.. حيث ينصّ القرآن على التحذير من دعوى هذا الحزب الناري الخطير في عالم البشرية: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾[فاطر:٦].

ومن معاني «السعير» في مستوى الحياة الإنسانية: مبدأ «المنافسة والتحريش»،

وهما وسيلتان من وسائل التسعير في الواقع الإنساني والإسلامي لإخراج الإنسان من طور هدوئه وسلامته المرجوَّة، إلى الصراع الضِّدي الهالك المؤدِّي بكِلا الطرفيْن إلى جهنم وبئس المصير.

والكُفر في أخطر معانيه: الكُفر بالخالق والديانة.. مشروع الإبليس المتكبر ساعة إعلان كفره بين يدي ربه، قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾[البقرة: ٣٤].

والكُفر في أبسط معانيه: الكُفر بالنعم وجحود فضل الله على الإنسان بترك المأمورات والوقوع في المنهيات على صفة التحدي والتعدي المؤدي إلى الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله.

١. النموذج الأول: أصاب الشعوب الكافرة بالله

٢. النوذج الثاني: أصاب بعض الشعوب المسلمة

وبكلا النموذجين امتلك الشيطان التأثير على العقل والقلب والجوارح في الإنسان منذ عهد الآدمية الأولى، وهذا عين مفصل الدراسة الشرعية بدءًا بمرحلة قابيل الذي آل أمره ومصيره إلى الكفر، ونهاية بمرحلة الجاهلية الأخيرة التي يؤول فيها أمر الأُمَّة إلى الكُفر.

والمآل في الجاهلية الأخيرة إلى الكُفر ينقسم **إلى قسمين**:

١- **قسم** بفعل الاستتباع الطبعي، ضمن العلاقات الاجتماعية والفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية المتبادلة بين الأنظمة، بما يؤثر سلباً على الولاء للديانة والالتزام بالشريعة الغرَّاء جيلاً بعد آخر.

٢- وقسم برسم الكافر وأعوانه سياسة المصير المفروض بالحروب والمؤامرات، وسياسة الهيمنة على مقدرات الشعوب.. بحيث لا يملك

المسلمون في الحرب والسلم القدرة على الفصل واتخاذ القرار المشترك، وإنما يتبعون وينفذون ما تمليه عليهم قوى العالم المحركة مصير الشعوب ومنظماتها الدولية وأنظمتها السياسية والإدارية، ودراسة المسافة بين هاتين المرحلتين قائم على **عِلْمَين أساسيين**:

الأول: دراسة محتوى الكتب السماوية السابقة من مصادرها الصحيحة إن وجدت.

الثاني: عرض كافة الاستنتاجات على نصوص القرآن والسنة باعتبارها الرسالة الخاتمة، وباعتبارها قاعدة الهدي الرباني للشعوب.

ويستجدّ بهذه الدراسة ما يلي:

- إدانة الكفر ووكلائه في العالم الإنساني، وأن الكافرين قرؤوا وطبقوا منهجاً لا علاقة للبشرية به، وإنما هو منهج الشيطان المحتنِك، بدءًا من قابيل ابن آدم مؤسس المنهج الكفري الإبليسي في العالم الإنساني، ومروراً بالأمم التي كفرت بالرسالات السماوية رغم قيام الحجة عليهم بالوحي والنبوة.. إلى اليوم وما بعد اليوم.
- سلامة المنهج الإيماني الذي سار عليه الأنبياء والرسل وأتباعهم من كافة الأمم، وخاتمتهم أمة محمد ﷺ بما أنزل عليها من الوحي والنبوة بواسطة نبيها المعصوم، وخلفائه الراشدين المهديين القائمين على مدى التاريخ الإسلامي بمنهجَيْ « العدالة والإسناد » إلى اليوم وما بعد اليوم.
- أخذ الحذر والحيطة من كل الوجوه أمام «سياسة الدَّجَل» و«الأئمة المضِلّين» الذين نبَّه النبي ﷺ عن خطورتهم في داخل الخيمة الإسلامية ذاتها، وأن دورهم الثقافي الهالك يعمل على ربط الأمَّة بالكُفر والكافرين، ويحوِّل الديانة إلى عجينة طيِّعة لخدمة مصالح الثلاثي الوبائي: «الشيطان

- الكُفر - الدَّجَّال».

ولعل هذه المسألة هي أهم محاورنا البحثية فيما عرفناه بفقه التحولات، لأنها مادة المرحلة ومعترك المعاصرة مع موعودات من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم، وعليه تدور دائرة المعاني المشار إليها في عنوان المقالة: «يؤول أمر الأمة إلى الكُفر».

و «الأمر» هنا ينقسم إلى قسمين:

١. **قسم ثوابت وأصول**.. ولا مجال للكفر أن يخترقه بمعنى من المعاني إلا في تعطيل وظائفه، واجتذاب رموزه ووجهائه ليعيدوا صياغة القرارات والقوانين بما يناسب «وجهة نظر الكُفر وأهدافه».

٢. **قسم متغيرات**.. وهي المقومات الأساسية لإنجاح سياسة النقض والقبض وضياع الأمانة والتوسيد والوهن والتداعي والاستتباع والمنافسة والتحريش التي بها ومن خلالها يوسَّد الأمر إلى غير أهله.

ويمكن تعريف هذا القسم بأنه «عين المؤامرة» التي ابتدأت سياسياً بـ«الخلافة المدونمة»، وما تلاها في مرحلة الأحلاس والسرَّاء، مرحلة تقسيم تركة الرجل المريض، وما ترتب عليها من إعادة ترتيب السقوف السياسية عالميةً وإقليميةً ومحليةً، وخاصة بعد ثمرات الحربين العالميتين الأولى والثانية.

وهذه مسألة عميقة الغور لا يدركها إلا خبراء الديانة الشرعية، أو خبراء الخيانة الوضعية، لأنها عين المواجهة بين مسيرة أمر الله في الكون وبين خطوات الشيطان وسياسة وكلائه مُتنفِّذين ومُنفِّذين.

ولعل اهتمامنا بها هنا غريب كل الغرابة لدى علماء وباحثي الأمة الإسلامية.. لأنها من وجهة نظرهم لا توجد في مؤلفات واجتهادات وتناولات السابقين من حملة الأمانة الشرعية، ولكن الغرابة تضمحل وتتلاشى إذا ارتبط العقل

المسلم بنصوص فقه التحولات وأحاديث العلم بعلامات الساعة باعتبارها المستند الشرعي لدراسة «المتغيرات».

والمتغيرات في مجملها «وثيقة الديانة الشرعية» فيما يتعلق بالانحرافات المتنوعة في سياستيْ قرار الحُكم وقرار العِلم من عهد الرسالة إلى عهد الحثالة، وضابطها اليقيني «علوم فقه التحولات الخمسة» المتفرعة عن دراسة العلامات الوسطى والصغرى والكبرى[1]. وبهذه الدراسة الهيكلية تفهم الإشارة من قول من لا ينطق عن الهوى ﷺ عن أمَّته: «**تصيرون فيها إلى الكُفر**»[2].

وكفى أن أختم مقالتي بشاهد مرحليّ مكشوف لا يحتاج إلى دليل ولا برهان طغا في مظهره وجوهره على كافة مواقع المعرفة والثقافة والديانة وحملة الأمانة في الواقع الغثائي المعاصر.. إنها مسألة «الديمقراطية» تعريفاً وتوصيفاً، ونظريةً وتطبيقاً.

فالجميع في مستوى الإعلان والإعلام.. ومن خلال أساليب الانتخاب واختيار القادة والحكام، يجمعون على تطبيق سياسة الديمقراطية دون تحفظ ولا حذر. وقِس على هذا الأمر ما يليه من سياسة الاقتصاد والمال ومطالب رجال الأعمال، ومنه إلى التعليم أو بالأصح «التعليب» للأجيال، ومنه إلى الثقافة والرياضة، ومفاهيمها المتشعبة، ومنها إلى قضية المرأة والحقوق والمساواة.. وهَلُمَّ جَرا..

ولا أجد فيما أعلم تفسيراً أصدق في توصيف الواقع العربي والإسلامي

---

(١) راجع كتاب «الإقليد في فتح أبواب العلوم الخمسة المرتبطة بفقه التحولات التليد» للمؤلف.

(٢) رواه نعيم بن حماد في الفتن

المعاصر من قوله ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بَاعًا بِبَاعٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، وَشِبْرًا بِشِبْرٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ مَعَهُمْ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «**فَمَنْ إِذاً؟!**»[1].

وعلى هذا التقرير الشرعي من المرصد النبوي نعتقد أن حاجة الأمة الإسلامية إلى محو أميتها السياسية وتثبيت قاعدتها الشرعية الأساسية حول علم المتغيرات «فرض من فروض العين لا الكفاية».. هذا إن بقي من الوقت لتدارك الأمر وإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وإلا فإن النبي الكريم والصادق المصدوق ذي القلب السليم ﷺ قد قال: «**ليأتينَّ على الناسِ زمان يُكذَّب فيه الصادق، ويُصدَّق فيه الكاذب، ويخوَّن فيه الأمين، يُؤتمن الخؤون، ويشهد المرء ولم يُستشهد، ويَحلف ولم يُستحلَف، ويكون أسعد الناس بالدنيا لُكع ابن لُكع لا يؤمن بالله ورسوله**»[2].

---

(١) رواه أحمد في مسنده، والحاكم في المستدرك

(٢) رواه الطبراني في الأوسط والكبير

المفصل الأخير

أما وقد فرغنا من تقرير المرصد النبوي عن المرحلة.. فلا بد لنا أن نتعرَّف أيضاً على موقع المواقف التي نص عليها رسول الله ﷺ في سُننه لكيفية التعامل مع مثل هذه المراحل الجائرة، وهل يكفي أن ندين المرحلة ونصفها بما وصفت به في الحديث: «**تصيرون فيها إلى الكُفر**»[1]؟ أم أن هناك أيضاً نصوص تبين السلامة والأمان والضمان ولو نسبياً في هذه التحولات والتغيرات؟

والجواب.. أن هناك إيضاحات شرعية تساعد الراغب في السلامة كي يحسن المعاملة مع المرحلة ومخرجاتها، ولكنها قائمة أيضاً على قراءة فقه التحولات وعلومه، وليست قائمة على الاستنتاج العقلاني، أو التصور النفساني، بل ليست ثمرة من ثمرات «التأقلم مع الواقع» ولا «ربط الواقع بالظروف السياسية والفكرية المسيسة».

فالأسلوب الشرعي مع التمرحل والتحول فقه منصوص عليه، يمكن لمعرفة تفاصيله العود إلى موقف المسلم من الفتن ومُضِلَّاتـها، وقد بسطنا من هذا الفقه فصولاً هامة في جملة من الرسائل والمؤلفات، كـ«النبذة الصغرى»، و«دوائر الإعادة»، و«التليد والطارف»، و«الأسس والنطلقات».. هذا لمن رغب معرفة الأمر من هذه الناحية، أما من رغب الأخذ في أصول المعرفة الشرعية فالكتب العلمية في هذا الباب كتب متعددة.. بصرف النظر عن ملاحظاتنا على أسلوبها أو تقريرها المعرفي المتداول بعيداً عن الركنية الرابعة ومدلولات فقه التحولات وعلومه، ولكنها تحمل أصل المادة الشرعية للعلم كله.

---

(١) رواه نعيم بن حماد في الفتن

وقد أبقى لنا نبينا ﷺ رصيداً كافياً في سُنَّته المباركة من الأساليب الشرعية مع كافة المراحل، ومنها «مرحلة الغُربة الأولى».. عندما وصفها بقوله: «**بدأ الدين غريباً..**»، ومن ثم إشارة إلى نهاية الزمان وما يكون فيه.. «**وسيعود غريباً**»، وفتح باب المعاملة الخاصة لمن عاش «مرحلة الغربة الثانية».. «**فطوبى للغرباء الذين يحيون ما أمات الناس**»[(١)].

والذي يميته الناس «فقه المعاملة في الفتن ومضلاتها من واقع الشريعة المطهرة»، حيث تنقطع العلاقة بهذا العلم في مراتب الطلب المتدرج من المدرسة الحديثة، وما تفرع عنها.. فينشأ الجيل الأمي الذي لا يعرف أسلوب المعاملات في مراحل التحول ومُضِلَّات الفتن، فيستخلص لنفسه ولمرحلته فقهاً إرهابياً، أو فقهاً استسلامياً، أو فقهاً إعلامياً، أو فقهاً علمانياً، أو علمنياً، أو عولمياً، أو توليفياً يستجيب للتوليفات الحزبية الفئوية التي تجمع في إطار المجتمع المتناقض أكثر من اتجاه وتيار ورؤية.

وربما أعادنا هذا الأمر من جديد لمسمَّى يتناسب مع هذه التكتلات المسيَّسة في المرحلة ـ وهي الهدف المطروح من جهة «الشيطان ووكلائه» ـ: الديمقراطية..

ولكن ما هو الهدف المطروح من جهة «الرحمٰن وعباده الصالحين» وهو له في الواقع أرضية ثابتة كما هو لبقية التيارات والجماعات والجمعيات والرؤى الرائدة في المرحلة؟

وإذا ما طرح هذا السؤال على فقهاء المرحلة وساستها وعباقرتها.. ماذا سيكون الجواب؟. هل سيفتحون النصوص لمعرفة الأمر من مصادره؟. أم هل سيفتحون فقه المبررات والمغالطة ليملكوا زمام الأمر وتسييسه؟.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، والترمذي في سننه وغيرهما باختلاف في اللفظ

وإذا كان الأمر كذلك فقد علَّمنا ﷺ أن ندعو الله ونقول: «**وإذا أردتَ بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**»[1].

ولعل المعنى في مجرى التأويل للحديث يتسع في مدلول القبض إلى أكثر في معنى فوق ما عرف من المعنى المألوف.

١. «**فاقبضني إليك**»: بموت النفس، أو موت الطموح، أو انقطاع النظر فيما عند الناس إلى ما يرضي الله تعالى.

٢. «**فاقبضني إليك**»: وجِّه كل جوارحي وظاهري وباطني إلى عبادتك والنظر فيما عندك وأخرج من قلبي كل متعلقات النفس والهوى والدنيا والشيطان. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) رواه الترمذي في سننه، وأحمد في مسنده، وغيرهما.

المرصد النبوي (٩)

بيان أربطة التربية الإسلامية

المتزامن مع الأحداث العالمية في ربيع الثاني

١٤٣٢

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ ﴾[الإسراء:١٦].. صدق الله العظيم، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ﴿١٠٤﴾ ﴾[هود:١٠٢-١٠٤].

يا أبناء اليمن.. إن الأمانة الشرعية تلزمنا أن ندعو أنفسنا وندعوكم جميعاً للعود إلى الله والفرار إليه من الظلم ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف:٢٣] .

كما ندعو الجميع للتثبت والاعتصام بالله وكتابه وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الراشدين من آل بيته وأصحابه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

فالدين أمانة، والمرحلة أمانة، والحق يقول في كتابه: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾[النساء:٥٨] .

وقد اختلت اليوم موازين الأمانات، كما اختل ميزان العدل في الجميع حاكما ومحكوما عالما ومتعلما قيادة وأحزابا وشعوبا، ويؤيد هذا المعنى حديث الساعة الذي قال فيه من لا ينطق عن الهوى: (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة) قال: وكيف إضاعتها ؟ قال: (إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة).

والساعة حق ، وأشراطها وعلاماتها حق ، ولا مكان لحقيقة أخرى غير ما جاء به سيد الخلق عن الحق ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[الحشر:٢] .

إن الأحداث الجارية اليوم في محيطنا العربي والإسلامي ومنها أحداث بلادنا هي إحدى علامات الساعة التي وعدنا بها على لسان النبي المعصوم صلى الله عليه و آله وسلم، ولا مناص ولا خلاص من حيصات فتنها إلا بحفظ اللسان عن الذم وحفظ اليد عن الدم، ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ

ﭐللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ﴾[هود:٤٣]، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا ﴾[المائدة:٤١] .

يـا أبناء اليمـن.. حكاما وأحزابـا ومحكومين ورعايا.. نحـن أمة لا تتخذ قراراتنـا ومواقفنا تبعا للأحداث والتحولات، وإنما نتخذها بما تُوجِّهنا إليه الآيـات والنصوص النبويات، ومن لا مرجع لـه في الأحداث من ديانته فلا أمـل له في حفظه لأمانته، وقد صارت الأحـداث في عصرنا دينا وملة يقوم عليها الولاء والبراء والشهادة، مثلنا مثل الأمم التي كتبها السماوية وخالفت سـنن أنبيائها الشـرعية واحتكمت في صراعها واختلافاتها إلى السلاح، أو إلـى التشـاحن والصياح، فإن أردتم الإسـلام فعودوا إلى الاحتـكام له كتابا وسـنة كما دعيتم إلى ذلك ترشـدوا ، وإن أبيتم إلا ما أنتم عليه وما أنتم بهذا صائرون إليه فانتظروا ما توعدون، واعلموا أنها بدايات مرحلة الاسـتنفار ، أَوَّلُها هرج وخلط وخبط، وأوسطها جوع وخوف وحرب ماء وذهب ونفط ، وآخرها شـرط وسـلامة وضبط ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

اللهـم احفظنـا واحفـظ بلادنـا وبـلاد المسـلمين بمـا حفظت بـه عبادك الصالحيـن. وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنـا إليك غير مفتونين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الموجه العام
لأربطة التربية الإسلامية ومراكزها التعليمية والمهنية
أبوبكر العدني ابن علي المشهور

حماس التغيير وآلية التفكير
مقدماتٌ ونتائجُ

لا أتذكـر فـي طـول قراءتـي التاريخيـة أن تغيراً سياسـياً طرأ فـي الواقع الإسـلامي منطلقا من حماس التغيير إلا ما جرى على عهد عثمان بن عفان الخليفـة الثالـث رضـي اللـه عنه، أما مـا قبل ذلك منـذ عهد البعثـة فالتغيير السياسـي يتـم بعوامـل أخـرى ووسـائل متباينة، وربمـا لا تصح فيـه كلمة (التغيير) وإن صحت فيه كلمة (حماس).

فالتاريخ الإسـلامي يمتاز في نماذجه السياسـية بضابط الديانة، وللديانة أدب سياسي خاص، لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتشابه شخوصه مع عباقرة السياسة الإنسانية المجردة عن الدين، مهما كان أمر التغير والتحول، ولعل لفظة الانتقال من مفصل سياسي إلى آخر بعامل الشورى المتنوعة في نماذجها هي الكلمة المناسبة لما قبل مرحلة عثمان رضي الله عنه.

أمـا مرحلـة عثمان فهي بلا شـك (مفصل سياسـي) متنبأ بـه ، وله أهمية خاصة في دراسة (حماس التغيير القائم على مبدأ آلية التفكير) ، وليس على الموضوعية والأمانـة، وإنما هي (مقدمات ذات تأثير أدت إلى نتائج حتمية التغييـر) ، حتى صارت هذه الصورة مثالا يحتذى ويتكرر بتكرر آلية مدبريه وعباقرة تنفيذه ، مدعوم بما قد تبنأ به من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم من علاقة الأمر بفتنة المسيح الدجال.

بمعنـى : إنهـا صورة متكررة فـي مراحل متنوعة بأسـاليب متنوعة قائمة على ما يلي:

- الحماس مع الجرأة.
- الرغبة في التغيير بالأسباب الطبعية لا الشرعية.
- حزمة الإنكار والعوامل المساعدة.
- آلية التفكير.. هيشات الاستتباع الآلي.

وقبل أن نخوض في تحليل هذه الأسـاليب يجـب أن نتعرف على هوية الأمر الذي سنتناوله مع أسبابه.. والأمر هو السلطة والقرار.

والقرار والسلطة يعني أعلى مواقع التأثير في مفاصل الحياة ، والإسلام كما سبقت الإشارة يعتني في هذا المحور الأساسي بضابط الديانة ، وللديانة أدب سياسي خاص.

إذن فمن المعتني في هذا المحور الهام بضابط الخيانة باعتبارها المعادل السلبي للأمانة ، ليصبح العمل السياسي كله معبرا عن طموحاته ؟

والإجابة على هذا السؤال تتبين في المعادلة التالية:

الوجه الإيجابي	**الوجه السلبي**
الرحمن الرحيم	الشيطان الرجيم
الأنبياء والرسل	الدجال والدجاجلة
النبوة	الدجل والكفر
الخلافة	الفتن ومضلاتها

ولعل الإبليس الرجيم صعب عليه اختراق الواقع بالحماس وآلية التفكير مع بداية الاستقرار في مسألة القرار، فركن إلى ما دون ذلك حتى كوّن جيل الحماس المطلق، جيل آلية التفكير، ما بين مرحلة النبوة ومرحلة الخلافة الراشدة.. هذا من حيث الزمن.

أما من حيث الوطن فالبؤر الجديدة من أرض الإسلام بعد انتشار الإسلام إليها كانت هي الحاضنة الأولى لحماس التغيير وآلية التفكير. فكانت (مصر) هي الحاضنة على عهد عثمان، وكانت العراق هي الحاضنة على عهد الإمام علي والحسن والحسين رضي الله عنهم، وكانت الشام هي الحاضنة على عهد بني أمية، وعادت الكرة إلى العراق على عهد بني العباس. ولكل حماس أسباب.. ولكل أسباب مسببات.. ولكل ذلك في واقع الأمر نتائج.

والديناميكية السياسية العليا كانت للشيطان في غالب هذه المفاصل بواسطة حماس التغيير وآلية التفكير، والأقرب أن الحماس والتفكير الآلي

يناسـب الطبع البشـري الغالـب، وخصوصا الطبع المهيمـن على تصرفات الأفـراد والمجموعات حالة الانفعـال، مغالبا حالة الهـدوء وحالة التحمل وحالة الالتزام بآداب الشرع.

ويبدو أن هذه العوامل النفسـية هي المطية الأساسية لتنفيذ آلية الشيطان في مجاري الدم البشـرية. وهي المكسب العملي الذي يستثمره الدجال في التحول المرحلي للشعوب.

وهذه مسـألة تسـتحق النظر والتأمل، حيث إن التطورات المرحلية تبدو عارمـة وخطيرة فـي اجتثاث الأخضر واليابس على غيـر بيان واضح وتبيان مشروع.

بـل إن الواقع المتحـول يدفع بالجميع إلـى قبول التغييـر وآلياته، وكأنه جزء لا يتجزأ من الأمانة الشرعية التي لا نقاش في أمرها ولا اعتراض على قدرها.

ولا يسـع العاقـل والعالـم والمسـتبصر إلا مجاملة صنّـاع التغيير ورفع شـعار التحميـد والتكبير ، مع أن العاقل والمسـتبصر يعاني مـن أليم الواقع الذي يخطط لتغييره، ويعلم كيف يجب أن يتم إصلاحه ومعالجة مشكلاته، ويسـتمد العلاج والإصلاح مـن حقائق الديانة وسـلامة التجربة الإنسـانية الواعية من القواسم المشتركة في العلم والصناعة والإدارة ومصالح التنمية في الشعوب.

وبين عشـية وضحاها تبرز ظـروف خارجة عن السـيطرة وتدفع بالجيل الشاب المرتبط ببرامج الدراسة والتخرج، والمعارضات السياسية المرتبطة بالبرامج السياسية المتمولة، وبالعاطلين الذين لم تستوعبهم برامج الأنظمة المهترئة، لتقوم عليهم مهمة التغيير الآلي.

ونؤكـد ذلك (بأنها أنظمـة مهترئـة) باعتبارها جزءا من برنامج سياسـي عالمـي مرحلي، ومـن عمق اهترائها تعـد برامج المرحلـة التالية على صفة

الحماس الآلي للتغيير المشار إليه.

ومع أني أسهبت في ديناميكية السياسة المؤثرة على مساحة التفكير التي يحصل بها التغيير المعاصر، إلا أن الغرض من ذلك هو إبراز الصورة الحقيقية التي يضع الإسلام بها استيراتيجية المرحلة وموقعها من مراد الله ومراد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

حيث إن لغة المرحلة لغة تعتبر الإسلام مجرد شريك لرؤى عقلانية ودينية أخرى.. وليس حلا إلهيا للمجتمعات، وإنما الحل المطروح لدى العقول المعاصرة ما تعيشه الشعوب العالمية من فكرة الديمقراطية الوضعية، وهي الديمقراطية العقلانية المنافسة للإسلام وأطروحاته الشرعية في غالب برامجها السياسية.

ولعل العذر المتداول لدى حملة الفكر التعددي المعاصر: أن الإسلام المعاصر لا يمت إلى الإسلام الأساسي بشيء ، وإن مت إليه بالانتساب العام فلأن الرؤى المطروحة إسلاميا اليوم إما أن تحمل صفة الإرهاب والعنف والطائفية أو أن تعبر عن غلو التصوف والأصولية، مما لا يساعد المجتمع الحديث على إيجاد العلاقة الإسلامية الواضحة.

والعلاقة الواضحة اليوم في العالم إنما تبرز في المفهوم الديمقراطي العقلاني المؤثر محليا وإقليميا وعالميا، ولهذا فإن صوت التغيير المعاصر إنما يلهج بما يراه حلا مناسبا للمرحلة ، ولا يعنيه أمر الإسلام المتحفي المحصور في المؤلفات والأصول وبعض الشخوص المتعبدين، أو الإسلام الانفعالي المتهور لدى فريق آخر.

والذي وددت هنا أن أتناوله بعد عرض الأفكار المتعارضة والمعارضة وبعد شرح جهات النظر المتشابكة لدى الجميع في المرحلة هو مسألة التشخيص الإسلامي للقضايا من أساسها.

وعندما نقول (التشخيص الإسلامي) لا يعني ما قد طبقته الأنظمة

والممالك والفئات والجماعات والأحزاب، وإنما ما هو جدير بالدراسة من مفاصل التحولات المرحلية في شعوب الأمة الإسلامية وأنظمتها القديمة والحديثة ، ووجهة نظر الإسلام الحق من تطبيقات الأنظمة والممالك والفئات والجماعات والأحزاب، على اعتبار أن هذه الدراسة ستتجاوز كل ظواهر التصورات الذاتية المنبثقة عن مجريات الواقع أو ما يشابهها من توظيف الإسلام لمصلحة الأحداث وسياسة الأنظمة والأحزاب والممالك.. حتى إذا ما شاخت هذه المفاهيم أو انتهى عمرها الافتراضي عاد الجميع بالتلاوم والاتهامات، ونبش العيوب وفتح الملفات؛ كل ضد الآخر وفق ما يفهمه ويفقهه ويناسبه من فقه المبررات والمغالطة، بل وتوظيف الإعلام مثل توظيف الإسلام عبر القنوات والأجهزة المعلوماتية لمثل هذه الأغراض المتكررة، والصراعات المسعورة.

إن الإسلام في (فقه التحولات وعلوم علم الساعة) قد فرغ من تشخيص ومعالجة القرار وحملته وعدالته وسلامته عبر القرون والأزمنة كلها.

وكما عرَّفنا الإسلام بالقرآن والسنة انحرافَ الأمم السابقة وفساد تصوراتها ضد الأنبياء والرسل ، أو ما جاؤوا به من سعادة الأمم والشعوب حسب تصوراتهم، بدءا من موقف إبليس مع آدم وموقفه من إغواء آدم وحواء بالأكل من الشجرة حتى موقف قابيل من هابيل وما تلا ذلك من الانحرافات والتحولات في الأمم والشعوب.

فقد رسم لنا القرآن والسنة في علم فقه التحولات وعلامات الساعة مسيرة العدل في الأنظمة والدول والجماعات والفئات والأحزاب، وخاصة في المرحلة الخاتمة مرحلة الإسلام، وربط بعضها ببعض وفق تسلسلها الفكري والأصولي بدءا من عصر البعثة والوحي والعصمة ونهاية بظهور المهدي والنبي عيسى والمسيح الدجال، باعتبارها الصورة الأخيرة لمسيرتي الحق والباطل في مسيرة السياسة والقرار حكما وعلما.

وبهذه الدراسة المنهجية تفصل الأمور وفق مراتبها ومفاصلها الصحيحة بعيدا عن التزييف والتحريف وسياسة المحسوبية والتصنيف، وبها لا بغيرها يتضح الحق من الباطل، ويعرف أسلوب المعاملة مع الموافق للحق ومع المخالف والمجادل، حيث تسقط المفاهيم الذاتية والتخرصات الانتمائية، ويصبح القول الفصل والحكم العدل كلام الله في ما أخبر عن عباده، وقول نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فيما أشار عن تحولات أمته وغيرهم من الأمم.

وهذا الأمر يجعلنا في حل من المسؤولية، وفي فسحة من التبعة المترتبة على الموقف من نظام أو حاكم أوعالم أو فئة أو حزب أو جماعة، فالجميع بضابط النص يُعرَّفون ويصنَّفون، بل ويتميز لهم ما هم فيه من الارتكاس وفي الجهل يعمهون.

وعوداً على بدء لمسألة التغيير وآلية التفكير فالأصل فيهما وفي انتشار فعاليتهما عبر الأزمنة حتى زماننا غياب التفسير الشرعي للتحولات وأسباب التغيرات، وحصر المسائل الشرعية في دراسة أركان الإسلام والإيمان والإحسان، وهي بلا شك هامة الموضوع في بابها، ولكنها لا تفسر أمر انحراف الأوعية ولا حصانة المراحل ولا نقض العرى ، بل ربما مارسَ من لا خلاق له ولا دين بها ـ أي : بالأركان الثلاثة ـ وبالعلم بها تسييسَ الديانة والعبثَ بالأمانة وتوظيفَ الأركان الثوابت في خدمة الشر وبرامجه، كما فعل يهود الدونمة ومن حالفهم في أواخر العهد العثماني عندما حكموا العالم العربي والإسلامي بسياسة الخيانة والنقض والقبض ، والغالبية العظمى من أهل الحل والعقد لا يدركون ذلك ولا يعلمون به، لغياب قراءتهم النصية لفقه التحولات ، مثلهم مثل الكثير من شعوبنا وعلمائنا ومفكرينا اليوم ممن يتخذون المواقف في مفاصل التغيير سلبا وإيجابا ، كثمرة من ثمرات التفاعل مع الأحداث ومجرياتها الوطنية والإعلامية قومية أو حزبية

أو فئوية أو تيارية أو مجردة عن ذلك كله ؛ لتصبح ثورة شعبية أو شبابية أو غير ذلك من المسميات المستجدة وفق الأحداث والظروف الطارئة في المحيط والمرحلة.

إن تفصيلنا هذا لا يؤيد الحاكم الظالم في ظلمه، ولا يبرر للأنظمة فلسفة السلامة وبرهان الاستمرار، ولا يكبح جماح المظلومين أو يقيد حرياتهم عن أخذ حقوقهم المسلوبة والمطالبة بها، ولا يعترض على مظاهرات المتظاهرين واعتصامات المعتصمين الذين يرفعون أصواتهم أمام السفارات والإدارات وفي عموم الساحات والميادين الكبرى ليسمع العالم أصواتهم ويبلغ نداؤهم الحر إلى العالم الإنساني ومنظماته وهيئاته، كما يعبرون عن ذلك ويرغبونه.

بل إن تفصيلنا الشرعي سيكشف لهم المستثمر الأساسي من تلك المنظمات والهيئات التي يطالبونها بنصرتهم والوقوف مع قضاياهم، وسيعرفون الدور الفعلي الذي رسمته هذه القوى المسماة بالمنظومة الدولية ومؤسساتها العالمية وأبواقها الإعلامية ذات العلاقة بمبدأي التحريش بين الشعوب والمنافسة بين حملة القرار ومن يعارضهم فيه وعليه. وعلاقة هذين المبدأين بسياسة (فرق تسد)، وهي السياسة العملية للإبليس المستحوذ والدجال المنفذ لإذكاء الصراع المتنوع بين الكتل المتعارضة في شؤون الحكم والعلم وشؤون القيادة والعادة والعبادة، ليحشرهم بهذه المبادئ في قانون (الفعل ورد الفعل) المؤدي إلى الانفجار والدمار.. جيلا بعد جيل وأمة بعد أمة.. ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨﴾ [الأعراف:٣٨] .

إنها مسألة مصيرية ومفصلية في تاريخ البشرية كلها.. لا تستمد مادتها

العلمية من دساتير الإنسانية ولا من نصوص قوانينها الوضعية، مع اعتبارنا الشخصي بما في هذه الدساتير من إيجابيات ومنافع، لأن من هذه الدساتير ما يوافق الحق ويدافع عن أهله؛ ولكنها لا ترقى عند التمحيص إلى مستوى العدل الإلهي تطبيقا وتوثيقا، بل يعتريها النقض والقبض والفشل والفساد والمحسوبية والتسييس، ولها مدى زمني معين تفقد بعده صلاحيتها وحجية استمرارها حتى بين أتباعها والقائمين عليها.

ومثال ذلك ما شهدناه من ثورة الشعوب على قوانين الحكم في بعض الأنظمة العربية المعاصرة.. مع أنها دساتير أجمعت الشعوب ذاتها في مرحلة ما على سلامتها وثباتها وجدارتها، وأدت دورها المرحلي في خدمة الديمقراطية المزعومة (الإله الوَهَم)، وتخلى المنظرون العالميون أنفسهم عنها ساعة سقوط قيمها واعتباراتها، متخذين من (فقه المبررات والمغالطة) ملهاة للشعوب الهادرة والعقول الحائرة، ولا بد أن يجتمع المهندسون والعقلاء المرحليون لاتخاذ إصلاحات وإضافات ومحذوفات تتناسب مع الزخم الجديد والإصرار الأكيد، ويبارك الزعماء العالميون إرادة الشعوب، ويدينون عملاءهم المرحليين رغبة في احتواء المرحلة المستجدة لإنجاب عملاء من نموذج جديد لاستثمار مفيد.

وهذا لا يعني استنقاص ثورة الشعوب ومواقفهم، وإنما هو تقرير الآلية التي تفرضها الظروف عليهم، بحيث تفشل أنظمتهم الوضعية في تلبية الحاجات الملحة، فيبحثون عن الحل دونما خطط تشخيصية شرعية، مما يؤدي بالضرورة إلى عودة المشكلة مرة أخرى بعيد انتهاء صفة الحماس المرحلية، لتعود الكرة إلى ملعب المستثمرين النفعيين مرة أخرى وأخرى وأخرى إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا.

إنني أعلم يقينا أن مثل هذا التحليل لا يروق لدعاة التغيير، بل وربما حملوا ثائرة التصنيف على حامل الفكرة ومروجها ووضعوه في زاوية من

زوايا التهم المألوفة.

مع العلم بأن هذا التصنيف لا يغير من الحق شيئا؛ لأن أمثالنا لا يؤثرون في مجرى الأحداث، ولا يشاركون فيها، وإنما يساهمون في تهدئة النفوس لما فيه مصلحة الأمانة والديانة والصيانة لدماء الجميع.

إن حماس التغيير لدى الشعوب أمر جدير بالدراسة والاهتمام؛ ولكن لا ينبغي أن يستثمر هذا الحماس مستثمرو المراحل ومسيسو الفضائل.. مرة بعد أخرى.. لنصبح مع كل مفصل تاريخي نندفع إلى هدم ما بنيناه بأيدينا والبدء مرة أخرى من نقطة الصفر الأولى.

ولأن هذه المسألة هنا لا ترضخ لتراكمات الأحداث وصياغة المفاصل الزمنية المدمرة لأجيال الأمة بين التغيير المرحلي والاجتثاث. وإنما ترضخ إلى دراسة الربط الشرعي بين الديانة ومسيرة التحولات؛ لأنها الأمانة التي لا تقبل الإضافة ولا الحذف ، وإنما تكمن في نصوص الديانة فقط؛ لأنها من عند الله.

وأما ما تضعه العقول وتبتدعه الفهوم من العلم المنقول والمعقول فأمر يقبل الحذف والإضافة، ويقبل النقد والتشنيع وسوء الإشاعة سواء في الجانب الديني أو الجانب الدنيوي.. وهذا هو ما نشهده في صراع المسلمين وغير المسلمين في شؤون الحكم والعلم عبر المراحل والأزمان.. وربما كان للجميع عذرهم في ذلك.

وأما ما نحن بصدده فدراسة مستجدة ترضخ التغيير وآلياته على مداه الزمني المتحول وليس لمرحلة محددة للنصوص الشرعية التي أمرنا أن نؤمن بها وبمقدساتها.. فهي القولُ الفصلُ والحَكَمُ العدل بصرف النظر عمن لا يؤمن بها أو من لا يلقي بها بالا أو لا يوليها في واقع المستجدات أهمية.. فتلك وجهة نظر.. وما نحن بصدده دين ووحي وصدق أثر.

وهذه الدراسة نطرحها للراغبين في (مفهوم التغيير الإيجابي) بحثا عن

الثواب الإلهي في التغيير، وخوف العقاب الموعود في المصير عند التقصي للأمـور والأخـذ على يد الظالـم.. مع عمق النظر في أثر الشـيطان المتربص بالفـرد والمجموع، واسـتثمار الدجال لمجريات الأحـداث والأحوال من عهد آدم عليه السلام حتى يومه الموعود.

ولعـل هـذه الثقافة الشـرعية مغيبة عن الواقـع تماما ولا تمثل مشـروعا عمليـا لـدى الأمـة المعاصرة ، كما لم تكن مشـروعا عمليا لـدى كثير ممن سـبق مـن مجموعات حماس التغييـر، وإذا كان الأمر كذلـك فما هي فائدة هذا المشروع النظري المغيب، وما هي جدوى الحديث عنه والإشارة إليه.

والإجابـة السـديدة : إن هذا المشـروع أصل من أصـول الديانة الخاتمة التي جاء بها من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم، وهو جزء لا يتجزأ من هوية الأمة الإسلامية ونصوصها العلمية والعملية.

وإذا كان عالمنا العربي والإسلامي يتحدث عن مستقبل موعود واستقرار منشـود من خلال ما تشـير إليه النصوص النبوية، ونسـمع ليلا ونهارا بعض الأطروحـات الإسـلامية عـن اجتياح قوي قادم باسـم آل البيـت ونصرتهم تحقيقـا لمـا يقوله أولئك لوعـد الله في الأمة؛ فإن مشـروع القـراءة النصية لفقه التحولات يعد جزءا لا يتجزأ من أمل الأمة في اقتباس الحلول العملية بالوسـائط العلمية دون تهديد ولا وعيد ولا تنديد، كما أنه مشـروع حواري سـلمي يقـرر الحالة ويشـخصها مـن واقع النـص لا من واقـع الحدث، بل وتضع الحدث ذاته مكانا وزمانا وإنسانا تحت المجهر الشرعي المنصوص عليه باللسان المعصومة.

إن النص الشـرعي لعلامات الساعة يضع (المراحل المتلاحقة في إطار التأرجح) بين واحد من حالتين:

١ - عالمية الإسلام ووحدته الفكرية والجهادية كمظهر للسلامة والأمن والتوحيد ولا غير ذلك.

٢- تمزق الإسلام أرضا وفكرا وعقيدة وشعوبا وهوية ليصبح الإسلام تابعا لا متبوعا.

وأعتقد أن الحالة لم تتحقق في رقعتنا العربية والإسلامية عبر تاريخ التحولات إلا في نقاط ومفاصل محددة ومعينة، وأما الحالة الثانية فقد شملت العالم العربي والإسلامي منذ العهود الأولى ولكن بنماذج وصور وأحوال متنوعة ومتباينة ، منها ما كان سلبيا في أغلب صوره، ومنها ما كان سلبيا في غالب نماذجه وصوره.

وأما في المراحل الغثائية ـ وهي المفصل التاريخي الخطير في حياتنا المعاصرة ـ فالمسألة كلها قد خرجت من مستوى السيطرة الداخلية إلى الهيمنة الخارجية ، وصارت التحولات المفصلية والتغيرات المرحلية أقرب إلى التسييس الأجنبي المبرمج، ولكنها لا تبدو للعوام ولا لكثير من المتفرجين على حقيقتها المسيسة.

ويمكن معرفة هذا التسييس بالنصوص النبوية الصحيحة من جهة، وبالنظر ـ من جهة أخرى ـ إلى الحالة التي تعيشها أمة القرآن والسنة من الالتجاء الكامل إلى محافل الأمم الأخرى لإظهار موقفها وتأييدها فرحا وحزنا وحربا وسلما وشكوى وإنصافا وانتصافا وغاية مصيرية، مع عدم قدرتها متفرقة في عواصمها أو مجتمعة في صور مندوبيها في قاعة الأمم المتحدة وجامعتها العربية على تحقيق الوحدة الوطنية نحو (العدو اليهودي المشترك) .

وإذا ما رفعت الأمم المتحدة كمؤسسة دولية صوتها المشترك لإدانة الأنظمة الدموية المعاصرة ـ وهي جزء منها ومن قرارها المرحلي المعاصر[1] مع مساندتها للتغيير في الأنظمة وإصدار القرارات الدولية

(١) كما أشار لذلك مندوب ليبيا في الأمم المتحدة يوم الجمعة ٢٥ فبراير ٢٠١١

بسحب الثقة من الرموز المدانة دوليا ـ فهل يعني ذلك صدق هذه المنظمة فـي قضايانـا الوطنية وقضايانا المصيرية كصدقها في إدانة الرموز ومسـاندة التغيير؟ بعد أن كانت داعمة له في مرحلة الاستجلاب والاستحلاب!

إنني أضع هنا سؤالا هاما وسأجيب عليه: كم سمعنا وقرأنا عن (برنامج الفوضـى الخلاقة) الذي تبنتـه القوى الدولية خلال مرحلة العولمة. فهل ما تشـهده البلاد العربية اليوم وغداً هو جزء من هذا المشـروع.. أم هو مشروع شعبي خالص لا علاقة له بالمشروع المشار إليه؟!

متـى خطط العرب والمسـلمون أمرا ونفذوه؟ وصار جـزءا من هويتهم التاريخية ومواقفهم الوطنية؟!

كلنـا يعلـم أننا منذ سـقوط قرارنا الإسـلامي العالمي فـي تركيا الخلافة لـم يعـد لنا تخطيـط ولا تنفيذ.. لا حكومـات ولا شـعوبا ولا منظمات ولا أحزابا..

وكل مـا نجتمـع عليه هو دموية الصـراع الحـدودي والطائفي والحزبي والطبقي والسياسـي، كما شـهدناه علـى مدى المراحل السـابقة والمراحل المعاصرة؛ لأنه جزء من استيراتيجية السياسة الدولية المبرمجة..

وإذا مـا ارتقى العقـلاء منا في المدركات المرحليـة ربما رفعوا أصوات القوميـة العربية وتنـادوا من أجلها منفصلة عن اللحمة الإسـلامية العالمية، وهـي الدعـوة التـي تبناها الأحـرار القوميون فيمـا بعد تقسـيم تركة الرجل المريض وتجزئة الوطن العربي والإسلامي الواحد.

إذن والحال كذلك.. فماذا ننتظر من (حماس التغيير وآلية التفكير)..؟

هل هناك آلية عربية إسلامية ؟

هل هناك آلية قومية إقليمية ؟

بقوله: إن ليبيا أنشئت بقرار من الأمم المتحدة.. فأنقذوا ليبيا.

هل هناك آلية شعبية محلية ؟

هل هناك هدف استيراتيجي وغاية وقاسم عالمي مشترك ؟

وإذا لـم تكن هناك إجابـة: فالإجابة في فقه التحولات وما أشـارت إليه أحاديث علامات الساعة من تداعي الأمم كتداعي الأكلة على قصعتها.

ونحـن قد صرنا رغم كثرتنا في السـاحات والاعتصامات والمظاهرات وفي أروقـة الجامعات والجمعيات والأندية والملاعب والجماعات (غثاء كغثاء السيل)..

وكفـى بهذا الحكم النبوي دليلا للنظر في واقعنا المعاصر الذي قال عنه مـن لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسـلم: «يلقى عليكم الوهن» ، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ ، قال: «حب الدنيا وكراهية الموت».

وحب الدنيا عامل وضعي أدخلته المدرسـة الحديثة وكرسـت من أجله المناهج والمدرسـين ليتهيأ جيل الكراهية للموت، وهم الجيل الكاره علما وسـلوكا وعمـلا وثقافة أخبار المـوت والآخرة، ولا يحبذون الإشـارة إلى ذكره في المجالـس والمدارس والأندية والملاعب والمنتزهات فضلا عن الموت في سبيل الله في ساحات الجهاد المشروع.

ولم يكذب رسـول الله صلى الله عليه وآله وسـلم في وصف الأمة في مراحلهـا ووصـف حال الأمـم الأخرى حيالهـا «وتنزع المهابـة من صدور عدوكم».

وهاهو العدو قد تجرأ واندس في كافة شؤون حياة الأمة، وهاهو قد أعاد صياغتهـا بدءا من اللباس والهواية ونهاية بالعزة والكرامة والرعاية وشـرف الديانة.

إذن فحمـاس التغييـر وآلية التفكير في أمتنا جـاءت وافدة من غير ثقافتنا الإسـلامية كما أشـار إلى ذلك مـن لا ينطق عن الهوى صلـى الله عليه وآله وسلم :«لتتبعنَّ سَنَنَ من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا

جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله.. اليهود والنصارى؟ قال: «فمن» ؟

وحتى لا نظلم الجيل الثائر وهو يعبر عن حالة مريرة ويتطلع إلى حياة مستقرة جديدة يجب أن نشير إلى سلسلة الاتباع لمراحل الاستتباع جيلا يبدأ بالانتكاسة.. والذي يأتي بعده أرذل منه حتى تلقوا ربكم.. كما جاء في الرواية الصحيحة.

فالمقدمات للاستتباع كانت لها نقطة انطلاق، وبها بدأت الغربة في الأجيال: (غربةُ الدين ،وغربةٌ عن الدين) ، وبها صار الجيل مظلوما ومغيبا عن حقائق الولاء والانتماء المشروع، وهذه مقدمات.. ومن حتميتها أن تأتي النتائج سلبية بكل المقاييس.

ومع هذه السلبية كانت البدائل المجهزة والمهيأة في كافة مواقع التربية والتعليم والدعوة إلى الله وأسباب المعيشة قائمة على النقض والقبض وتسييس الدين، خصوصا في مواقع المؤسسات الرسمية الراعية للأجيال والشعوب، وعلى المدى الزمني الطويل من مرحلة التداعي حتى مرحلة الحيرة والمهندسون الدجاجلة يحبكون الأسباب والعوامل وينفذون الأحابيل والوسائل لتحقيق ما قد أشار إليه صلى الله عليه وآله وسلم من العلامات:

١- أن تلد الأمة ربتها وربتها.

٢- وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان.

وعلتنا نحن المسلمين المعنيين بقراءة العلامات وتحقيق فقهها أننا لا نولي النصوص النبوية أهمية مرحلية، بل نعتمد في كل شيء على ما ذكره السابقون وما قرروه. والسابقون رحمهم الله اعتنوا بما هو خاص في الثوابت والقيم، أما ما يخص التحولات والأوعية فاستعاضوا عنه بأدب الإحسان والدفع بالتي هي أحسن، وحسن المعاملة مع الموافق والمعارض

، واكتفوا بما هو أهم في نظرهم ومدركاتهم الدينية في مراحلهم.

وقد فعلوا خيرا بذلك.. وأما من جاء بعدهم فقد ظلوا يتبعون الســابقين في قراءة ودراسـة الثوابت والقيم دون الاعتناء بالتطبيقات التي كان السلف يحرصون عليها، بل ربما كان البعض يناقضها ويعارضها ويسخر منها نتيجة الآليات الثقافية والتعليمية المتحولة والمستحدثة والمستوردة والمستولدة.

وقد شهد الوطن العربي والإسلامي هذه الظاهرة منذ العقود التي امتلك فيها رموز الاستعمار ومهندسـوه قرار الاقتصاد والتربية والسياسة والتعليم والإعلام بعد تقسيم تركة الرجل المريض.

إننـا فـي موقـف الدفاع عـن الأمـة الإسـلامية ومقدراتها الشـرعية أمام تخرصات الأمم الآكلة والعقول الممولة والمتمولة المستفيدة من الظروف والأحـوال المتحولـة.. وهـذا الدفـاع يمليـه علينـا علمنـا بفقـه التحولات الإسـلامي المرتبط بالأصلين الأساسيين كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ونحن إن شـاء الله تعالى نعيد بهذا العلم الاحتكام في مجريات التحول إلى الله ورسـوله، ولا علاقة لنا بالمنظمات والهيئـات الدولية، أو الانتظار للمواقف التي تصدر منهم وقراراتهم التي شغل بها الجيل المعاصر، وكأنها أعظم وأقوم من منهج السماء وملة خير الأنبياء.

وبالإضافـة إلى ذلك فإن تفسـير الحـوادث والتحولات فـي قواعد هذا العلـم لا تحتـاج إلـى وصف الأحـوال والإشـاعات والشـعارات بالأخبار والجرائـد والتوثيـق المتلفـز، ولا إلـى جمـع آراء النـاس من المؤسسـات والشـوارع والمجموعـات المواليـة أو المعارضة للنظام عـن الأوضاع وما يجـري هنـا أو هناك؛ لأن الذي يجري هنا وهنـاك جزئية لا تتجزأ من هزائم الأمـة في مرحلتها الغثائية يسـتوي فيهـا الجميع بلا اسـتثناء باعتبار دورهم الريـادي في مواقع الحكم والعلم لخدمة المسـيخ الدجال.. منهم من يعلم

وغالبهـم لا يعلـم، وأنـى له أن يعلـم والعلم الشـرعي بالتحـولات وتاريخ الحركـة الأنويـة الوضعية غائـب عن لائحـة معلوماته ومرصـوص أفكاره ومعنوياته.

إنهـا معركـة دفاع شـرعي عـن الكرامة والعـزة الإسـلامية ، وإن موقف الدفاع الشرعي قد يقتضي بعض الهجوم والتحدي المعروف أمام هجمات الخصوم، لأن غالب المسـلمين لم يعـودوا يدركوا مواقع الخطر الهجومي عليهم لارتباك المعرفة واختلاط الأمور، فالإسلام يبين لنا من خلال دراسة فقه التحـولات حرب الثقافات والحضارات والأديـان ، وتحدي الأَلْفِيّات الزمنية، وما تفعله العقول المتربصة لخداع الشعوب والأمم تاريخيا، وهـذا في حد ذاته (جهاد في سـبيل الله) ، وللجهاد وسـائل، ومن وسـائله الكلمة الطيبـة، ومن الكلمة الطيبة كلمة حق عند سـلطان جائـر. وفيها يقول من لا ينطـق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسـلم: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)..

والمسـلمون فهموا هذا المعنى في صورتـه المحدودة بالحاكم الجائر، فذهبـوا يحاربون الحاكم تلو الحاكم فـي كل مرحلة ومفصل زمني دون أن يحققوا من أمر الحقوق شيئا غير التشفي واستبدال الفرد بغيره، رجاء تأمين الظروف المناسـبة لمجموعة ضد أخرى. بينما الإسـلام في مقصده يجمع بيـن السـلطان الجائر فـي مرحلة.. وبين المرحلـة ذاتها وما يكـون فيها من الجور العالمي أو العلماني أو العولمي أو العلمني أو غير ذلك مما سـيأتي فـي لاحـق المراحل . ويبين الإسـلام أن قـراءة المرحلة وما يـدور فيها من هندسـة كبرى على أيدي الدجاجلة يعد في باب الجهاد في سبيل الله دفاعا بالكلمة عن الحق بالحق واستشهادا للحق بالحق.

إن الإسـلام يعرفنا خطورة العمل الشـيطاني وآثاره في الحياة الإنسـانية بعمومها، كما يعرفنا خطورته وآثاره في حياة الفرد منا، ليرتفع مستوى المرء

منـا إلى فقه الحالة من واقع القراءة الرسـالية.. لا من واقع الصحافة والقلق والإخافة.

وقبـل أن نختم موضوع الحماس والآليات أستشـعر فـي بعض القراء ـ وليس الجميع ـ حيرة الاستنتاج في لغة الإحراج.

فالموضـوع من وجهة نظرهم لا يحمل حـلا ولا معالجة، وقد يصح أن يقـال فيه أنه يحمل تشـخيصا ومن وجهة نظر واحـدة لا معادل لها.. بل ولا وجـود لتطبيقها في أذهان العقلاء عبر التاريخ فضلا عن رسـمها في خرائط التحولات..

ولأن هـذا الشـعور وارد في واقعنـا المعاصر ـ وهو عيـن الحقيقة المرة التـي نعيشـها جميعا ـ فربمـا كان لي منها جـزء كبير يغطي مسـاحة الإقدام والإحجـام ويدفع بي إلى الإفصاح عما أسـتلهمه حينا ويمنعني عن التناول لأوضح الحقائق حينا آخر.

إما خشـية التجرؤ على ما لا يصح التجرؤ عليه وإشـغال الناس بما ليس لهم فيه من حاجة ، وإما خشية الاعتراض وسوء الافتراض لدى المختصين والمخلصين والمخلَصين.

وخلاصـة القـول فيما تبقى: أننـا أمة غُزِيَتْ بلَيْلٍ ، واسـتحلى الأسـرى منا عبوديةَ الأسـر وخنوعَ الإذلال، وامتزج سـر الفطرة في نفوسهم المقيدة بمحقونات الرؤى الجديدة المريدة، فانطلقوا يحطمون البنيان وقد تطاولوا فيـه، وصعب عليهم بعد طول رحلة الاغتراب تقييم حالهم ومعرفة مكانهم وإمكانهـم، فهـم بيـن مندفـع بحمـاس التغييـر الآلي وبيـن منتفـع بثمرات الاستثمار المالي.. ولا جديد.. وإنما الجديد إنقاذ ما يمكن إنقاذه، والبحث عن جيل يدرك شرف مراده، بعد إدراك مراد الله في عباده.

وليـس لنـا في الختـام إلا أن نقـول ما قالـه الصابـرون: إنا للـه وإنا إليه راجعون.. والحمد لله رب العالمين.

الاستنفار مرحلة ذات شقين



عندما نقرأ المسيرة المرحلية للتغيرات المستجدة نحتار كثيرا في تفسير أسبابها ومسبباتها ومجرياتها المؤدية بالضرورة إلي تحديد وجهات ثمراتها ومخرجاتها، وخاصة إذا جعلنا سير الأحداث وأيديولوجية الصراع القائم بين القوى المتنفذة محور الاهتمام وقضية الالتزام.

والحق الذي نرجو أن نوفق إليه ـ ولو من وجهة نظر أحادية ـ أن الأمر يحتاج إلى دراسة أشمل وإلى مرجعية شرعية أكمل، حيث إن الواقع الملتهب اليوم إنما كان حصيلة تراكمات الأمس.

والأمس القريب كان صنيعة المستعمر والمستهتر والمستثمر، وهذا العقل الذي أشرنا إليه كان ولا يزال عقلا إنسانيا مريضا بالكفر وعنجهية الاستعلاء والاستبداد وسياسة الهيمنة والسيطرة على مقدرات الأمم والشعوب، وهو عقل لا يندرج تحت قانون العمل من أجل الثواب ولا ترك الأذى خوفا من العقاب، وإنما هو يفهم الثواب على صفة المصالح المتبادلة وينظر للعقاب جزاء على مخالفة القوانين المتداولة.

وقد تمكنت هذه العقول الجريئة من النفاذ المبرمج على مدى مراحل التحول السياسي في الأوطان العربية والإسلامية منذ سقوط القرار الإسلامي الموحد، وبذلت هذه القوى كل ما في قدراتها الاستعمارية والاستهتارية والاستثمارية بقوانين العلمانية ثم العلمنة ثم العولمة في تصنيع شعوب جديدة وعقول عنيدة وأفكار فريدة قوامها (سياسة المنافسة والتحريش) قمة وقاعدة ودينا ودنيا، واتخذت من هذه المنهجية الوضعية رأس حربة في تحريك الشعوب وتفكيك الأنظمة، ومعالجة القضايا المسيسة ، واستثمار ذلك كله دون تدخل مباشر أو الولوج في فك تركيب

أو إعـادة ترتيـب أمـر متناثر، ليصبح الأمـر بعد ذلك كله فـي حالة التفكيك أو التركيـب يحقق مصلحة المسـتثمرين والمسـتهترين والمسـتعمرين، أما عملاؤهـم فكثيرا ما يتخلى عنهم مسيسـوهم عند ضمـان انتهاء صلاحيتهم المرحليـة ليضعوا الثقة ذاتها ومن نفس النوع والموقف في العملاء الجدد، عملاء المسميات الجديدة والشـعارات العديدة، لينهضوا بمهمة التحريك للشعوب وتنفيذ البرنامج المطلوب.

وكلنـا عند انفجـار الثورة أبطال، وقتلانا شـهداء ، ودمارنا بناء ، وفشـلنا تغيير ، وصراعنا حراك، وهزيمتنا انتصار ومنجزات.

ومن الذي يفهم هذا التحليل ويؤمن به ويصدقه ويؤكد لي سلامة جوهره ومظهره.. من ؟

لا أظـن أحدا في هذا العصر منا أو مِن غيرنا مَن يؤكد صحة هذا التحليل من كل الوجوه إلا عنصرين:

الأول: مؤمـن بكتاب الله وسـنة رسـوله صلـى الله عليه وآله وسـلم قرأ الدين بأركانه الأربعة.

الثانـي: دجـال كافر متمول يـدرك اللعبة ويعمـل في إطـار تنفيذها بعلم وحنكة ودراية.

أما غير هذين العنصرين فلا.. حتى لو علم شيئا من ذلك يغيب عن علمه أشياء أخرى. فيخلط ويخبط ويصعد ويهبط.

وكلنا نعيش هذه الحالة، ومنا من ينفذ مع الدجال والدجاجلة فقه الكفار وسياسة الاسـتعمار والاسـتثمار والاسـتهتار من منابر المساجد وصالات المعاهد وزيارات المراقد.

ربما يستشـعر القارئ أني أحلق بعيدا عن الواقع المعاش ، وأتحدث عن الـلاش ! ولكني رغم تحليقي بالقارئ بعيـدا عن واقعه وقواقعه فإني أربطه بحبل الأمان الصحيح، الذي فيه حل المشكلة من جذورها.

فالمعاصرون يتحدثون عن مشكلة ما بنقض حاكم أو إسقاط نظام ويحتشدون من أجل ذلك، وتبح أصواتهم بين هنا وهنالك، وهم في حقيقة أمرهم ومن وجهة نظر دينهم ونبيهم عناصر فتنة، وهم من جهة معذورون بعدم علمهم لوقوعهم بإدراك وبغير إدراك في تسييس عدوهم، فهم المعنيون بقول إبليس: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهنا يكمل السياق القرآني بقول الله تعالى: ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ (أجهزة الإعلام) وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ (القوة الصناعية) وَرَجِلِكَ (القوى البشرية) وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ (السياسة الربوية) وَٱلْأَوْلَٰدِ (الحريات الإباحية) وَعِدْهُمْ (بنجاح التغيير وسعايات التفجير والتدمير) وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى (من أهل التقى والاستقامة) لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ (لا تؤثر على مواقفهم ولا تستفزهم وسائلك المتطورة لأنهم لم يندرجوا تحت الفتن ولا مضلاتها، إما بعلم وإما بحفظ إلهي) [الإسراء:٦٢-٦٥] .

وهذا العلم هو جزء من علم اليقين المحاط بشرف النص الرباني أو النص النبوي عند قراءته وفهمه على الوجه الصحيح.

والحفظ الإلهي توفيق يجريه الله للعبد الموفق، والمرحلة الكائنة مرحلة مخترقة الأسلوب والتطبيق والتمنهج من ألفها إلى يائها، مختلفة في الاستتباع من شبر إلى ذراع إلى باع، ولكنها في نهايتها تؤدي إلى دور الخدمة لمستثمري الانحراف، ومسوقي سياسة الإرجاف والإسفاف.

نحن أمة يجب علينا ـ نصا ـ أن ننقل المعركة من ساحة الإقليمية والمحلية إلى العالمية. ونرتفع من مستوى النظر إلى نقائض الحاكم والحكم والعالم والعلم إلى موقع الأسباب العليا والمفاصل الكبرى التي بها يتكون الحاكم ويتكون العالم وتنقض العرى ويسوّق المراء ويحتدم الصراع ويفترق الاجتماع.

ولعل في هذه الدراسة عودا مفيدا إلى الشرع المجيد، واتفاقاً مشروعاً على قاسم مشترك يمكن الاحتكام إليه ساعة الاختلاف.. وإن لم يكن هناك خلاف.

ومن سر هذه الدراسة عنوان الموضوع (الاستنفار مرحلة ذات شقين)، وأصل هذه النقطة (الاستنفار) مستمد من دراسة مراحل فقه التحولات، وهو الذي قسم المراحل الغثائية إلى:

١- مرحلة استعمار (علمانية)
٢- مرحلة استهتار (علمنية)
٣- مرحلة استثمار (عولمية)

ويليها مع شيء من التمازج والتداخل والتداول ما عرف بمرحلة

٤- الاستنفار (الصيلمة)

والمراحل السابقة للاستنفار كانت في أصلها تمهيدا لفتنة المسيخ الدجال وهيكله السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتعليمي والتربوي والدعوي والعاطفي والإعلامي.

وكان أكثر هذه المراحل قربا من تنفيذ البرنامج الدجالي هي مرحلة الاستثمار وما يسمى بالعولمة ولغة الإعلام المعاصر، وهي المرحلة التي يؤول أمر الأمة فيها إلى الكفر من حيث القرار وعوامل الاستقرار.

وكان القرار هو الديمقراطية، والاستقرار هو البرامج الإعلامية الاقتصادية الحرة، وتهيئة أجيال الانفعال في المجتمع والأسرة.

ومن أجل هذه البرامج الوضعية كان لابد من تسييس مدلولات القبض والنقض للوصول إلى ثمرات التسييس المرجوة لدى أقطاب التغيير.

وربما استشكل القارئ كلمتي (النقض والقبض) المشار إليهما، وهما عبارتان مأخوذتان من نص قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم

في فقه التحولات وعلامات الساعة: (يقبض العلم) و(لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة) من نقض العلم، وحديث الأعرابي السائل عن الساعة : متى الساعة؟ قال: (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة)، قال: كيف إضاعتها ؟ قال: (إذا وسد الأمر إلى غير أهله) في ضياع الأمانة وتوسيد الأمر إلى غير أهله.

وهذه الكلمات النبوية من جوامع الكلم المعبرة عن حالة الأمة الخاتمة وما تؤول إليه من العلل المؤدية بها إلى التخلي عن ثوابت الديانة والالتزام بنقائض السياسة من حيث ترسمها بيوت المال والأعمال وابتزاز الأجيال، بنماذج الحيلة والخداع والتمويه وأساليب الدجال والضغوط والاستدراج. وشيوع عوامل الهرج والمرج بعد فقدان أسس العلم الشرعي النافع وبعد اندفاع المسلمين في أودية الأخذ بسنن الجاهلية الثانية في ضوابط الحكم ثم ضوابط وآليات العلم، ومنها إلى فقدان هوية التربية وانشطار التعليم وتسييس الدعوة إلى الله وانعدام الاكتفاء الذاتي في طلب الرزق القوام. بما يكون سببا في القلق والفقر وشيوع الصراع الطبقي والطائفي والاعتقادي والسياسي، وتقليد برامج العالم الغربي في المطالبة بالإصلاح واختيار الحزبية المتنازعة والمعارضة المتصارعة لكيان الأنظمة والدولة، أو الوقوع في المسميات السياسية والوضعية كالملك العضوض والتعددية الدستورية وما شاكلها من الاختيارات التي تربطها طوعا أو كرها ببرامج الشرعية الدولية المسيسة.

وكل هذه الظروف المشار إليها قد مرت بنجاح في المراحل المتلاحقة سلفا، وأعطت ثمارها في زرع التفرقة والاختلاف والتكتل المتنوع في الأمة، وأفقدت الأمة قمة وقاعدة خيارها الشرعي واختيارها القطعي، لتنزلق بعلم وبغير علم على نماذج محلية وإقليمية متنوعة ومختلفة في

التطبيـق إلـى ما يلهـب الحماس الطائفـي والحزبي والطبقـي والاجتماعي والسياسـي بضرب كل فريق بالآخر بالنقائض والنواقض ، وتبرز للعيان في آخر الأمر ما سـميت بمرحلة الاسـتنفار ، وهي الآلية المرحلية الأخيرة في مرحلة الغثاء المسيس.

ومرحلة الاستنفار مرحلة عصيبة في العالم كله، وتبرز على شقين:

١- استـنفار مسـيس ينطلـق فـي الأمـة بواسـطة سياسـة المنظمـات والمجموعـات والجماعات والجمعيات والأحـزاب المرتبطة أيديولوجيا بعجلـة السياسـة العالميـة المهيمنة عبر الوسـائط المتنوعة محليـا وإقليميا وعالميا.

٢- استـنفار إيجابي يدرك من خلاله المسـلمون لعبة السياسـة العالمية، وتبـرز لهم أحابيل العالمين الغربي والشـرقي الـذي يعبث بالأمة من خلال برامجه وسياسـته وساسـته، فينقلب المجن على أهله ويرجع السـحر على الساحر، وتنكشف الحقيقة للعقول والقلوب، فيعمل المسلمون على العود إلى البحث عن الحل الصحيح من خلال الإسلام الصحيح على مدى زمني متقارب أو متباعد.

وهـذه المرحلـة هـي الإيجابيـة المنتظـرة ، وبهـا يمهـد الواقع الإنساني لظهور الإمام المهدي رائد مرحلة الاستقرار.

مِن أين تُستمدُّ المواقفُ؟



كانـت المواقف تسـتمد من النصـوص ، أو من أئمة الدين ومشـايخه ، أو مـن عقلاء الأمة ورعاتها ، آباء وأمهات ومربين ومربيات.. وهكذا عاشـت الشـعوب المسـلمة، وهي موضوعنا هنا، بل لو عممنا هذا المعنى على غير الشـعوب المسـلمة في اتخاذهـا المواقف السـلبية أو الإيجابيـة لوجدناها قديمـا تنبع من ذات القنوات النصية أو العقديـة المعتادة، أو من زمرة الآباء والأمهات في كل جنس ولون وأمة.

وكانت هي (القنوات الموجهة للأجيال)، وهي سـبب تماسكها والتزامها بالسـير فـي طريق الاتباع لمن سـلف. حتـى صارت معاني الأبـوة والأبوية في منهجنا الإسـلامي تشـمل الأب الديني والأب الطيني ، وتشـمل الرؤية والمنهج ووحدة الأبنية الفكرية الموجهة، وفيها يقول القائل:

أب يتلقى عن أبيه وهكذا   فيالك من آبا كرام وأجداد

وفيها يقال:

وينشأ ناشئ الفتيان منا   على ما كان عوده أبوه

وبهـذا التسلسـل النصي والقرائـي والتربوي والتعليمي عاش المسـلمون شـرقا ،غربـا شـرفاء كرمـاء معززيـن فـي الأوطـان والحـدود والمعارف، ومدافعيـن فـي حالـة الغـزو الخارجي عـن مبادئهـم وشـرائعهم وعاداتهم وتقاليدهم ، حتى جاء عصر الاختراق والارتزاق، وهـا هو المفصل الخطير الذي نعنيه ، ونود أن نحلله ونظهره ونبديه، ليتعرف المسلم بالخصوص ما دهانا في تاريخنا المتحول، وما هو المكسب الإبليسي الذي حققه الممول والمتمول ، في أزمنة الانتكاس والتحول . والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ولأن أكثر الناس ـ كما جاء في الآية ـ لا يعلمون إذن فلابد من تجريد القلم والقدم والفم لرفع مستوى العلم والبيان ؛ لأن معلم الناس الخير قال: «إذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فليظهره، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل على محمد».

ولن يكون كتم العلم الذي يجب إظهاره في مجتمعات اللعن والطعن إلا علما شرعيا يعادل ما قيل فيه : «ككاتم ما أنزل على محمد»، فهو جزء مما أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ومما أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم : تحرير العقول والقلوب من (رجس الجاهلية) ، والجاهلية مفاهيم وضعية عقلية طبعية، أما مفاهيم الرسالة فوحي وعلوم شرعية، وبها لا بغيرها صارت الأمة خير أمة أخرجت للناس، ومن وظائفها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله.

والذي يجعلها تصير إلى حالة «إذا لعن آخر هذه الأمة أولها» أمر وارد وفكر مارد.. إنه الغزو الخارجي..

وقد ظل الغزو الخارجي ينازع الإسلام وقيمه منذ اللحظة الأولى لنزول القرآن، والغزو الخارجي هو (الفكر الجاهلي ووسائله ومسائله)، ولولا قوة الثبات في السابقين إلى الإسلام والمبشرين بالجنة وسكينة الله على نبيه وآل بيته وصحابته لكانت معارك بدر وأحد وحنين والأحزاب عدا تنازليا في حياة الدعوة الإسلامية العظمى؛ ولكنها بحمد الله وفضله كانت زيادة وسموا وارتقاء ونصرا وبطشة كبرى.

وظلت الجاهلية الأولى وظل رموزها الجاهليون يلاحقون الدعوة الإسلامية جيلا بعد آخر، ويضعون في كل جيل ما استطاعوا من (سياسة التمييع والتطبيع) من جهة، أو سياسة (التقريع والتشنيع) من جهة أخرى.. حتى نما أمر الانحرافات واتسع، وانساق بعض من المسلمين وخنع،

واستتبع النواعق الغازية فركع، وعادت الجاهلية الثانية تدب في عالمنا العربي والإسلامي مع دبيب المركبات وأزيز الطائرات وسياسة الغثاء العلمانية في المجتمعات.. مبتدئة بنقض الحكم وما أدراك ما نقض الحكم.

ثم نقض ثوابت العلم وتنشئة جيل القبض والنقض والوهن وكراهية الموت، ثم شمول العلمنة المحلية والإقليمية بأفواج الخريجين من مدارس ومؤسسات العالم الغربي والشرقي المهيمن، ممن أعاد الصياغة للواقع المخذول، ومزج بين قراح الماء الزلال الطيب ومخلفات البترول، معتقدا النجاح في المعادلة والسلامة في المقابلة، فكان العكس للأمر ثمرة العلمنة، والفشل ضريبة التعامل في أسواق القرصنة، وجلب الشيطان على الجميع بخيله ورجله.. تربية وتعليما ودعوة واقتصادا ودولة ودينا.

واستنوق المجتمعَ الذي استعمره واستثمره، وضرب الأمة بعضها ببعض بما بناه وطوره، حتى امتد بساط العولمة واجتمعت الأزمة كلها بيد عباقرة الجاهلية الثانية، عمالقة الكفر البواح، وصح ما قاله سيد البرية في علامات الساعة «أن تلد الأمة ـ أي: المرأة ـ ربتها أو ربها»، أي: أن يسود في مستوى العلم والاعتقاد والتربية سياسة الكفر وعادات الأمم الجاهلية الثانية، (وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)، أي: أن يسود في مستوى الحكم والاقتصاد فكر التطاول والتنافس والتداول السياسي للسلطة وسيادة رجال المال والأعمال الربوية الأنوية لتندفع لهذا شعوب الأمة الإسلامية قبل غيرها إلى (الدمار وزعزعة الاستقرار)، وخدمة مخرجات (الاستعمار والاستهتار والاستثمار) في مطالبها الحياتية ومظاهرها الوصفية ومشاريعها التجارية والزراعية النباتية والإنباتية.

هذه هي قراءتنا الشرعية للواقع المعاصر، وهي أيضا استجابتنا الواعية لقول من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم: «فمن كان عنده علم فليظهره»، وهي أيضا الرد العلمي على أسئلة المستعمرين والمستهترين

والمستثمرين الذين حاكوا لنا وبنا مؤامرة الفشل والانحدار، حتى بلغوا بنا حالة الانهيار والدمار.

ولـم يعد لنا مخـرج غير النظر الواعي فـي (أطواق النجـاة) ، فليس دونها سـلامة فـي الحيـاة ولا ما بعد الحياة وقد اسـتحوذ الشـيطان علـى الجميع فأنساهم ذكر الله.

ومهمتنا ومن أدرك مهمات العلم الذي يجب إظهاره : كيف نستعيد مبدأنا الشرعي في اتخاذ المواقف؟

وقد سـبق التأصيل لأصول هـذه المواقف وكيف كانـت تتخذ في عصور السـلف الصالحين، وما هي عوامل وأسـباب ذلك.. فالتفاؤل المشـروع لا يقطعـه الواقـع المخدوع، وكسـب القناعات فـي العودة إلى الحـق الثابت أقرب من كسب القناعات لشهوة التغيير نحو الأذى والمرغوب للطباع.

ولابـد مـن الاكتتـاب فـي مشـروع التمسـك بأطـواق النجـاة وإن قـل المستمسـكون بهـا، فالغرض من الاكتتـاب تجديد البلاغ فـي إظهار العلم المكتوم، وتحديد شروط اتخاذ المواقف المستمدة من شرف الأصول.

وفي هذا تجديد لمفهومين:

الأول: تحقيق مبدأ «فمن كان عنده علم فليظهره»

الثانـي: تصحيـح مبـدأ الأخـذ بالأصوليـة التـي أفسـدها الأصوليـون المعاصرون بلوثة العنف والحماس المفضي إلى نقض الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

أمـا مسـألة الجهـاد فـي سـبيل الله علـى وجهـه المشـروع فأمـرٌ تُحَـدِّدُهُ القـراءةُ الواعيـة للنصوص ومخرجاتهـا ، ولا يرتبـط بالمراحل والحوادث والتصـورات لأنه أعلى درجـات المواقف، ولنا في شـأنه حديث آخر يبرز في حينه.

وعوداً على بدء: كيف نستعيد قراءتنا المشروعة لاتخاذ المواقف؟

نحـن أولا وقبـل كل شـيء مسـلمون، ولا يمكن بـأي حال مـن الأحوال تطابقنـا العلمي والعملي مع غير المسـلمين في كل شـؤون العلم والمعرفة ثوابـتَ ومتغيراتٍ، وبهذا تتحدد مسـألة الاختلاف العقدي والشـرعي، وما يترتب عليها من العلم الذي يجب إظهاره في هذه المسألة.

والأمر الثاني أننا جزء من عالم الإنسـانية البشـرية، ولنا مع شـعوب العالم قواسم مشتركة، ولهذا الأمر أيضا دراسة شرعية تتحدد من ذات العلم الذي يجب إظهاره.

وهـذا أول المواقف في شـأن المعرفـة وروافدها الأساسـية، ورائدها في ديانتنـا فكـر العالميـة الإسـلامية، والعالميـة محور علاقتنـا بالحيـاة الدنيا والآخـرة، ومـن لا عالمية له فـي ديانته لا هوية له في معالجة شـؤون حياته ولا حياة غيره.

ومن لم يتعرف من العلم الذي يجب إظهاره على موقعه من عالمية الإسلام في عصـر العولمة المعاصرة لابد أن يرتكس بجهله في علمانية المرحلة أو علمنتها أو عولمتها من حيث يدري ومن حيث لا يدري، وهذا هو المفصل الخطيـر في مفهوم الحديث القائل: فمن كان عنـده علم فليظهره، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل على محمد.

إذن فمشـروع العالميـة الإسـلامية هو الأصل فـي بناء المواقف الشـرعية تجاه التمرحل وما يدور في المراحل سياسـيا واقتصاديا واجتماعيا وتربويا وتعليميا وثقافيا وإعلاميا.

ومثال العالمية الإسـلامية المقتدى به هو رسـول الله صلى الله عليه وآله وسـلم، وهو صمـام الأمان في المواقـف انطلاقا وتوقفا ، سـكونا وحركة، موافقـة ومعارضـة، دينا ودنيـا، حياة وآخـرة، لأنه النبي المعصـوم الذي لا ينطـق عن الهوى إن هـو إلا وحي يوحى ، وكل ما جاء من بعده من المعرفة

والعلم عالة عليه وعلى مرحلته صلى الله عليه وآله وسلم.

والخطأ الذي شاب الأمة الإسلامية في تمرحلها أنها نقلت ثوابت الاقتداء من الاتباع المطلق للمتبوع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلى نماذج المراحل وشخوص التحولات وقادة المعرفة وحملة القرار، وجعلت من الذات النبوية شاهد حال للمرحلة ورموزها وليس العكس، فجاء القيآن والسنة وثمرات الشريعة والدين حاكيا لفهم العلمانيين والعلمنيين والعولميين كل بما يناسب مرحلته ومخرجاته الوضعية.. حتى قال بعض المتأسلمين المتمركسين: إن الإسلام يدعو إلى الاشتراكية ، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلي بن أبي طالب اشتراكي، وأما أبوبكر وعمر فأرستقراطيان !

لأن المتحدث بهذه اللغة منتم إلى الاشتراكية أو متأسلم متأمرك يؤكد أن الإسلام بالاقتصاد الحر والأسهم الاقتصادية الربوية، ومسلم متفرنس يقرأ الإسلام من أفكار جان جاك روسو وأشباهه وأمثاله.. وهلم جرا.

وفي دائرتنا الإسلامية حصر المذهبيون السلامة ومنهج الاتباع في التزام المذهب الواحد، فالإماميون اليوم وقبل اليوم يصرون على هدم المذاهب كلها إلا ما عرف لديهم بالمذهب الإمامي، ومن أهل السنة المذهبية من لا يرى السلامة إلا في دائرة المذهبية السنية وحدها، وفي عمق المذاهب السنية ذاتها من الشافعية من ينكر ويشنع على الحنفية ومن الحنفية من يشنع وينكر على الشافعية، ومثلهما في المالكية والحنبلية والزيدية..

وأخيرا شاهدنا التنكر الكلي في غلاة الوهابية والسلفية للمذاهب الإسلامية كلها بما فيها المذهب الذوقي المعروف بالصوفية ، وعزلوا عمدا وجهرا عن السنة ومذاهبها ، واستصفوا لأنفسهم ولأتباعهم السلامة في الدنيا بما هم عليه، وفي الآخرة بما مارسوه من حرب المصلين والتحريش فيما بينهم.

ولكل فقيه مبرراته فيما يثبته وما ينفيه في نفسه أو في غيره، والشاهد الحي على ما نشير إليه مخرجات التأليف والتصنيف وأجهزة الإعلام وثمرات الأقلام على مدى تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة.

إنها مواقف.. وثمرات معارف.. ولكنها من نموذج المواقف الميتة ، ومن ثمرات المعارف المحنطة ، ولا تمت إلى المتبوع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلا بصلة واحدة: كونها تنتمي في الاسم والرسم إليه، أما في المعاملة التي قال فيها صلى الله عليه وآله وسلم: (الدين المعاملة) فأمر يحير ، ومظهر ملون متحير.

ولهذا وذاك.. فإن الإعادة السديدة ذات الثوابت الأكيدة يجب أن تنبع من الإسلام نفسه لا من تجارب أو رؤى غيره.

والإسلام مجتمع في نصوص الأصلين الثابتين كتاب الله وسنة نبيه، وأما عترته وآل بيته وصحابته فهم أوعية هذا العلم بشروطه، وهم المعادل والحجة والثقل الأصغر بمقدار حملهم لأصول العلم لا لمجرد فروعه المذهبية واختلافات العلماء فيه وعليه، وأيضا بحملهم شرف الأخلاق النبوية ، وهي المعادل الثالث للأصلين كما ورد في النص القرآني (الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة)، والنبوة هي الأخلاق المحمدية على صاحبها وآله أفضل الصلاة والتسليم.

وتعرف في فقه التحولات بسنة الحال، وهي السنة المكملة لسنن المقال والفعال والتقرير المعروفة عند علماء الأصول، وتدخل عند تأصيلها الشرعي تحت حديث «فمن كان عنده علم فليظهره» ، حيث كان العلماء لا يلقون لسنة الحال بالا ، بل انحصر تقريرهم للسنة عند السنن الثلاث القولية والفعلية والتقريرية، وهي السنن التي ارتبطت بدراستهم لأركان الدين الثلاثة الإسلام والإيمان والإحسان، وتوقف التناول للركن الرابع اعتمادا على الاعتناء بالثوابت وحدها، والركن الرابع هو ركن المتغيرات

وعلـوم العلم بعلامات السـاعة وشـؤونها، وفي الاعتناء بـه تجديد لمفهوم قوله صلى الله عليه وآله وسـلم: «إذا لعن آخر هذه الأمة أولها .. الحديث» وحديث «إذا لعن أصحابي..».

ففـي الحديث إشـارة إلـى الظواهر المسيسـة التي تجعل الاختـلاف الفكري والسياسـي والمذهبي لغة العلاقة بين المجموعات فـي أخريات الزمان، وفيها تـذوب المفاهيـم الأدبيـة الجامعة للفرقاء، ويجهـر بالنبز والتلاعن والسـخرية والتعريـض المشـين، ويعلن التكفيـر والإدانة بالخروج عن الملة ، وتشـبيه كل فريق معارضَه بالمجوس أو اليهود أو النصارى أو بأهل الأوثان وعباد الحجارة والنُّصُب.

فلنعد إذن إلى ما نحن بصدده، وما أشـرنا إليه في أول موضوعنا.. من أين تستمد المواقف؟

وللإجابة على هذا الموضوع لابد من الاستمرار في التناول القادم إن شاء الله.. فإلى اللقاء .

أبوبكر علي المشهور
الثلاثاء ٣ ربيع الأول ١٤٣٢

لماذا لا تتفاعلون مع الأحداث وتشاركون الناس في إبداء رأيكم في الظروف؟

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هكـذا تكـررت عليّ الأسـئلة حـول هذا الأمـر وخصوصـا في خضم الاضطرابات التي شـملت العديد من البلاد الإسلامية والعربية ومنها بلادنا فـي هذه المرحلة المعاصرة.. وقيل لنا: إن الجميع من كل جماعة ومذهب وتوجـه أبـدوا رأيهـم وعرفت مواقفهـم ما بيـن مؤيد لمجريـات الأحداث الثورية، وما بين معارض لها، بما لا يدع مجالا إلا بتصنيف كل من الفريقين بما يناسبه.

والإجابة التي تستحق الوقوف قليلا أننا لا نمثل في أحداث الأمس ولا اليوم ولا الغد طرفا، وإنما نحن في كافة التحولات هدف، ومع كل الظروف والأرقام المتباينة لنا مشاركة تنموية وبناء وشرف يتناسب مع مبادئنا الثابتة.

ومن أجل هذا الأمر يجب أن نعرّف الأطراف التي تعبر عن مواقفها من الأحداث ونضع رأينا فيها، ثم نتعرف على نماذج التحولات التي كنا فيها ـ ولا نزال ـ هدفا، ونبين سبب ذلك ودوافعه.

ولكن أيها القارئ الجليل ـ وقبل التناول لما نحن بصدده ـ هل تستشعر سـلامة التحليل الذي سـأضعه بين يديـك.. أم أنت متأثر بالحالـة الراهنة؟ وسـؤالي هـذا يجعلني معذورا فـي صمتي وسـكوتي عن إبـراز وإظهار ما تيسر لي علمه في مجريات الأحداث ومواقف الأثبات، لأن الأذن الصاغية منعدمة، والنفس الواعية منهزمة.

ولكن وقد كلفتني أن أظهر ما عندي رغبة في حمل الأمانة على ظهرك وإسقاط مسؤوليتي فيما أعلم فخذ مني جُمَلاً وعليك متابعة التفصيل.

اعلـم بارك الله فينـا جميعا أن لنا مدرسـةً وطريقةً، وربمـا لغيرنا مثلها أو أحسـن منها ولكني لا يعنيني من الآخرين شـيء غير العلم العام، والنظر للجميـع بعين الاحترام ، ومدرسـتنا عين صلتنا بمدرسـة الإسـلام العالمية

ذات الارتباط المباشر بالكتاب والسنة[1].

من طريقين: طريق العترة الأئمة الأطهار وطريق الإسناد والعدالة بحملة العلم الشرعي الآخذين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأصحاب الأخيار والتابعين لهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القرار والاستقرار.

وكان لهؤلاء جميعاً جملة من المواقف والثوابت أمام التحولات والأحداث جعلت من سلوكهم وتصرفاتهم أسوة وقدوة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[الأنعام:٩٠]، ولأننا هنا نتحدث عن «الأحداث والموقف منها» فإن مدرستنا العالمية كما أشرنا إليها مدرسة مواقف تاريخية شرعية وليست مدرسة حوادث وتحولات مرحلية... وقد رسمت لنا منذ عهد «الخلافة الراشدة» أدباً شرعياً، ونهجاً علمياً عملياً، ربما غفل عنه العديد من الأحفاد والأولاد نتيجة الانفصام الفكري عن الأجداد. ولهذا الانفصام أسباب ليس هنا موقع شرحها.. ولكن شرحها يأتي في لاحق التحليل.

(١) إيضاحا لما ذكر فالمدرسة والطريقة هي الإطار الانتمائي التقليدي للمسلمين قبل مرحلة الاستعمار، وبالتحديد في مرحلة الخلافة الإسلامية، وقد بقي هذا الإطار مستمرا على ضعف في الواقع الشعبي بعد نقض دعائمه السياسية، ولأجل هذا الأمر الهام نجد المسلمين فيما بعد مرحلة الخلافة تعاد تشكيلاتهم وأطرهم الانتمائية وفق سياسة الاستعمار، بدءا بالحزبية وما تلاها من التكتلات الفكرية البديلة التي تؤيدها السياسات الغربية والشرقية وتمنعها الترخيص بالعمل والنشاط الاجتماعي والسياسي، وهذا هو سر عدائها المبطن للتصوف ومدارسه التقليدية، كونها تمثل أطر مرحلة الخلافة، وتعبر عن أنشطتها الاجتماعية، مثلها مثل أطر المذهبية الإسلامية التقليدية بصرف النظر عما فيها من إفراط وتفريط كان العامل المساعد للنقض والرفض والعداوة.

وتجدد هذا الموقف الشرعي بتجدد الحاجة إليه ممتداً من عهد الخلافة الراشدة كما سبق ذكره إلى عهد استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما.. وتجددت بعد هذه المرحلة مواقف مستجدة أخرى ارتبطت بالنصوص وحال القيم لدى الرجال.. ولم ترتبط بالحوادث والتحولات.. ومن أهمها موقف الإمام علي زين العابدين.. وكفى به لنا مدرسة شرعية تربطنا بالمواقف وتعرِّفنا على الجهات التي ارتبطت بالحوادث ديناً ومرحلةً وبراءً وولاءً، كما تعرفنا على الجهات التي اتخذت منا هدفاً وغرضاً ومطمعاً ومطمحاً.

واتسع المجال الشرعي في اتخاذ المواقف مع مجريات التحول ذاتها، إذ ظلَّ موقف الأواخر مرتبطاً بموقف الأوائل لا يحيد عنه ولا ينفك إلا بمقدار مناسبة الزمان والمكان ومستوى التأثير المعرفي والثقافي.

فالإمام العريضي[1] ابن الإمام جعفر الصادق اتخذ موقفه الأدبي المتجدد كما اتخذه جده الإمام علي زين العابدين في ترك مسألة الأخذ والرد في شأن الحكم، واهتدى إلى ما اهتدى إليه سلفه الصالح من الأخذ بشأن حفظ الوراثة والخلافة في العلم باعتبارها المكسب النبوي الأصيل، ولكونها مادة التدين الأساسي في مفهوم التنزيل، ولا مجال للخيار المشترك في حمل الحكم والعلم معا في إطار واحد وقرار واحد، لوجود الضد المُتَّخِذ منا غرضاً وهدفاً، ولوجود المحب المتخذ منا مكسباً ومغنماً ومستنداً، فكان لابد من النظر إلى الشعوب وحصر الأمر المطلوب

(١) واخترت الإمام العريضي هنا مقتصرا على ذكره دون آبائه الكرام باعتبار كونه مفصل تحول في المدرسة التي أتناولها وأدافع عن نهجها ومنطلقها، مع العلم بالمواقف الشرعية للأئمة كلهم، سواء من سلك منهج السلامة أو نهج منهج الخروج على الحاكم، فكلهم أهل حق وصدق وسلامة اجتهاد.

فيها، وتجاوز طرفي الصراع وحملة السلاح من فريقي الاندفاع والانتفاع المنطلقين خلف القرار وامتلاكه، والمحاربين من أجله وفي سبيل الدفاع عنه أو الوصول إليه ، فترك الإمام العريضي مسألة الخروج التي كان يدعو إليها واقتدى بهدي أئمة الآل ممن أشرنا إلى خبرهم سلفا ، وظل كذلك بمنطقة العريض شرق المدينة المنورة قائما بالعلم والدعوة إلى الله حتى وفاته رحمه الله.

ونهج هذا المنهج الأخلاقي من بعده أولاده محمد ، ومن بعده عيسى ، ومن بعده الإمام المهاجر أحمد بن عيسى الذي ترتكز على مواقفه مدرستنا العالمية بحضرموت [1].

ومن هذا المفصل التاريخي الشرعي تبدأ مسألة التسمية لمدرسة حضرموت، وهي المدرسة التي تكونت بمواقف الإمام المهاجر وشرف ارتباطه بأخلاق جده لا بمجرد المذهب وحده، والمذهب له مكانته ومقامه وشرفه، وهذا هو سر تقدير الموقف المناسب لوادي حضرموت ومن فيه.

فالمهاجر ومن سبقه من الأئمة لم ينخرطوا في تقلبات المراحل

---

(١) إن مواقف هؤلاء لا علاقة لها بمسألة المذهب والاختلاف حوله، فسواء كانوا مجتهدين أو كانوا على مذهب الإمامية أو كانوا غير ذلك فالتناول هنا يختص بالمواقف لا بالمذهب، فالأئمة الأطهار نزعوا بأنفسهم منزع السمو في الأخلاق والرقي في الذوق، فلم يكونوا أهل عصبية ولا طائفية ، وإنما كانوا وراثا للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يرعون أمانته في الشعوب، وعليه وعلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم يجمعون القلوب، فكانوا بذلك الثقل الأصغر وسفن النجاة.

وأما الذين اشتغلوا بمسألة المذهب فشأنهم الارتباط بمرحلة الأحداث المتأخرة التي تكون فيها الصراع المذهبي، وتعاقب المختلفون على هذه العلة جيلا بعد آخر مجسدين (صراع الطائفية المذهبية) التي احتدم أمرها حتى اليوم وصارت ديناً وعقيدةً وللأسف.

وتحولات الأحداث ، بل كانت مواقفهم موقف الحفظ لأنفسهم وذراريهم من كلا الجانبين المتنازعين:

مـن موقـف الراغبيـن فـي السـلطان والجـاه، والمالكين للقـرار ظلما وعدوانا ..

ومـن موقف المعارضيـن لهم، والمندفعين في القتل والهتك وإشـاعة القلق، انتقاماً ورغبةً في التغيير والامتلاك..

وفـي وادي حضرمـوت حافظـوا على هذا التـوازن ما اسـتطاعوا دون الولوج في مماحكة الأضداد والأنداد، ولم تكن المذهبية والالتزام بنشرها هدفهم الأكبر، وإنما كانت وحدة الصف وجمع الكلمة والنظر في القواسم المشـتركة والرجوع إلى المحاججة بالتي هي أحسـن، حتى امتلكوا قلوب المصليـن ولم يمتلكوا رقابهم، وأقاموا شـرف الخدمة العلمية والعملية في كافـة مناحـي الحياة منذ ذلـك العصر المتقدم جيلا بعد آخـر . (وللقارئ أن يتابـع ما كتبه المؤرخـون عن هذه المرحلـة الطويلة وما جـرى أثناءها) مع علمنا جميعا بشـحة المصادر وقلة ما كتب عنها بتفصيل، ولكن الأمر الذي نحن بصدده لا يحتاج إلى أكثر مما قد كتب وذكر.

ومنـذ مرحلـة الإمـام المهاجـر وحتـى مرحلـة الفقيـه المقـدم كان المجتمع كله يشهد الترسـيخ المتدرج بمنهج السلامة والحكمة والموعظة الحسـنة، ويتجسـد في جميع أتباع المدرسة وموقف التوازن مع التحولات والأحداث، فإذا ما احتدم الأمر واختلف الناس على كرسـي الحكم وخلد القوم إلى التوسط في الشؤون، وإذا ما اجتمع رأي الناس على القرار حمدوا الله وأقاموا منهج السـلامة في الشـعوب بالعلم والعمل ونشـر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسـنة، وهكذا حتـى مرحلة الفقيه المقدم، وهي المرحلـة التي كثـرت فيها وقبلها جملة مـن الفتن السياسـية والمماحكات السلطوية سواء في عواصم البلاد الإسلامية أو في الأقاليم العربية واليمانية

، ورأى الفقيه المقدم آنذاك حاجة آل البيت بالخصوص لاتخاذ موقف عملي يساعدهم على حفظ ذواتهم وصون أعراضهم من أولئك الذين لا يرقبون في مؤمن إِلاًّ ولا ذمةً، من أولي الجاهات السلطوية والقبائل العنجهية ، فدبر الأمر من كل وجه وأعلن قراره الشجاع على صفتين:

الأولى: اختيار مبدأ التصوف كمنهج فكري يحمل صفة (السلامة) وبناء الذوات على طريق الحكمة والموعظة الحسنة في نشر الدعوة، وكان هذا المنهج هو الظاهر في القرن السادس والسابع الهجريين على مستوى العالم العربي والإسلامي كبديل عملي للصراع السياسي المحتدم فيه بين دعاة البيوتات الحاكمة والعالمة، سواء من داخل الأمة الإسلامية كالدولة العباسية ومواقفها من عموم المنتمين إلى العلويين آنذاك، أو من الأمم الطامعة ذات الفكر الصليبي كأوروبا أو الفكر الوثني الهمجي كالمغول والتتار، أو من الأمراء المتنفذين في الأقاليم، فالجميع يعيش حالة غليان ومنافسة وتحريش ومعارك دموية متنوعة، وكان العالم في هذه المرحلة قد شهد امتداد التصوف الإسلامي المعتدل على صفتين:

- التصوف الإسلامي في المشرق على يد أتباع الشيخ عبدالقادر الجيلاني.
- وفي المغرب على يد أتباع الشيخ شعيب أبي مدين التلمساني.

ويبدو أن الفقيه المقدم رغب في الارتباط بالطريقة الشعيبية المغربية باعتبار قدرته من خلالها على وضع منهج محلي إقليمي غير ملتزم للقواعد الشعيبية ذاتها ما عدا الانتساب العام، خلافا للطريقة القادرية التي بدأ ظهورها وانتشرت في أنحاء من حضرموت وصارت قواعدها معروفة وثابتة يصعب اختراقها وتطويعها، فأخذ بما عرف من القصة الشهيرة والمتداولة في كتب التراجم، والقصة على طولها وتنوع رواياتها وكثرة منتقديها تظل بالنسبة لمدرستنا مجرد سند اجتماعي مؤقت لا يقف على

أمرها تاريخ المدرسة الحضرمية ولا الطريقة الباعلوية في امتدادها اللاحق بحضرموت.. وإنما كان دورها العملي ساعة قدوم الشيخ الصالح المغربي وارتباط الفقيه المقدم والشيخ سعيد بن عيسى العمودي به في الوادي ،كمعادل فكري عالمي يرجِّحُ موقف الفقيه وطريقته أمام المعادل المذهبي السائد والصوفي القادري المنتشر في دوعن وغيرها.

ومثل هذا لا يشير إلى منافسة بين الطريقتين وإنما يبين التلاحم المشترك بين الأتباع للطرق الصوفية آنذاك، حيث ثبت أن من آخذي الإجازة والخرقة عن الشيخ الصالح المغربي مقدم الطريقة القادرية المعروف بالشيخ باعمر صاحب عورة، فالجميع ينهجون طريقا مشتركا وإن اختلفت أساليب طرائقهم .

وهذا ما تؤكده لنا مجريات النهج الصوفي الجديد الذي اعتنى به الإمامان العلمان الفقيه المقدم والشيخ العمودي، وصار منهج المدرسة والطريقة الحضرمية عبر التاريخ اللاحق إلى اليوم.

الثانية: اختيار مبدأ كسر السيف والتعايش السلمي مع الجميع ، وكان هذا المبدأ لاحقا للمبدأ الأول وثمرة من ثمرات ترسيخه، ويكاد ان يكون هذا المبدأ محور الأهمية ومفصل النجاح في امتداد الطريقة العلوية والمدرسة الحضرمية معا[1] .

وكلا الموقفين موقف السلامة الأول الذي رسخه المهاجر وموقف

---

(١) عندما نقول : (المدرسة الحضرمية) فالموضوع يشمل الطريقة الباعلوية والقادرية والشاذلية وغيرها ومدارس الفقه المتنوع في حضرموت منذ عهد المهاجر وما تلاه باعتبار الجميع مرتبطين بالمدرسة الإسلامية العامة عن طريق المهاجر، وأما الطريقة الباعلوية تحديدا فهي المنهج الصوفي المذهبي الذي شمل حضرموت وغيرها تحت إطار الثوابت الخمسة: العلم والعمل والورع والإخلاص والخوف من الله من عصر الفقيه المقدم وما تلاه إلى اليوم.

السلامة الثاني الذي رسخه الفقيه المقدم جعلا من مدرسة حضرموت وطريقتها مثالا يحتذى في السلم والحرب والمنشط والمكره والداخل والخارج.

وهذا ما نحن الآن نعتني بتقعيده وتبويبه وإظهاره وإشهاره كنموذج عملي مترابط ومتماسك عبر الأزمنة والمتحولة والعصور المتلونة، بصرف النظر عمن لا يعجبه ذلك أو يراه منا تعصبا وتشبثا بما لا ينفع .

فهذا المنهج المتداخل مرّ منذ عهد الفقيه إلى زماننا وعصرنا بمراحل انحسار ومراحل امتداد، وكلها يحتاج إلى عمق دراسة وتابعة للاستفادة من كلا الحالتين ومواقف رجالها من التغيرات والأحداث المتمرحلة، فهذا هو موضوعنا هنا، حيث احتار الجيل المعاصر من أتباع المدرسة والطريقة بين الارتباط التقليدي المجهول وبين التفاعل العصري المعلول، وهم يعلمون مفهوم الحمول الذي توارثناه بالتواتر السلالي، لا بالنصوص المكتوبة في شأن المواقف السياسية والاجتماعية عند التحول.

فالغالبية لا يعرفون المواقف العملية ولا المواقف النصية النقلية، وإن فهموا شيئا من ذلك فقد فهموه بالرتابة المعهودة التي تجعل من المدرسة والطريقة هدفا للانتقاد، وغرضا للطعن في المنهج والاعتقاد.

والانتقاد والطعن إنما هو (شنشنة أخزم) كما هو معهود في كل عصر وزمان، ولهذا فالأتباع وأبناء المدرسة والطريقة مدعوون إلى موقف متجدد راسخ يعرفهم شرف التواتر العلمي الشرعي المرتبط بالأصول الأولى، ويجعلهم بعد الدراسة الواعية يستشعرون عظمة المنهج والتسلسل السندي فيه وشرف الانتماء إليه، وأنه بلا شك ولا خلاف أحد نماذج السلامة المطروحة في ساحة المرحلة لمعالجة الأزمات الناخرة في مجتمعاتنا المتناقضة إن لم نقل أنه أفضلها بلا منازع.

والجزم بهذه الأفضلية لا ينطلق من الحماس المطلق ولا الرغبة في

المجازفـة بالمنهـج ورجالـه ، وإنمـا هو دعـوة واعية للجيـل المعاصر من كافة المنتمين للمدرسـة والطريقة أن يعيدوا النظر من كافة الوجوه لدراسـة طريقتهم ومدرستهم دراسة تتلاءم مع كافة وسائل البحث العلمي المعاصر، وبهذه الدراسـة الواعيـة يتم الإحياء والإنقاذ والإعـادة ولو بعد حين.. فهل من مستجيب ؟...

من لم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم

بسم الله الرحمن الرحيم

تمر الأمة الإسلامية بمرحلة انتقالية خطيرة.. إنها الخروج ببطء من مرحلة الاستثمار إلى مرحلة الاستنفار ، وبها تخرج أيضا من أوج مرحلة العولمة إلى أوج مرحلة الصيلمة[1] المؤدية بالضرورة المستقبل إلى عودة العالمية الإسلامية الكبرى.. ولكل أجل كتاب.

إن قراءتنا للأحداث الجارية في عالمنا العربي والإسلامي لا تعتمد على مخرجات الإعلام وصراع الأقلام ، «وإنما تضعها مادة معرفية ودلالة موضوعية لما قد نطقت به لسان من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنه الأصل في تحليل الواقع المعاصر، كما أنه الأساس الشرعي في تقييم العهد الغابر، ولسنا ملزمين ولا من نحن ندعوهم إلى معرفة الحقيقة من هذه الأمة المباركة بأن ندخل حلبة الصراع المؤجج بين حملة القرار وكتل الانشطار، فالصراع المؤجج في حلبة المجتمعات وساحات الجماعات معركة لابد منها في قاموس العمل السياسي المعاصر ، لأنها قائمة على مبدأ الفعل ورد الفعل ، والإسلام الحق يسمي هذا القانون العلمي (مبدأ

---

(١) والصيلم أو الصيلمة مأخوذة من معنى الحديث المرويِّ عن المصطفى ﷺ : «**يكونُ في الأمةِ خمسٌ** - أي : من الفِتَنِ وذَكَرَ الأربعَ - ثم قال: **وبَقِيَتْ واحدةٌ وهي الصَّيْلَمُ**».
ثم قال الراوي : (وهي فيكم يا أهل الشام ، فإنِ أدركتَها فإنِ استطعتَ أن تكونَ حَجَراً فَكُنْهُ ، ولا تكنْ مع واحدٍ من الفريقينِ.. وإلَا فاتخذْ نَفَقاً في الأرض) مسند أحمد (٢٠٦٩٦) ، وفي رواية: فقلنا: أنت سمعتَ هذا من النبي ﷺ ؟ قال : نعم. والمقصود بقوله: (وهي فيكم يا أهل الشام) أنها فتنةٌ تبدأُ في موقع آخر ثم تتسعُ حتى تبلغَ الشامَ، فعندها تسمى الصَّيْلَمَ .

ويؤيد ذلك ما أُثِرَ عنِ ابنِ مسعودٍ: (كُلُّ فتنةٍ شَوًى حتى تكونَ بالشام، فإذا كانتْ بالشام فهي الصَّيْلَمُ، وهي الظُلْمَةُ) الفتن لنعيم بن حماد (٦٥٩) ، ومعنى الصَّيْلَمِ: الدَّاهِيَةُ أو الكارثةُ التي تستأصلُ كل شيءٍ.

التحريـش والمنافسـة)؛ لأنـه في الأصل قانون يفسـر حركة المـادة وحدها ولا يرتبط بالشـرائع والأخلاقيات ؛ إلا أن الفكر الاستعماري والاستهتاري والاستثماري اقتنص المراحل الثلاث ـ مرحلة العلمانية والعلمنة والعولمة ـ لتكريـس العمـل الـدؤوب لترسـيخ هـذا المبدأ فـي الشـعوب، فصارت المبـادئ المسيسـة سـلوك الكتـل والجماعات والـدول بعلـم وبغير علم، وبوعي حينا وبغير وعي أحيانا أخرى، حتى صار المسـلم والمتأسـلم يفسر الأحداث ويعالجها ويرسـم مستقبلها من خلال هذه القوانين الوضعية ، بل ويضطر بها إلى أن يرضخ الأحكام الشـرعية والأخلاق الإسلامية لمصلحة القانون البشـري المادي المجرد، وليس أدل على هذه الحالة من الشـواهد القائمـة في العالمين العربي والإسـلامي بدءا من مرحلة الاسـتعمار ونهاية بنهاية مرحلة الاستثمار التي نحن اليوم نعاصرها.

ولعـل كثيـرا مـن المفكرين والمثقفيـن المعاصريـن يضيقـون ذرعا بهذا التحليـل العقيـم كما يعتقـدون ، ويرغبـون في الـرؤى العملية التـي ترتبط بالواقـع وثقافته ومخرجاته، ويودون أن يعرفوا وجهة نظرنا ونظر مدرسـتنا من الأحداث الدائرة في المرحلة الجائرة.

وإجابتنا الواعية إن شاء الله لا تأتي بجديد ولا تتأثر بالانفعالات التي تبرز مـع دعوات التغييـر والتجديد، وإنمـا ترجع إلى النظـر العميق في نصوص الشـريعة الغـراء وتتمسـك بالثوابـت الإيمانية الكبـرى، ومـن خلالها تقرأ التغييـر وتفهم هوية التجديد، وتسـهم بذلك في رسـم المواقـف الإيجابية المثمـرة بعيدا عـن الصراع الطبقي أو الاعتقـادي أو الاقتصادي أو الطائفي أو القبلي أو المناطقي أو السياسي أو السلالي المسيس.

ولهذا فإننا نقرأ عنوان المقالة (من لهم يهتم لأمر المسـلمين فليس منهم) علـى صفة الشـرعية الإسـلامية الثابتـة في النصـوص، وليس علـى بيانات ومواقـف وأجنـدات الجماعـات المتناحـرة فـي البنيـان الاجتماعـي غيـر

المرصوص، ولنا معهم في المرحلة المعاصرة قواسم مشتركة في السكون والحركة، وهي ضابط العلاقة ساعة الخوف، أو ساعة الأمان، فالقواسم المشتركة قاعدة من قواعد الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي مع كل الأطياف المتحركة والساكنة والقوى الحاكمة والمحكومة والحالمة في المجتمع الواحد والأمل الواعد . فأمر المسلمين من وجهة نظر الإسلام (شرف الديانة) ، وهي قاسمنا المشترك في المراحل المتحولة مع كل الأطياف والأمم ، وهي أيضا قاعدة وسطيتنا الشرعية واعتدالنا الواعي، وهي أيضا ورقتنا العلمية والعملية التي نراها تحل المشكلة القائمة بين (القوى المتعارضة) ولا نرى في غيرها حلا جذريا ولا أملا حقيقيا يَبلغ بنا وبهم بر السلامة والأمان.

إن وجهة نظر الإسلام الصحيحة غير وجهة نظر الكثير من المسلمين وغير المسلمين اليوم، بل ربما تخالف وجهة نظرنا الاستسلامية ذات الارتباط المباشر بموقفنا من المرحلة ومجرياتها كما وقفها أسلافنا من المراحل المضطربة . ولهذا فإن الحديث عن الإسلام وأنه يحمل الحل كما يأتي على ألسنة البعض اليوم، وما نسمعه من خط معاكس لا يرى الحل في الإسلام وإنما قد يراه في الرؤى والأفكار الديمقراطية المعاصرة، أو في التوليفات الفكرية التجريبية لبعض الأنظمة والمنظمات فإنه أمر يحتاج في جانبيه إلى تمحيص وتحقيق ، وخصوصا أن القرار الإسلامي الحقيقي قرار مجزأ في الواقع المعاصر اليوم، وأغلب المنطلقات السياسية فيه مرتبطة بالإطار الحزبي المسيس محليا وإقليميا وعالميا ، وعلى هذا فمسألة الحل الإسلامي من خلالها مسألة جزئية لا كلية، أما غيرها ممن لا يرى في الإسلام حلا فحكمه حكم الإطار الذي ينطلق منه ويرجع إليه، والإطار المعترف به اليوم إنما هو جزء من (مشروع السياسة الدولية) ، والسياسة الدولية في حقيقتها (قرار الكفر والكافر) سلما وحربا.. سياسة واقتصادا

وتربية وتعليما وثقافة وإعلاما وهلم جرا.. وهي السياسة التي تنبأ عنها من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: «لتتعبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه».

وحتى نكون صادقين مع أنفسنا بعد صدقنا مع مولانا فنحن لا نفهم الاهتمام بأمر المسلمين من حيثيات صراعهم على السلطة وقرار الحكم، وإنما اهتمامنا بأمر المسلمين من حيث تزكيتهم وتربيتهم بأخلاق الديانة والعبادة، ثم تعليمهم ما هم إليه محتاجون في تحصيل كفايتهم وحاجتهم المعيشية، ليضمنوا بذلك عيشا مستقرا وموقفا شريفا لا يتحملون به تبعة ولا ظلما، ولا تقع ألسنتهم في ذم ولا أيديهم في دم، وهذا هو حدنا الأدنى في مراحل الاستتباع والصراع ، وربما كان لنا موقف أكثر إيجابية ساعة ضمان السلامة في مواقف الجهاد في سبيل الله، دون الاشتغال بمسألة الحكم والصراع على امتلاكه أو تركه، فمسألة الحكم وامتلاكه أو تركه مسألة مرتبطة بالدنيا وحدها، وهي السبب الرئيس في إسالة الدماء وانتهاك الحمى والزج بالقبلية والطائفية والطبقية والسلالية والمناطقية في الولاء والانتماء، وأما وسطيتنا الشرعية واعتدالنا الواعي فمرتبط بما يرضي الله في السلم والحرب والولاء والبراء والدنيا والآخرة، وحيثما كانت السلامة أقرب إلينا في مسيرة الحياتين كان ذلك خيارنا الأزلي ومفصلنا المرحلي إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا.

وهذا هو فهمنا عن مسألة الاهتمام بأمر المسلمين ، وما نحن بصدد ترسيخه في شبابنا وطلابنا وتلاميذنا، ومن يعنيه الأخذ بوجهة نظرنا من شرائح الأمة كلها.

وإذا كانت مراحل التحول لا تسمح لنا بالتوسط المشروع ؛ ولا الاعتدال المجموع ؛ فإن لدينا من الصبر والتريث على الواقع المضطرب والتوازن مع فئاته المتصارعة بالحكمة والموعظة الحسنة الشيء الكثير، حتى يأتي

الوقـت الذي يمد إلينا عقلاء المرحلة فيه أيديهم للتعاون المشـترك في بناء الاستقرار العلمي والعملي والاجتماعي، الذي به تستقيم الشعوب ويستمر أثرها وتأثيرها المنشود.

إن مـن طلابنـا وإخواننا من لا يعـي موقفه في المرحلـة ، ولا يدرك أبعاد المعاملـة مع رمـوز المرحلة، وقـد يندفع إلى حلبة سـوق العرض والطلب منتحـرا لإثبات وطنيته وسـلامة منطلقه ومشـروعية هويته فيحـرق أوراقه، ويسـتنفد الوقت بيـن وسـائل التحريش والإثارة أو مسـائل المناقشـة على الجدارة والإدارة، فيحبط مما يرى وينهار من سوء الاجتراء وكثرة الافتراء، وينظـر إلى الحياة من جانبها السـوداوي المظلم، وهذه علـة أودت بالكثير مـن الأتباع إلى ما وراء الجدران، والوقوع في بعض نماذج الاسـتحواذ من الشيطان.

والأمـر في حقيقتـه ليس كذلـك ، وحقيقته فـي تفهم المبـادئ المرحلية ذات العلاقـة بالاضطرابات والتحولات وتفهم المبادئ الثابتة ذات العلاقة باسـتقرار ظـروف المسـلم في مطلـق الحيـاة، وخصوصا من هـذا الصنف (الهابيلي) الذي يختار السـلامة والموت على الإيمان ، مظلوما لا ظالما .. ومسالما لا مستسلما..

إن مراحل التحول في حياة الشـعوب مراحل خطيرة للغاية، ولا ينفع فيها استعمال قوة من حاكم، ولا غزارة علم من عالـم، ولا زيادة فهم من حكيم، وإنما الذي يبقى للجميع شـرف الأمانة والمواطنة وحسـن التصرف القائم على احترام الرأي والرأي الآخر ،والدفع بالتي هي أحسـن، ووضع اليد في أيـدي الشـرفاء المخلصين لله والدين والوطن، من أجل سـلامة الشـعوب واعتصامها تحقيقها للأمل المطلوب.

* * *

لقد مر قرن من الزمان على مرحلة التحرر الوطني من الاستعمار في مصر، وقادت مصر حينها ثورة الشعب العربي كله بقيادة الأحرار الشرفاء، حتى عمت الثورة عالمنا العربي كله، تحت سمع وبصر العالم الشرقي والغربي المستثمر ، وهانحن اليوم أمام مفصل تاريخي جديد، تهب فيه مصر بشعبها الثوري العريق لتسجل مرحلة استنفار جديدة في حياتنا المعاصرة تجعل العالم الغربي والشرقي في وضع لا يحسد عليه، وإننا كأمة ذات تاريخ شرعي ثابت نسأل الله تعالى أن يجعلها مرحلة خير وشرف وأمانة، تتجلى فيها مطالب الأمة الإسلامية والعربية في أسمى صورها الأزلية، بعيداً عن استثمار الدجاجلة النفعيين لإفراغ الثورات عن أهدافها الحقيقية، اللهم آمين..

* * *

لقد بدأت مرحلة الاستنفار التي وعد بها من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم في أمته ، وإن على العقلاء من هذه الأمة التزام شرف الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي في كافة مراحل التحول والتغيير، فللشيطان فيها صولات وجولات، وبها يضع في الشعوب ثائرة التحريش والمنافسة ليحقق هدفه الأسمى (فرق تسد). وبالتفرقة والصراع يعود الجميع مرة أخرى إلى مربع الإحباط والفشل في المواقف والعمل، وتتجلى الفتن ومضلاتها في استثمار الشيطان للأحداث وإضاعة الشعوب عن أسباب الاستقرار ودفعها لوسائل الاجتثاث.

تأثير الأحداث على علاقتنا بعالم الأجداث

بسم الله الرحمن الرحيم

مـن أعظم النعم الكبرى على الإنسـان فـي الحياة الدنيوية شـمول الأمن والاسـتقرار، وبمقدار انتشـار هذا الشـأن بين الناس تبـرز المواهب وتزداد الأرزاق والمكاسـب، وتتسع الأسـباب في المعرفة والعلم وثمراتها الدينية والدنيوية، ويعرف الإنسـان قدر نفسـه وقدر ما يكلفه اللـه به من الواجبات والمندوبات والأعمال الصالحات، كما يتعرف على شرف الآباء الصالحين والأمهات الصالحات، ممن كان لهم الدور الأكبر في حفظ القيم والأخلاق الشرعية المقتبسة من شرف الديانة وميراث الأمانة.

تلـك الأمانة التي تعادل الأمن في الحيـاة الدنيا حيث لا ينفع أمن بلا أمنة شـرعية، ولا تطبق أمانة شـرعية ولا وضعية عند انعدام الأمن في المجتمع، ولأجـل هـذا المطلب المشـروع جاءت الحدود الشـرعية مـن جلد ورجم الزانـي وقطـع يد السـارق وإقامـة حد القصاص علـى القاتـل وتعزير قاطع الطريق بالقطع والأرجل نكالا من الله.. إلى غير ذلك من القوانين الشرعية التي تسـهم في بسـط الأمن المشـروع في الحياة، وبهذا تتبيـن عظمة الدين الإسلامي في ضبط الحياتين وسلامة الدارين.

ولقد شـهدنا في حياتنا المحدودة آثار اضطراب الأمن وانعكاسـات هذا الاضطراب على كافة شـؤون المجتمع ، بما لا يدع مجالا للشـك أن الأمن أسـاس التنمية والبناء وأصل سعادة الإنسـان، وأن القادرين على العطاء في أي مرحلة يكون ربيعهم المثمر من المجتمع واستقراره.

وبلادنـا اليمانيـة كان لها الحظ الأوفـر من هذه العطـاءات خلال مراحل الاسـتقرار وشـمول الأمـن الاجتماعـي، مقارنـة بالمراحـل السـابقة ذات الاضطـراب والقلـق. وكانت مرحلـة امتداد الوحـدة المباركة أشـمل هذه المراحـل فـي حياتنا المعاصرة، بصـرف النظر عن الأيديولوجية السياسـية

وعلاقتها بالجذر الإسلامي الأساسي لا المرحلي، وخصوصا فيما يتعلق بنشاط مدرستنا الدعوية وامتداد فعالياتها الإيجابية في الوطن المبارك وخارجه، فهذه المسألة لها تناول آخر ليس موضوعنا هنا.

وقد أشرنا في عنوان الموضوع إلى (تأثير الأحداث على علاقاتنا بعالم الأجداث)، والمقصود بهذا العنوان لفت نظر المهتمين في بلادنا بالمظاهر العلمية والتربوية والدعوية التي رافقت وترافق إحياء المناسبات الأساسية والقياسية التي تحييها مدرستنا كل عام.

والسؤال الناشئ هنا: لماذا تتأثر مناسباتنا بالأحداث مع أنها ليست طرفا فيها كما ندعي؟

والجواب: لأن نشاطنا المعاصر يخص المجتمع الآمن ويعيد صياغته من داخله، وليس مختصا بمسألة أمجاد الموتى وذكرياتهم الماضية كما يعتقد البعض، أو كما يؤدي هذا الدور بعض المنتمين إلى مدارس التصوف الإسلامي المتوارث، فأمجاد الماضين من العلماء والمصلحين في برنامجنا العلمي والعملي مجرد مناسبة قياسية نستفيد منها في اختراق الماضي المجيد، للاقتباس الإيجابي منه واختراق الحاضر الجديد، لإعادة ترتيبه وتوجيه أجيالنا فيه إلى المنهج الوسطي الشرعي المعتدل.

وهذا هو سر تأثرنا بالأحداث سلبا وإيجابا..

فعلى سبيل المثال لا الحصر..

مناسبة الذكرى السنوية لدخول الإمام العيدروس العدني إلى مدينة عدن في شهر ربيع الثاني من كل عام،لقد ظلت هذه المناسبة عند أهالي عدن مظهرا شعبيا وفرحة اجتماعية تزخر بالعادات والتقاليد المتنوعة إيجابية وسلبية، حتى بلغت أوج مبلغها في مراحل التغير والتحول الاجتماعي والسياسي بعيد الاستقلال، لتصبح هذه المناسبة وصمة عار في جبين مدرستنا الإسلامية، يتذرع بعاداتها وتقاليدها أتباع المدارس الإسلامية

الجديدة ذات العلاقة المباشـرة بما بعد مرحلة الخلافة الإسـلامية، لنسـف عقائد وعادات المحبين والأولياء والمتعلقين بمقاماتهم وتفسيرها بالشرك والكفر والوثنية، وارتفعت حرارة المواجهة بين المدرسـتين بعد الاستقلال بتلـك الهجمة الشرسـة التـي تبنتها عناصـر مجهولة الهوية فـي مدينة عدن وقامـت بتحطيم كافة مظاهر المقام والضريـح المعروف للإمام أبي بكر بن عبدالله العيدروس، بل ونبشت بعض القبور وأخرجت منها العظام وقامت بحرقهـا في شـارع المدينة علنا جهارا، واسـتولى عناصرهـا على جملة من موروثات المقام ونفائسه وذهبوا بها إلى مكان غير معلوم.

هنـا يقف العقـل والقلب مع الأحـداث وأثرها وتأثيرها، فالمدرسـة التي نحن ننتمي إليها قد بلغت في هذه المرحلة إلى مستوى الحضيض في أعين حملة لواء التغيير، وكانت الإجابة العملية ضد تخلفنا وجاهليتنا كما سـمي هدم كل شـيء وحـرق الأجـداث الميتة، انتصـارا للتوحيد ورفضا لشـعار التجديد، وكان لنا من هذا الحدث درس وتأثر وتأثير ، كما أشرنا في عنوان الموضوع (تأثير الأحداث على علاقتنا بعالم الأجداث).

فالذين يعيبون علينا توقف نشاطنا اليوم في مناسبة الذكرى السنوية عليهم أن يقـرؤوا موقفنا بالأمس عند هـدم وحرق هذه المظاهر الأبوية، فنحن في كلا الحالتين ننطلق من منطلق واع في الحركة والتوقف، ولسـنا في حركتنا أو توقفنـا نطلـق من مجـرد الذكرى أو مجـرد التقديس المطلـق للمقامات وأربابهـا ، فالتقاليـد المألوفـة فـي الذكـرى ظلـت قائمة ومسـتمرة بصورة وأخرى في أكثر من حولية ومناسـبة لأولياء عدن وما حولها وستسـتمر مع كل إعادة سنوية معتادة.

وإنمـا الـذي توقـف وانقطع سـيره وإظهاره مـا عرفه مسـجد العيدروس بالخصوص مـن تخرج الطلاب الجامعيين ، وسـماع بحوثهم العلمية التي كان المسـجد يعج بها طيلة أيام المناسـبة، كما توقف الاحتفال العام الذي

يعكس بهجة الجميع بالأمن الاجتماعي الشامل ليحضر الناطق باسم القرار والناطق باسم العلم والدين والناطق باسم الشعوب والناطق باسم الشباب والناطق باسم التاريخ والذكرى.

وسبب التوقف يرجع إلى معنى الحديث الشريف «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

وإذا اضطرب القلب في نبضاته واعتل في مقوماته فلاشك أن الاعتلال والاضطراب يشمل الجسد المتحرك كله، وإن كانت بعض أطراف الجسد غير معلولة ولا مشلولة، ولكن الجسد بأعضائه السليمة يتأثر بما يتأثر به القلب النابض ، وإذا ما بدأ العلاج يعم القلب ويعيد توازن نبضاته عادت العافية إلى بقية أجزاء الجسد الواحد لتؤدي دورها الوظيفي بأفضل النماذج والأحوال.

والجسد الذي نحن نعيشه عاش مدى زمنيا ولا زال يعاني من رياح العلل والأمراض مرة بعد أخرى، وسر ذلك يعود إلى فقدان المنظومة العربية والإسلامية قرارها المشترك.. ووقوعها في أزمة الاستتباع للمستعمرين والمستثمرين الذين يهمهم اضطراب القلب واضطراب الجسد الممزق لتظل الحاجة إليهم قائمة على أشدها تحت مبرر العلاج حينا ومبرر النقاهة والحماية من الأمراض المتوقعة حينا آخر.

والحقيقة المغيبة أن العلة الحقيقية إنما هي في هذه السياسات العالمية التي استوعبت مصالحها في العالم وتمكنت من امتلاك الوسائل المؤدية إلى قرار الفعل ورد الفعل، سواء على مستوى استعمار الأرض وما بعد الاستعمار، أو على مستوى ثقافة الشعوب وتركيب ولاءاتها وانتماءاتها وتحويلها من الولاء الشرعي للمتوارث، إلى الولاء الوضعي المتناقض، القائم على سياسة (فرق تسد)، وتربية الأجيال المستعمرة والمستثمرة على استيراتيجية الاستتباع الأعمى، مرحلة بعد أخرى بواسطة الأفكار الحزبية

والانتماءات الشرقية والغربية .

ولـم يقـف الأمر عند ذلـك، بل اقتنصـت الاختلاف المذهبـي والطائفي والاعتقـادي والطبقـي فـي مجتمعاتنـا العربيـة والإسـلامية، لتجعـل منـه مـادة احتـدام وانهزام وصـراع، بتغليب مذهـب على آخر، وفئـة دينية على معارضتها بوسـائل الحراك والامتلاك والانتهاك.. وهذا هو ما عاناه شـعب الجزيرة العربية وما حولها من الشعوب الأخرى بين (المنافسة والتحريش) سنين عددا..

واليـوم ـ ونحن مع مجريات الأحداث ـ نجد حالنا وحال الأمة في وضع لا تحسد عليه ، ولا تعلم كيف سيكون آخره ونتيجته، ولا تدري ما مستقبلها من النواقض والنقائض والفتن المضلة، وكل ما نعلمه في هذه الحالة الراهنة أن نردد ما علمنا إياه كتاب الله عند حلول المصاعب والمتاعب: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾[البقرة:١٥٦] .

ونوصـي أبناءنـا وإخواننا وأهل ودنا ومدرسـتنا بما علمنا إيـاه مولانا في كتابـه العزيز: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾[آل عمران:١٧٤-١٧٣] .

والمقصـود بهـذا النـداء تذكير مـن نخاطبهـم ونرجو أن يدركـوا ما نحن بصـدده أن حقيقـة المخـرج من هـذه الأزمات، ولـو بصفة ذاتية أو أسـرية أو حتـى انتمائيـة طرائقيـة وقتية هو الرجـوع إلى الله كما أمرنـا بذلك، وأن السـلامة كلهـا في ترتيب حـالات رجوعنـا إلى اللـه جميعا، وألا تسـتفزنا الأحداث والتحولات، بل يجب أن نقرأها من خلال كلام الله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾[آل عمران:١٧٣] .

والمعلـوم أن الأحداث والتحولات من وجهة نظر الإسـلام (فتن مضلة)

على مدى التاريخ الإسلامي كله، بدءا بما جرى في عهود الخلافة الراشدة، ومرورا بسقوط قرار الخلافة العالمية في العهد العثماني، ونهاية بتلاحق الأحداث المتقلبة في مراحل الاستعمار والاستهتار والاستثمار، وما نحن اليوم فيه من بدايات مرحلة الاستنفار.

أما من وجهة نظر الإعلام وأنظمة الصراع الحزبي والفئوي القائم على سياسة الإعلام والاستسلام، فمنهم من يسميها ثورة، ومنه من يسميها معارضة أو ثورة مضادة، وهذه التسمية من وجهة نظر المرحلة ومعطياتها جزء من الثقافة المطروحة لفلسفة المرحلة وتحولاتها عالميا وإقليميا وعالميا.. ولا خيار غيرها في لغة التعبير وعجلة التغيير.

وموقعنا دائما من هذه التحولات صدق المشاركة والمساهمة في إصلاح ما يمكن إصلاحه وإنقاذ ما يمكن إنقاذه في حظائر الشعوب والرعايا دون تمييز أو تميز، فنحن جزء من الرعايا ولحمة من شعوب الأمة.

أما ما يدور من الصراع الحزبي والفئوي والتياري فنحن سلبيون جدا وإلى النهاية، ولا مصلحة لنا في هذا الصراع ولا نكون طرفا فيه، بل ربما صنفنا الآخرون بما يحلو لهم من تصنيفات سلبية أو الإلحاق بسياسة النظام، كما كان يقول ذلك كل المتنفذين في مراحل التحول والتغير ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[الأنعام:١١٢].

ومع هذا وذاك فالمدرسة والطريقة لا تمسك بيد أحد من أتباعها أو المنتمين إليها بالاسم متى ما رغب المشاركة والتفاعل مع الأحداث والتحولات سواء كان باقتناع أو باستتباع، فقد شهدت مراحل التحول السابق في الوطن الكبير مشاركة العديد من حاملي صفات الانتماء العام لمدرسة حضرموت في قيادة الثورات والانقلابات والمسيرات والانتفاضات وما شاكلها ، ومنهم من رجع إلى حظيرة المدرسة مكدودا منهوكا تائبا راجعا، ومنهم من جدد عهوده واستأنف نشاطه الذاتي بلون

جديد وإصرار أكيد.

وبالمختصر المفيد.. يجب أن نعرف دورنا الشـعبي عندما يكون الشعب آمنا ومستعما وراغبا في المشاركة والتنمية، وأن نعرف موقفنا الذاتي عندما يكون الواقع قلقا والشـعب يغلي بغليـان الفتن والتحولات.. إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا.

الندوة الثالثة في سلسلة: الثورة اليمنية - آفاق وتحديات[١]

(١) هذه الندوات لا تأتي أهميتها في انعقادها أو مكان انعقادها، وإنما أهيتها بالنسبة لنا أنها تُعرض من أجهزة عالمية التسييس وعالمية الانتشار وعالمية التأثير، فالندوات هذه تخرج عن صفتها الذاتية.

بسم الله الرحمن الرحيم

ندوات تسير في فلك الواقع المتحول.. وتستقي أطروحاتها من الأحداث، ورموز التكوين الغثائي المسيس.. وإفرازاته المعلولة... خير ما فيها.. الشعور بالحرية أمام التحولات السياسية والانجرار خلف المستجد المندفع بحماس.. إلى المجهول...

وأقول بتأكيد.. المجهول.. فنحن اليوم كأمة ليس لنا مستقبل واضح مبني على دراسة شرعية واعية من أسس هويتنا الشرعية..

وسبب كوننا أمة ليس لنا مستقبلٌ واضحٌ..هو أننا تخلينا سلفا عن الماضي المتماسك بالشريعة وذهبنا نلقيه عرض الحائط لعلة في الرموز وعيب في الحكام..الراعين لتحولات المراحل وكانوا جزءا منها ، فاستغنينا بهم وبمخرجاتهم المسيسة عن الماضي وتاريخه الأبوي النبوي..واستعضنا عن ذلك بما صنعته لنا أحداث المرحلة ورموزها العالميون..اقتصادا واعتقادا وتربية وتعليما وإعلاما وثقافة وسياسة.. وهلم جرا..

والذي بقي لنا من ماضينا الإسلامي..محدودية التعبد الروحي وقراءات الظل في كتب الفقه والحديث والسيرة والتفسير وغيره لدى مجموعات العلماء وتلاميذهم والدكاترة وطلابهم ، وفق التمنهج التعليمي أساسيا وجامعيا من وجهة نظر (الأنظمة السياسية)المتنوعة فإن المحاضن التقليدية الأبوية الباقية ذات صفة محدودة، والجميع مستظل بسقف علماني أو علمني أو عولمي واحد تصدر قراراته الرسمية والمصيرية من خارج دائرة (الديانة والمصالح الإسلامية الشرعية) وفق القوانين والدساتير الوضعية المتبعة.

ولو ذهبت إلى متابعة (الحوادث ومماسك الندوة التي نحن بصددها ومتابعة مجرياتها) لصرت أيها القارئ أحد المشجعين لطرف من أطراف

الصراع إما مع العقول المسيرة لمثل هذه الندوات المركبة وفق الحالة، وإما مع الأنظمة المركبة وفق المرحلة، وكلا الأمرين من وجهة نظر (الوحي الإسلامي) فريقان متنازعان حول هدف وغايات رسمت للجانبين بليل تحت القاعدة التي يحتج بها المتناولون للحدث ووصف الحالة (فرق تسد)

(ففرق تسد) سياسة لاتحكم سلوك الرمز المعين في النظام المعين ، بل هي سياسة (المنطقة العربية والأمة الإسلامية وقاعدة الإمتلاك لقرار العالمية المسيس في العالم كله) سواء حملة القرار أو المعارض لهم، فالسلوك المنتقد من عقلاء الفكر والعلم والسياسة هو عين الفكرة التي ينطلقون منها في تقسيم الخطأ وإعادة تركيبه، فالكل يدور في فلك مدخله ومخرجه واحد ومتشابه.

وحتى لانرجع مرة أخرى إلى حضيض الألفاظ وقاموس الأغلاط التي تتجرعه الشعوب مرحلة بعد أخرى على ألسنة قادتها المرحليين أو مفكريها الإعلاميين شير إلى ضرورة الإيضاح الأسلم لهذه الحالة المؤسفة ولو من باب الإبلاغ وكشف الحقيقة من حيث أشارت إليها نصوص الديانة، فالجميع أمام نصوص الديانة محكومون، ومدانون أيضا إما من حيث مواقف الفريقين ضد بعضهم البعض...وقواميس أحوالهم ومواقفهم وتجهزات صمودهم وتحديهم وتضامنهم المرحلي للحالة المفروضة على الفريقين، أو من حيثيات جهلهم بالديانة وموقفها العملي من الحالة الراهنة وتشخيصها وعالجتها.

فعين الوصف للحقيقة الماثلة لدى الجانبين والفريقين (مالك القرار والمعارض له) كما نراه اليوم إنما يذكرنا بالأبنية العشوائية التي بناها المهندسون المرحليون في مجاري الأودية، لسكن الناس ولما جاءت السيول الموسمية كان الناس وما صنعوه لأنفسهم تحت نظر المهندسين

ضحية البناء قبل أن يكونوا ضحايا السيول، فالسيول هي التحولات الموسمية ، والأبنية العشوائية هي الأنظمة وسياستها، والمهندسون هم عباقرة التحولات المسيس الموصوفون في الحديث «إذا وسد الأمر لغير اهله»، والنتائج هي الثورات المدمرة للماضي والحاضر على أمل المستقبل وفي كل مرحلة ثورة لمستقبل، والمستثمر للثورات والمستقبل المأمول هم الممولون المستثمرون.

إن رفع مستوى الجيل المسلم من (فقه المبررات والمغالطة)الذي كرست له القوى العالمية منهجيتها الاستشراقية خلال مراحل العلمانية والعلمنية والعولمة إلى (فقه الربط بين الديانة والتاريخ)هو الهدف السامي الكفيل بإحداث التثوير الشرعي للقراءة أولا، باعتبار التثوير مطلباً شرعياً كما قال فيه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (من أراد العلمَ فَلْيُثَوِّرِ القرآنَ ، فإن فيه علمَ الأولينَ والآخرين)[١].

والتثوير هو الإحياء..وأما الثورة فهي التغيير والإنقلاب..ولسنا بصدد المواجهة للثورة والثوار أو توجيه الضربة لهم[٢]...فهم من حيث التوجه المنطقي يطالبون بحق ويثورون على باطل...ولكننا بصدد الوسيلة التي يركبونها للأحداث والتغيير... فالإسلام لايرغب امتطاء وسائل الشيطان وإنما حدد لنا الوسائل الشرعية للتثويروالتنوير والتغيير، وجعلها وسائل مصانة بالديانة والأمانة من اختراق الكفر وعنجهية الكافر وخيانة المنافق واستغلال المستثمر أو المستعمر ، ولكن هذه الوسائل بالنسبة لنا نحن المسلمين قد تعطلت وظائفها، كما جفت منابعها منذ بداية عهد الغثاء

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧: ١٦٨).

(٢) سواء في مرحلتنا المعاصرةمرحلة الإستنفار، أو في المراحل السابقة مرحلتي الاستثمار والاستهتار.

المسـيس ، واسـتبدلها المهندسـون العالميون بفقه المبررات المغالطات فقـه ثمرات الحـوادث وعائدات المراحـل، وأنزلوها ضمن سياسـة التربية والتعليـم والإعلام والثقافة ومـا لحقها من مواقع التأثيـر الفكري والعلمي والثقافي، تبعا لسياسـة الإسـتعمار أولا، ثم الاسـتهتار ثانيا وثم الاسـتثمار ثالثا، وانكشفت هذه السياسات المدمرة في مرحلة الاستنفار.

ولكن المعالجة للأمر في حياة الشعوب المسـتنفرة ينطلق من فقه الحالة ووعـي المرحلة ووسـائل المألـوف، لأنهم معـذورون بالتغريب وسياسـة التغييب والتذويب، ولهذا فاللغة السـائدة فـي المرحلة هي (لغة الفعل ورد الفعل)ولغـة (التحريـش والمنافسـة) ، وكلا اللغتيـن يصـدران مـن منظور فكري شيطاني واحد قوامه وأساسه ومنطلقه شعار (فرق تسد).

وهـذا الشـعار يجر الشـعوب مـع أنظمتها ومن فيهـا من العلمـاء والقادة والسـادة والفئات الاجتماعية المتنوعه إلى التكتـل والتخندق ضد بعضهم البعض، على صفة المخرجات الطبيعية المعروفة تاريخيا بالطبقية والعرقية والطائفية والحزبية والفئوية والتيارية والقبلية، وأمثالها من الأفكارالجاهلية التي حاربها الإسلام، وقصم ظهور أساطينها الأبالسة والدجاجلة المسلمين والمتأسلمين والمستسلمين لأطروحات وبرامج الشياطين والمفسدين...

إننـا هنـا ومن خـلال تقسـيمنا لنموذج مـن نمـاذج التحـولات المرحلية المعاصرة بعد عرضها على مشروعية فقه التحولات الإسلامي المتخصص في بحث التحولات التاريخية بكافة نماذجها وصورها، نجد الحاجة ماسـة وملحة لهذا العلم المدروس.

فهـذه الدراسـة تعرفنـا علـى التركيبـات الهندسـية التـي ركبهـا العمـلاء المهندسـون في واقع الأمة الإسـلامية منذ عهد النقض العلماني في مرحلة الاسـتعمار أثناء تقسـيم تركة الرجل المريض كما كانوا يسـمونها(وثائقيا)، وماتلاهـا مـن مراحـل التطبيـع والتطويـع حتى مرحلة الاسـتهتار وانتشـار

سياسة العلمنة وركوب مرحلة الثورات والانقلابات التي نقضت جملة من التركيبت السياسية التقليدية المهترئة، لتقسيم تركيبات سياسية وضعية، تخدم القوميات الانهزامية والحدود الانفصالية والثقافات الاستشراقية الغازية، حتى جاءت مرحلة (العولمة) والاستثمار، لتحرك الشعوب ذاتها وبصورة مشابهة من عدة وجوه لركوب موجة الصحوة الموجهة إقليميا وعالميا، وتُبَرْزِخَ المتناقضات السياسية بالصراع الحزبي، والمتناقضات الدينية بالصراع المذهبي والطائفي، والمتناقضات الاجتماعية بالصراع الطبقي والقبلي، والمتناقضات الثقافية بالصراع الإعلامي وكلها أمراض وعد بوقوعها من لاينطق عن الهوى في الأمة عند إصابتها بداء الأمم في حديث«أصابكم داء الأمم قالوا:وما داء الأمم قال:البغضاء والحسد لاأقول حالقة الشعر ولكنها حالقة الدين....»، وهذا هو التقييم النبوي للمرحلة الغثائية[١]...ثم في الجزء الثاني من الحديث إشارة لإصلاح المراحل التي تليها بقوله صلى الله عليه وآله وسلم:«ألا هل أدلكم على شي إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»

وإفشاء السلام في الأمة الإسلامية مطلب نبوي يسهم في عودة المياه إلى مجاريها بشروطه[٢]...ولن يكون سلام بثقافة الكراهية والمناطقية والحزبية

---

(١) باعتبار تشابه السلوك والمواقف مع ماسبق من مراحل الصراع والاختلاف.

(٢) ومن شروطه ١/ وحدة القرار في السلم والحرب، ٢/ وحدة القاسم المشترك في عناصر الاختلاف والمفارقة الفكرية ضمن هدف غائي واحد يجمع أشتات الفكر والمذهب والوسائل التطبيقية، ٣/ وحدة الأرض الإسلامية ولو من خلال (التكاملات الدفاعية،الاقتصادية،السياسية،الاجتماعية،الاعلامية،الثقافية)، ٤/ تكريس سياسة الاكتفاء الذاتي في الشعوب بالزراعة والصناعة الزراعية التحويلية وتقليص سياسة الإعتماد على الواردات إلا في الضرورات الهامة...كبعض وسائل الإنتاج والأسلحة... وهذه الشروط هي أساس السلام في المجتمعات وهي أيضا

والفئويـة والتيارية والطائفية، لأن هذه المسـميات وثمراتها ثقافة الشـيطان ووقود الفتنة في عالم الإنسان...بها تسال الدماء وتهتك الأعراض ، وتدمر العلاقـات ولابد من اجتثاثها بثقافة السـلام التي أمر بها صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن ثقافة السلام مفتقرة إلى الرجال وعقلاء الأجيال.

والمشاهد اليوم ، وجملة المسموع والمنشور حول ثقافة التحول لايرقى إلى مشروع السلام المنشود على صفة الأمر المراد من مقولة النبي صلى الله عليه وآله وسـلم، وإنما هي إنحدار في تنفيذ مشروع الشيطان، وإذا ماكانت كذلك فموقفنا الشرعي الالتزام بالوسطية الشرعية المأمونة ، وإنقاذ مايمكن إنقـاذه ، وتحييـد مايمكـن تحييـده وقول كلمـة الحق المرتبطـة بالنصوص مـن فقـه التحولات، والابتعاد عن ما تسـمى بكلمة حـق مرتبطة بالأحداث والتحـولات ، وحسـن المعاملة مـع كل الأطراف المتنازعـة، وإدانة الفعل المشـين مـن كلا الطرفين وخاصة فيما يفضي إلى إشـاعة الـذم وهدر الدم وخندقـة المواقف ، فالعدو المتربص مختفٍ خلف هذه الأسـاليب الهالكة ومسـيِّسٌ لها...ولا مناص من الوقوع في شـباكه إلا بالتنازل الواعي لما فيه المصلحة العامة بصرف النظر عن مسـألة الحق والباطل...وهذا هو مافعله عقلاء المراحل من أمثال الإمام علي مع بداية عهد الخلافة الراشدة والإمام الحسـن مع نهايتهـا ، والإمام علي زيـن العابدين مع خصوصـه وقتلة ابيه ، والمهاجر مع عشيرته وبني قومه في العراق ، والفقيه المقدم مع مجتمعه في حضرمـوت ، وكلها مفاصل عملية تم فيها تنـازل هؤلاء العقلاء عن ترتيب قائم ونسـيج فكري فاعل ومتضافر عليه، إلـى موقف مغاير للمألوف وربما مخالف لما تظافرعليـه الجميع والعود إلى مافيه مصلحة البقاء العام ضمن قواسم الإسلام.

أساس فرضه على للآخرين .

ومـن عقلاء المراحل من اتخـذوا طريق الحزم والعزم بالمواجهة وإظهار الحـق الناصـع كمـا عرفـوه وعلموه...ولم يتنازلـوا عما آمنوا بـه من الحق المشـاع، ولم يقبلوا المسـاومة ولا المداراة، ولا الرجوع إلى القاسم العام فـي الإسـلام...فكانت النتيجة الشـهادة في سـبيل الله....وكفـى بها مطلبا عمليـا في الدنيا والآخرة، ولكنها أجرت أمر الله مؤيدا إلى جانب ماأتخذه علمـاء ورجال الموقـف الأول...وهو الإعراض والتنـازل والنظر فيما عند الله...فصـارت بهـذا مسـألة الحق والمطالبـة به والدفاع عنـه والموت عنه والمـوت من أجله مسـألة ترضـخ لعمق القـراءة النصية للمواقـف، وليس لمجريات الحوادث وسير الظروف وافتراضات المراحل....

وهـذه هي دراسـتنا الواعية لفقه التحولات وعلم الركـن من أركان الدين كركن جامع لدراسة الأركان الأربعة مجتمعه لا متفرقة يُستلهم منها الموقف الجامـع النافع وفـق النصوص الربانية لاوفق التحـولات الزمانية والمكانية وهـذا هو موضوعنا هنا وموضوع نقدنا لما تسـمى بالنـدوات العلمية على هذه الصفة الجزئية الميتة منذ إنعقادها فضلا عن ثمراتها ونتائجها.

ونسأل الله العفو والعافية

والحفظ للأمة وزوال الغمة

إنه بالإجابة جدير وعلى كل شيء قدير

وهو حسبنا ونعم الوكيل.. نعم المولى ونعم النصير

لا بُدَّ أن تقرأ

قال أحد المعلقين المعاصرين في غمرة النشوة بالتغيير: «الدساتير العربية لا تساوي الورق التي كُتبت عليها»، وكنت حينها أتابع مجريات التحولات وأتأمل وجهات النظر حولها،وقلت في نفسي: لو أنَّ أحداً قال لهذا المعلق وأشباهه إذا كانت دساتيركم العربية كما تقولون لا تساوي الورق التي كُتبت عليها فأين هو الدستور الحق الذي ستتخذونه بديلاً للأمة في حياتها الجديدة؟ وهل ستقبل العقول المدبلجة قولي أنَّ دستور الأمة هو القرآن والسنة؟ ولكن ليس بلغة اللجان القانونية المسيَّسة ولا العصبية ولا الطائفية ولا المذهبية ولا الطبقية المتترسة والمتمرسة ولا الاستشارات الشرقية ولا الغربية.

فمنذ تقسيم (تركة الرجل المريض) كما كان (أَكَلَة القصعة) يسمونها لم تكن هناك دساتيرَ شرعية، بقدر ماكانت مجرد دساتير وضعية تؤدي دوراً مرحلياً يخدمُ حَمَلة القرار وزُمرة العملاء الأحرار وهي دساتير اكتسبت شرعيتها المحلية والإقليمية من ميثاق الشرعية الدولية المسماة بالأمم المتحدة، والأمم المتحدة عُصبة من القرارات الاستعمارية والعناصر الاستثمارية ذات العلاقة المباشرة بثلاثي الإفك (الشيطان – الدجال – الكفر) إنه الثلاثي الهالك للأمم والشعوب وثرواتها، والثلاثي المسيس عالميًا لما يسمى في لغة الأبلسة بالشرعية الدولية ذات العلاقة المباشرة بالمصالح الاستعمارية والاستهتارية والاستثمارية.

هذه الشرعية المسؤولة مسؤولية مباشرة عن الفقر والجوع والعوز المنتشر في الشعوب، وعن القلق والاضطراب الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والأمني والتربوي والتعليمي والثقافي والإعلامي، منذ أن وَضَعت يدها ونفوذها على مقدرات الأمم المصيرية، بُعيدَ سُقوط قرار الخلافة العثمانية..الخ

ومنذُ ذلك الحين ونحن في مَصيَدةٍ عالمية القوة، عالمية النفوذ، عالمية

السياسة، عالمية الأدوار، عالمية المصالح، ويمكن معرفة فقراتها المفصلية بالنظر إلى (المؤتمرات الدولية)، التي عقدت منذ اقتسام (تركة الرجل المريض)، وماتلاها من النتائج والثمرات السياسية والعسكرية والأحلاف والتكتلات والبرامج والمنظمات والجماعات والجمعيات والأحزاب وماشابهها من التشكيلات المتجددة ضمن الإطار العالمي الدولي المشار إليه (بالشرعية الدولية).

وقد تفرع هذا النشاط العالمي وتغلغل في العالم المستعمر والمستثمر منذ تلك الحَقبة بمفاصلها الثلاثة:

مرحلة العلمانية: والمُبتدئة رسميًا من إعلان مصطفى أتاتورك دستور الدولة العلمانية الجديد وإرتباط دستور الدولة بالاستعمار .

ثم **مرحلة العلمَنة**: والمُتفرعة من المرحلة التي تسبقها بتخرج طلبة الدول العربية والإسلامية الموفدين إلى العالم الغربي والشرقي ليتبؤا مناصب العمل الخَدَماتي بكل نماذجِه، وتنفيذ البرامِج العلمية والاقتصادية والسياسية والتربوية والتعليمية والدعوية والاعلامية والثقافية في الوطن المستعمر.

ثم **مرحلة العولَمة**: وهي المرحلة المعاصرة ذات النجاح الاستثماري الجامع لأطراف التحول المشار إليه سلَفا بمسمى البرامج العلمية والاقتصادية والسياسية والتربوية والتعليمية والدعوية والإعلامية والثقافية...الخ، ليؤدي إلى إنشاء فكرة النظام العالمي الموحد، النظام المهيمن سياسيا على كل أطراف الصراع، والمسيس له وفق الأطر المعدة سلَفاً في المطابخ المَاسونية والصَهيونية .

إن العدو هو العدو، وكل ما ساعد العدو على إنجاح برامجه وامتداد هيمنته فهو جزء منه، ومنتم إليه ولو كان مظهره ديانة وشعاراته وطنية ومنطلقاتُه ثَورية، فالعناوين والشعارات والمظاهر مجرد ركائز ورموز،

وإنمـا المُعَـول عليـه في التحليـل الشـرعي الواعي ، هـو مـاوراءَ ذلك من الخطط والمشـروعات والأجِنـدات المُهيمنة بعبَاءاتها الملونة ومُسـمياتِها الإسلامية أو الإعلامية .

وللإسـلام الحـق موقـفٌ واع مـن تحليل هـذه الأمـور وتحقيـق دقائقها المجهولة وكشـفِها للمُستبصِر المُتأمل في عَظَمَة الدين الإسلامي ووظائِفه الشـرعية في قيـادة الحياتين (الدنيا والآخـرة)، من خِلال الدراسـة المتأنية للثوابت الثلاثة بتفاصيلها وأركانها العلمية والعملية[1] من جهة ثم الدراسـة المتأنية للمتغيرات بأقسـامها الثلاثة[2] وعلومها الخمسة[3] المندرجة تحت مايسمى بعلم علامات الساعة وفقه التحولات من جهة أخرى.

وهـذا هو موضوعنـا العلمي الشـرعي وأطروحتنا للجيـل المعاصر ومن سيأتي من الأجيال اللاحقة.

فالعلـم بـالأركان الأربعـة للديـن مهمتنـا جميعـا وهويتنـا المسـتجدة المتجـددة، القـادرة بـإذن الله تعالـى على وضـع المخارج الفقهيـة، لكافة المعضـلات الفكريـة المعاصـرة، سـواءًا فـي عالمنـا العربي والإسـلامي، أو فـي تحديـد موقفنا مـن العالم الإنسـاني المتنوع، بفصائلـه المتعددة من أهـل الكتاب ، وأهـل الأوثان ، وأهل الإلحـاد واللادينيين، وإنسـان الغابة ومجاهيل القارات، بل وفيه أيضا خُطط عَلاقتنا بالمشاريع الإنسانية القادمة في مراحـل التاريخ المتحول كمرحلة الدجال ويأجـوج ومأجوج، وغيرها

---

(١) الثوابت الثلاثة : (الإسلام – الإيمان – الإحسان) .

(٢) المتغيـرات :علامات السـاعة وفقه التحولات وأقسـامه الثلاثـة (العلامات الصغرى والوسطى والكبرى) .

(٣) العلـوم الخمسـة : علـم النواقـض والنقائـض – علـم البشـارات والسـند والحصانة والوقاية – علم الكوارث والأشـراط – علم المسـتجدات العلمية والثقافية – علم الربط بين الديانة والتاريخ .

من المراحل الصعبة في ثوابتنا النصية المشروعة.

ولعلها اليوم بالنسبة لنا مجرد «مسميات» لانعلم عنها شيئا غير نتف المعلومات المختلف عليها، ولكنها في حقيقة العلم «خريطة الطريق» المنتظر وُرُوده لكافة شعوب الأرض شَأؤوا أم أَبَوا، علِموا أم لم يعلَموا صَدقوا بذلك أم كَذبوا.

فالعقل الإنساني على مدى تاريخه الطويل وهو يُعلن جُحُودَه ورَفضه وتحدّيه للحقائق الربانية، تبعًا لغرائز الطبع وشهوات النفس ووساوس الشياطين، ولايكبح هذه الغرائز والشهوات والوساوس إلا العلم الشرعي برباعية الأركان، ودراسة هذه الأركان مجتمعةً مع بعضها البعض في ماعرَّفناه في كتابِنا (دوائر الإعادة ومراتب الإفادة) بالوحدة الموضوعية لحَديث أم السنة (حديث جبريل عليه السلام) .

إنه مشروعنا العالمي في مدلول «العالمية الاسلامية ، عالميتنا التي تذوِّب في إشراقاتِها العلمية والعملية كافة العناوين والمسميات المُتمرحلة محليًّا وإقليميًّا وعالميًّا، علمانيةً أوعلمنيةً أوعولميةً،استعمارًا أواستهتارًا أوإستثماراً، فكلها في قاموسِنا الإسلامي الرباعي مراحل قَزَميَّة لاتتعدى عند تعريفنا لها (كيد الشيطان وعبث الدجال وعمَالة الدجاجلة) وكلها مشاريع عقلانية وضعية دعمها الشيطان الرجيم بصوتِه وخيلِه ورجِلِه وشارك البشرية من خلال برامجه الإبليسية في الأموال والأولاد وألهاهم بما زيَّنَه وصوَّرَه إعلاميا وأفلاميا ﴿**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾**﴾ [النساء: ١٢٠]، وهذا هو الجانب السلبي المسيَّس والذي نحن بصدد كشفه والتحذير منه.

أما الجانب الإيجابي من خدمة العلوم النظرية وتوظيفها فيما ينمى حياة البشرية فلا خلاف عليه، هكذا يحَلِّل ويُفصِّل (الإسلام الصحيح) واقعَ الحياة الإنسانية، كما يحلِّل ويفصِّل أيضًا واقع الحياة الإسلامية

التي تحولت وللأسف بِفِعل البرامج الإبليسية إلى حياة إستسلاميَّة ولَن يَكون (استنهاضٌ) لشعوب القرآن والسنة مع ما هي عليه من الإستتباع المبرمج سياسيًا وإعلاميًا وثقافيًا وإقتصاديًا وإجتماعيًا ودينيًا فهذه برامج قصيرة المدى توظِّف الدين بأصليه الكتاب والسنة كما توظِّف شعاراته «العبادة، الجهاد، التكافل، الإخاء، المحبة، الرحمة، السلام...الخ» توظيفًا مسيسًا يربط الأطراف العربية والإسلامية والإنسانية على إختلاف متناقضاتها ومصالحها وأفكارها وأديانها ومطامحها ومطامعها لتحقيق المسيرة الكبرى المذكورة في حديث من لاينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم: «**لتتَّبعنَّ سَنَنَ من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جُحر ضَب لدخلتموه...قالوا: يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال ومن؟**»

قِف معي هُنا وقفةَ إجلالٍ لسيد الأمَّة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، الذي حرَّره الله بالوحي والعصمة والأخلاق، عن كافة الشرور والآثام والأمراض والأعراض المُتَقَولِبة في الأمم السابقة، وجعله للأمم اللاحقة قدوةً وأسوةً في ذاتِه وصفاتِه وعلمِه وعملِه ومواقفِه ودلالاتِه وكل ماجاء به من عندِ الله سبحانه وتعالى، وأنه مشروع العالم الأخير، مشروع السعادة مشروع الأمان والأمن والاطمِئنان، المشروع المتناسب مع كافة الحضارات الماضية والحاضرة، بل والمشروع المهيمن عليها، والموجِّه لغاياتها والبَوصلة الشرعية لرسم طريق السلامة في لُجج البحار المُتلاطمة عبر التاريخ كله، مُنذُ عَهد آدم وخِلافته الأولى في الأَرض بالرسالة، حتى عهد نبينا محمد خاتم كل نبوة ورسالة.

إن مسؤوليتنا الشرعية كأمَّة إسلامية تُلزمُنا أن ندعو الإسلاميين أولاً كما يطلق عليهم اليوم من كافة الأحزاب والجماعات والفئات والتيارات والتوجهات، للخروج من دائرة البوتقة المسيسة والمبرمجة

والمُخَندَقة ضمن مُسَمَّيات السياسة أو الديانة (قديمةً أو حديثةً) لتظل المسميات مجرَّد عناوين تعريفية لاتكليفية, ونعود معًا بإسلامياتنا العالمية ومصادرها الثابتة (الكتاب والسنة) لإحداث التثوير الشرعي بالعلم والقراءة الواعية لموروثنا الرباني، غير منفصلين عن العلوم الشرعية الأخرى ومتفرعاتها، بل آخذين بها كمادة تأصيل علمي شرعي،ومراجع معرفية ذات قيمة علمية وعملية تخدم الإطار الإسلامي الخاص في المذاهب والجماعات والفئات، ولاتكون حجة لأحد ضد أحد، وإنما تُنَظِّم علاقات التعبُّد والأحكام الفرعية فقط.

أما مانحن بصدده من الوحدة الفكرية والوحدة الشرعية والوحدة الإيمانية ووحدة المواقف وعالمية الديانة، فلا علاقة لها بهذه التراكمات المرحلية بمسمياتها العصبية كالطائفية والقبلية والسلالية والطبقية وصراع المذهبية والعقدية والفئوية والتيارية والحزبية، وماشاكلها من عناوين الاحتناك الشيطاني في الشعوب.

بل يجب أن تُنَشَّأ العقلية الإسلامية العالمية حاملةً الركنية الرباعية والمنطلقة في معالجة الأمور من خارج دائرة التعامل الآثم مع كتل الشرعية الدولية والمنظمات السياسية والاجتماعية والأحزاب التقدمية والوطنية والمسميات الإقليمية والعشائرية المطَّلعة إطلاعًا واعيًا على قاموس الإسلام العالمي بدءً بمفهومنا الشرعي عن مدلول السياسة العالمية في الاسلام وعلاقتها بالسياسات العلمانية والعلمنية والعولمية ووضعها في حجمها المناسب من المراحل المتقدمة وإدانتها إدانةً علنيةً بكل مقوماتها الاستعمارية والاستثمارية .

ثم تذويبها في(عالمية الإسلام) لتظل تابعةً لا متبوعة، وأداةَ توظيفٍ لا توصيفٍ ولا تكليفٍ ننتفع بما فيها من شؤون العلم والحضارة، وتوظيفها في ما يتناسب مع حاجتِنا لها، ونستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ومشاريعه

الحضارية الكافرة، وأطروحاته الدجَّالية الفاجرة.

وبهذا نكـون قد وضعنا **اللبنة الأولى** لمرحلة **الاسـتنهاض** القادم.. **اللبنة الأولى** القائمة على الفكر والديانة وابتعاث الأمانة، قـبل صراخنا الجهادي الفـج، ونداءاتنـا العسـكرية المتطرفـة، وانخراطنـا مع كل ناعــق وكـاذب وصـادق، وانجرارنـا خلـف كل ذي دعـوةٍ سياسـية وبرنامـج اقتصادي أو اعتقادي محـدث (نُخَبِّطُ لا ندري الطريق إلى الهدى) حتى إذًا ما مرَّ الزمان وانكشفت العورات أعلن الشيطان وجنوده سقوط الرُّموز أو قتلها أو كشف حقيقة سياستها.

وعدنـا إلـى المربع الأول (كما يقولـون)، وإلى نقطة الصفـر نقلب أيدينا ونَعُـضُّ علـى أنامل الندم، باحثيـن عن ثورةٍ جديدة ورمزٍ جديد، ومشـروعٍ إسلامي مُصنَّع أو مُـقَـنَّع.

أيُّـها السـادة والقـادة: ألم يحنِ الوقتُ لمعرفة الحقيقـة المرَّة ؟ أليس فينا رجل رشـيد ؟ خذوا وريقاتي وادرسوها، واصمتوا سنةً كاملة، وانظروا ماذا في سـاحة الحركة من صراع! ثم ارجعوا إلى ما يشـار به عليكم من شـرف الارتباط برباعية الأركان المشـروعة، عبر الدراسة الواعية، وميِّـزوا إن كان هناك من يرغب الخير ويصطفيه.

وأسال الله التوفيق والسداد للجميع

والحمد لله رب العالمين

حرر في ١٢ / ٦ / ١٤٣٢ هـــ

أم المصائب ..

نَسْأَلُ ٱللَّهَ السَّلَامَةَ

بعد الاستماع إلى برنامجينِ متعارضينِ من قناتينِ إسلاميتينِ ، يعبِّر فيهما العلماءُ عن آرائهم الشرعية ضد بعضهم البعض (بين الإفراط والتفريط)

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

أمّ المصائب

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

هل هناك مصيبة أكبر من اختلاف أهل الدين الواحد؟

ولكني أرى أن أم المصائب الكبرى أن تسمع لعن المتدين للمتدين مثله، وسخرية العالم الشيعي من العالم الوهابي، وسخرية العالم الوهابي من الشيعي، وكشف العورات الأخلاقية المقيته، وإصدار الحكم بالكفر الصريح علناً من شاشات الفضائيات، ووصف بعض أصحاب النبي وزوجاته بالطوافين والعياذ بالله، وإطلاق مسمى العصابة العُمَرية على أهل السنة، وختام هذا التعدي والتحدي بدعاء وابتهال يستسيغ لعن صدور الصحابة وبعض أمهات المؤمنين، وينطلق الدعاء من ألسنة تشعر بالثقة والثبات على حقيقة الدين، ونصرة آل بيت سيد المرسلين.

وبالمقابل تجد في قنوات أخرى مشابهة وشاشات متتابعة كشفاً مقيتاً لما لا يليق ذكره ولا إشهاره، من دقائق عادات وتقاليد واعتقادات الفريق الآخر ، من أتباع هذا المذهب، وحيلهم وأكاذيبهم ودقائق سلوكهم.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واهدنا لأفضل الأخلاق فإنه لا يهدي لأفضلها إلا أنت.

لقد صار من الواجب على كل من علم علماً يدرأ به الفتنة عن نفسه وعن أمة الإسلام أن يظهره وينشره ويبلغ خبره للناس، حيث أن الناس قد بلغ بهم شَرُّ الاختلاف في الفهم والديانة، وشر التفسير للحوادث ومجرياتها، مبلغاً خطيراً لا يقدر بمقدار.

وأكبر العلل في هذا الاختلاف المشين شعاراتُ الحق التي يلجأ كل فريق لإشهارها، إمّا نصْرةً للديانة في ثوابتها، أو نصرة لآل البيت في مظلوميتهم، أو نصر الكتاب والسنة ذاتها، وتصبح هذه الشعارات غطاءً ينطوي تحته كل ناقض ومتناقض، وقد تحول هذا الأمر المشين إلى مدارسَ ودولِ وأنظمةِ سياسيةِ صارت جزءا لا يتجزأ من تكوين العالم العربي والإسلامي المعاصر.

والعالمُ العربي والإسلامي المعاصر في مكوناته حتى اليوم غير مدروس دراسةً نصيةً، وإنما هو استقراءٌ عامٌّ لمكونات السياسة والثقافة والإعلام المسموع والمقروء والمتكون، وهذه نقطةٌ هامةٌ في الموضوع، وطريقٌ أوليٌّ للنظر في المجموع.

فهل يا ترى يُلزمني القرآن والسنة والنبوة أن أنحى إلى هذا الإفراط أو التفريط فأصبح وأمسي لاعناً فاحشاً متفحشاً تحت فقه المبررات وسوء التصورات؟

أم أن القرآن والسنة والنبوة والولاء لآل البيت، والبراء من أعدائهما يُلزماني التمسكَ بالنص القرآني والحديثي، وأعصمُ قلبي ولساني عن فضول الكلام، وإشاعة الملام بين الخاص والعام حتى ألقى الله بسلام؟

إني هنا أستميلُ القارئَ ليفهم المقصود من علاقة المؤمن بالواحد المعبود، وسر الاتباع للحامد المحمود، والمقصود كله الخروج من دنس الجاهلية إلى طهارة الإسلام في القلب والقالب والاعتقاد والاقتصاد والحكم والعلم والظاهر والباطن.

ولن يتحقق هذا المقصود بما نراه ونسمعه من المجاهرة بالنواقض والنقائض، ولا بالسخرية والتهكم، أو الاستهزاء بالآخرين مهما عظمت ثقة المسلم في نفسه ونهجه وتوجهه، «**فالمسلم أخو المسلم، لا يسلمه، ولا يخذله، ولا يظلمه بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**»، فكيف بمحقِّرِ صحابياً مُعَدَّلاً، وزوجةً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات عنها صلى الله عليه وآله وسلم وهي في عهدته.

وفي الصورة المقابلة لمن هو في منهج التسنن وطائفة الجماعة.. ما المسوغ لرفع عقيرة التشريك والتبديع وإخراج المصلين من توحيدهم وثوابت ديانتهم؟

أليس كل هذا سببه إشاعة الشبهات وطول النظر في السلبيات ، وتتبع النواقض والعيوب والتِّرات؟

أليست هذه الحالة أزمة تدّمر أجيال التوحيد، وتفرِّق مجموع المصلين في كون الله المديد؟

لقد خاب الفقه المسيّس لدى المختلفين حتى صار فقهَ مبرارت ومغالطة، وأخذتِ الفقهاءَ العزةُ بالإثم، فوظفوا فقههم في نقضِ قيمِ دينهم ، وإقامة المبادئ الشيطانية فيما بينهم، أقاموا علة التنافس والتحريش حتى خرجوا بها عن التسامح والتقارب، وتجاوزوا معالجة العلل والأخطاء إلى توظيفها في الاستدلال والإعلال.

وسَخّرُوا القرآن والسنة وثمراتها إلى مادة جدل وصراع بين غالب ومغلوب، مما أعطى الشيطان الرجيم حق التدخل المباشر للانتقام من ذرية آدم التي بسببها كان مطروداً ملعوناً قال تعالى: ﴿ **لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفۡرُوضًا** ﴿١١٨﴾ ﴾ [النساء:١١٨]، وكان من هذا الاتخاذ المنصوص عليه لغة التلاعن بين المصلين، وطول الصراع المؤدي إلى العداوة بين المسلمين، وكأنما هم قد نسوا بمجموعهم وعلى اختلاف

أقوالهـم ومذاهبهم قـول الله تعالـى: ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ ﴾ [يس:٦٠] ﴿ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩ ﴾ [البقرة:١٦٩].

إنها عبادة الشيطان، وهؤلاء القائمون على عقيرة اللعن وإشاعة الفحشاء، والقائمون على التكفير والتشريك، يعصون الرحمن ولو كانوا في مذاهبهم من أهل طاعته.

حيـث لـم يُوكِلِ الله لأحد منهـم محاكمة عباده، وإنمـا أوكل إليهم مهمة تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، سـواءً في أنفسـهم أو في شعوبهم وأتباعهم، ولكن الأمر خرج عن طوره وبلغ السيل الزبا، فهل من مخرج...؟

وبمقدار افتراضي للسؤال، سأضع الإجابة عليه من واقع النصوص، قال تعالـى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾ [الحُجُرات:١١]، ومـاذا يعنـي قول عالم مسـلم لعالم آخـر وعلى ملأ من النـاس «العصابة العمرية» «العمريـون»، ثم يختم القول ... نحن نحبكـم ... ونخدمكم ... وندعوكم لمعرفة الحق، كتبكم تشهد عليكم أن عمر ليس شجاعاً بل جباناً، من يثبت إسـلام عمر، لا نريد أكثر من ذلك! ويتبع الأسـئلة الغريبة بضحك وقهقهة تحمل كل معاني السخرية والتهكم على صحابي جليل.

بـل وتهكم على المبشـرين بالجنـة، وفتح النصـوص المبثوثة في كتب التفسـير وشـروح الأحاديث وانتقاء ما يناسـب الطعـن والإخراج عن الدين ووصف المبشرين بالنفاق.

اللهم إن هذا منكر فأزله ... نسألك اللهم السلامة

لقد كنا نسـمع من بعض المطلعين على مدراس الإفراط والتفريط من يشير إلى مثل هذا القول قبيل انتشار مرحلة الفضائيات وثورة المعلومات،

وكان مثل هذا القول سـراً لا يباح، وكان من أصحابنا السطحيين من يكذب بهذا ويرى أن هذا من التهم المختلفة على محبي آل البيت.

ولكنها اليوم لم تعد تهمة وإنما هي حقيقة مدرسـة وعقدة مذهب، سـواء كان القائمـون بهـا يخالفـون أشـباههم من أهل هـذه المدرسـة ، أو يتوافقـون معهم وإنما من باب التقية، فالقناع اليوم قد زال من على الوجوه، وباسم آل البيت الأطهار ، فما يلعن لاعن ولا يشتم شاتم إلا ويصلي ويسلم بعدهـا علـى النبي وآله الأطهـار، والأطهار ومن أحبهم لا يلوثون ألسـنتهم بالـذم ، ولا يلطخون أيديهم بالدم، كما نعلـم عنهم وكما نعرفهم في حياتنا ونقرأ عنهم في كتبنـا ومراجعنا ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩].

إذن مرة أخرى ... فما المخرج؟

فالمسـألة لا تقف عند رقم الحروف، المسـألة سباق مع الظروف، وحفـز متواصـل قوامـه الفعـل ورد الفعـل بيـن عنصريـن فاعليـن في المحيط الإنساني المعاصر.

مجموعـات حملـت مسـمى أهـل السـنة ولهـا ريادتها السياسـية وهويتها الاعتقادية، ومجموعات حملت مسـمى الشـيعة ولها ريادتها السياسية وهويتها الاعتقادية.

والمعركة الدائرة بينهما على قدم وساق تُبذل فيها الأموال، وتُشترى عواطف النسـاء وضمائر الرجال، وتجند الوسـائل، وتكتب المؤلفات والرسائل، فأين الحقيقة؟ وهل الصمت عنها خير من الإفصاح؟ أم أن الحقيقـة هـي في موقف أحـد الفريقين فلا بد من ترجيـح موقف فريق على الآخر؟.

وإجابتنا على هذه الأسئلة تبدأ من حيث بدأ الإسلام، لا من حيث ما تبثه منافيخ الإعلام.

فهناك قضية إسلام

وهنا وظيفة مسلم

فالحال الدائر اليوم إنما هي وظائف يؤديها المسلمون ضد بعضهم البعض، وفق ما أخبر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عنهم في آخر الزمان، عند سقوطهم جميعاً في الغثاء والوهن والاستتباع، وأما قضية الإسلام فهو كتاب وسنة وفهوم شرعية قائمة على قواسم إسلامية مشتركة.

وهذا فيما يخص المسلمين أنفسهم، أما فيما يخص غير المسلمين فهناك قواسم إسلامية إنسانية مشتركة، ولكلا القواسم ضوابط شرعية، وليس خاصة بتفسير العقل وحده.

وعندما بدأ الإسلام في مرحلته الأولى بين مكة والمدينة ، بدأ باختراق الواقع ومتناقضاته بمبدأ القواسم الإسلامية المشتركة ، في الوقت الذي كانت الجاهلية والكفر تعامل الإسلام والمسلمين بالضدية والمحاربة والبتر والإقصاء والتربص.

إذن فحيث ما كان الإسلام الحق كان العدل والإنصاف والوسطية، وحيثما كان الفهم البشري المطلق كان الاختلاف والصراع والحرب، وكلا الحالين حكم الله في تركيب طباع خلقه.

فالإسلام تهذيب للطباع

والعقلانية تثير الطباع

وإذا ما مزج الإسلام بضابط العقل الواعي وضبط العقل بتهذيب الإسلام المشروع برزت القيم والأخلاق ، واشتمت الشعوب الألفة من ألسنة العلماء والدعاة لعظمة الأهداف التي يعملون معاً من أجلها.

ولكـن الصنـف الإسـلامي الواعـي قليل مـن قليـل، وغالب التركيبـات الهيكليـة فيه يحركهـا المتنفـذون، ولكن الفئات المتنفذة فـي حياة الشـعوب يبدو أنها تعرضت لانتكاسـة معينـة أخرجت زمام الإسـلام الشـرعية عن موقعها الريادي، وأحلت محلها نماذج الطبعية والوضعيـة المصنعـة، وتحـول الإسـلام بهـم مـن هدف سـام لعلاج الشعوب إلى برنامج عمل في تفريقها، وإشعال أحقادها وإثارة خلافها واختلافها.

ولأهميـة هذا الموضوع وحساسـيته، لا بد مـن الإفصاح عن أحد أسـباب تراكماته بصرف النظر عن إيمـان القارئ بفكرة الإفصاح عن الموضوع وعدمه.

فالعالـم العربي والإسـلامي فـي ديانته العامة منطلـق في بناء العقيدة والشـريعة ومراتب السلوك من حديث جبريل عليه السلام، إذ هو أحد مفاصـل الديانة، أو كما عبر عنه بعض العلماء «عمدة الدين»، والمنصفون من هذه الأمة يدرسون هذا الحديث بثوابته الثلاثة الإسلام والإيمـان والإحسـان، ويدعون الركـن الرابع العلم بعلامات السـاعة ، وكأنـي بهـذا الإقصاء المتضافر عليـه قد كان أحد الأسـباب المؤدية إلى سـوء القـراءة للمتغيرات ومجريـات التحولات لـدى المنصفين، أمـا غيرهم فقد أسـاؤوا قراءة الثوابت قبل إسـائتهم قـراءة المتغيرات، فجـاءت المخرجـات العقديـة والمخرجـات الشـرعية والمخرجات السلوكية نسخة من سياسة «المنافسة والتحريش».

وبسـوء القـراءة غاب عـن الجمهور الأوسـع من المسـلمين مكايـد الشـيطان والدجـال والكفـر، مـن أحابيـل وأضاليـل عصفت بمنهج السـلامة، وأقامت منهج الشـك والإفك، وربّعَتْ الرويبضات، وسماسـرة الوهن والتداعي على كراسـي الحكم والعلم الشرعية، منذ

زمن معروف ومحدد الهوية بالنصوص القاطعة في علامات الساعة.

ويكفي أن أدلل بحديث واحد من أحاديث هذا العلم المغيب عن سر الانقلاب على العلم وأمانته بسياسة الدجل والدجاجلة، وحصول تضافر مُبَيَّتٍ ضد الإسلام وأهله، فقد جاء في الحديث : أن أعرابياً سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الساعة فسكت حتى قال الصحابة: سمع ما قال فكره ما قال ، فجلس الرجل، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أين الرجل السائل عن الساعة؟» قال: أنا يا رسول الله قال: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر ساعة» وهذا مفصل خطير _ قال وكيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» وبهذا الحديث يبُرز النبي صلى الله عليه وآله وسلم أموراً خطيرة منها:

١-إضاعة الأمانة:بصيغة المبني للمجهول، وتضافر يجمع بين فاعل خفي ونائب فاعل ظاهر، على مدى زمني معين، يربط بين حالتين ومهمتين، سبق الحديث فيها عن النتيجة قبل الحديث عن السبب، فالنتيجة كما جاء في الحديث : «إذا وسد الأمر إلى غير أهله».

٢-التوسيد: فالتوسيد كما جاء في الحديث حصول مؤامرة يطلق عليها «توسيد الأمر»، وهي في معناها نقل قرار الحكم والعلم «إلى غير أهله» بتضافر عالمي مشترك من (سماسرة ساستي الحكم والعلم المنقوض والمقبوض) ، فتكون مهمة هذا التضافر تضييع الأمانة وتشتيت حال أهلها وأتباعها ، وبقية المؤامرة وتفاصيلها مجموعة في جملة أحاديث العلم بعلامات الساعة ، ذلك العلم الذي يملأ صدر المسلم الموقن بسلامة المنطلق وحسن الختام من خلال العلم بالثوابت الشرعية والعلم بالمتغيرات الوضعية.

وبدراستنا لهذا العلم النصي ننقل المعركة الخاسرة من الصراع الطائفي

والعقدي والطبقي وهلم جرا ... إلى تقييم المجتمع من أساسه على دراسة شرعية ، ونحجم الأمور وفق مقاديرها الشرعية من فقه التحولات وعلاقته بفقه الثوابت، ونتعرف بوضوح على مراحل التوسيد وسماسرتها، وعلى تضييع الأمانة وعناترتها ونتعرف بروية وثبات على القراءات الاستباقية التي حدد بها من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم (ألسنة الرويبضات والهيشات والمستغفلين والكاذبين والقاسطين والناكثين والناقضين والقابضين واللاعنين وأعوان إبليس اللعين).

كما أننا بهذه الدراسة الواعية نحدد بأمانة منهج أهل البيت القائم على (التطهير)، ومنهج آل البيت القائم على اللعن والتشهير، كما نحدد بأمانة منهج الإسلام الداعي إلى سلامة التدين والتفكير ومنهج الفئات المسيسة القائمة على التبديع والتكفير.

فالذي نعيشه على مدى قرن من الزمان سياسة مصنعة وخيانة مقنعة، والقرن الواحد المشار إليها قد أولد جيلاً إعلامياً أفلامياً مسرحياً، تولت إخراجه وتجهيزه مدارس الخدمات ومشاتل التهمات المتعاقدة مع قوى الشر العالمي المسيس، منهم من يفعل ذلك بعلم ومسؤولية، ومنهم من يفعل ذلك بجهل واندفاع وفقدان الشخصية والهوية، وكلا النموذجين يحققان الفشل الموعود والفساد المعهود، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإنا لله وإنا إليه راجعون.

علة التغافل لدى الصوفية
وعلة الإفراط لدى الشيعة
وعلة التفريط لدى السلفية

بسم الله الرحمن الرحيم

كان لا بد لي أن أستمع إلى أحد خطباء منابر التفريط المعاصر من منسوبي المدرسة السلفية، المنتمية لما بعد سقوط مرحلة القرار الإسلامي الواحد مرحلة الخلافة العثمانية، وهو يخطب الجمعة بعيد مرحلة الربيع العربي، التي تألق فيها نجم المنتسبين لهذه المدرسة الحديثة، مدرسة التفريط السياسية.

وكان موضوع الخطبة الدفاع عن أهل السنة والجماعة ومذهبيتهم المسندة، والردَّ على إفراطات الشيعة في شأن العلاقات بأهل السنة، وفهمهم السيء لمفهوم الإسلام المتسلسل إلى الصدر الأول وقولهم في أصحاب النبي بما لم ينزل الله به من سلطان.

وخلال عبارات التصدي والتحدي كان يجمع بين تحذيره من خطر فكر الشيعة، ويدخل معهم الصوفية .. فيذكر الناس بهذين العنصرين الشيعة والصوفية، وأنهما خطر على الإسلام وعلى سلامة الأمة.

وأشار إلى تحالف الشيعة والصوفية ودول الروم والروس ضد الدولة العثمانية واعتبر الدولة العثمانية مثالاً لأهل السنة الخالية عن المدخلات والبدعة.

مع أن الدولة العثمانية دولة صوفية سنية من ألفها إلى يائها، ومنذ تكوين دولتها السنية ورائد سيرها الثقافي والسياسي والمعرفي الاعتماد على صوفية أهل السنة، بل كانت أهل السنة والجماعة هم الصوفية رضي الله عنهم وأرضاهم، ومنهم أتباع المذاهب الأربعة.

ولم يخرج عن هذه الدائرة المتماسكة سوى أهل الإفراط الغلاة والتفريط الجفاة، وهم الذين يعملون في كل زمان على خلط الأوراق في أذهان الشعوب فينسبون الصوفية لغلاة الشيعة وينسبون السنة للخوارج

وأتباع الملك العضوض.

وفريق آخر ينسبون الشيعة لليهود وأهل الكفر، ويستخلصون من هذه المعادلة المعقدة نسبة قواسم الإسلام المشتركة إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط.

إنها مشكلة خطيرة ولا علاقة للاستدلالات الشرعية بها، وإنما الاستدلالات في هذا الجانب فكرة منحوتة لترجيح فكرة سياسية ذات أبعاد أنوية شيطانية على رحابة الإسلام وقواسمه العالمية المشتركة.

هذه وجهة نظر، ولكنها لم تنبع من دائرة التعصب للمذهب ولا من الاستتباع للكتلة، وإنما نبعت من قواسم الإسلام ذاتها.

وقواسم الإسلام هي مواقف المتبوع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من أمته، ومن أتباعه وأصحابه وآل بيته، ومن الأمة أجمعين.

أما الإفراط والتفريط فهي توظيف النصوص وفق سير الأحداث وهنات المراحل وتنفسات الطباع، وهذه سياسة الشيطان في الأمة التي وصفت في القرآن بأنها خير أمة أخرجت للناس إن استمسكت به على الوجه المرضي.

لقد ارتفعت أصوات الانفعال والجدال والتحدي بين الأمة في كل مجال، ولم يبقى للشيطان سوى ترتيب مراحل التصادم والقتال، وترتيب هذه المراحل يسير حثيثاً وفق خطوات الشيطان في الفتنة بين المصلين في جزيرة العرب وخارجها.

والمتحمسون لمعارك الانتصار الربيعي في مصر ومالي وما سبقها من المسرحيات في اليمن والصومال والعراق وتونس وغيرها، وما يعيشه الشام من الهتك والفتك والموت الجماعي الموعود به في أحاديث من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم، نقول لهم إنما هي أقنعة ملونة على وجوه الضحايا المخدوعة، لا يتعدى حماسها التربع على

كراسـي الحكـم الدوار ووضع اليد علـى مفاصل القـرار، دون القدرة على صنع عوامل الاسـتقرار، استتباعا لمشروع الفشـل المتكرر، جيلاً بعد جيل دون عمق نظر وحسن قراءة لهذا التكرار، وما على المؤمن الصادق الموقن بأمر الله ورسـوله إلا العودة بالعقل والقلب والأمل والطموح إلى نصوص فقه التحولات ليستمتع بأقوال من لا ينطق عن الهوى عن هذه الأمور ، وهو القائل: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»، **فصارت الرسالة المحمدية منذ بروزها مظهراً من مظاهر علامات الساعة تحمل الحل الأخير للغز الحياة وتفسيرها، وتمييز الخبيث من الطيب في شؤون الماضي والحاضر والمستقبل، ووضع الأمم والشعوب على جادة الطريق.**

فهـو صلـى اللـه عليـه وآله وسـلم كشـف فـي حياته عـن عناصر الانحـراف، السـائرين على طرف الإفـراط والتفريط في مبتـدأ الدعوة، من المنافقيـن والذيـن في قلوبهم مرض والمرجفين فـي المدينة، وحدد بوارد الوحي والسـنة نماذج السـلوك والمواقف والطموحات التي يرسـمون بها الحيـاة الإنسـانية، كفريق متضافر على الشـر والفسـاد لا يخلـو عنهم عصر ولا زمـان ولا مرحلـة ولا نظام، مرتبطيـن كل الارتباط بمشـروع الاحتناك الشـيطاني الأنـوي فـي البشـرية، وهو الـذي أبقى لنا صلـى الله عليـه وآله وسـلم عنهـم خصوصـاً علامـات التحالف الضـديِّ، وأشـراط الانحراف توعية للشـعوب في جانب معين ودلالات للباحثين عن الأوعية المندفعة والمنتفعة القائمة على الجفاء والغلو في جانب آخر.

إن مقالتنـا هـذه نابعـة مـن تفسـير معاني نصـوص الفقه الشـرعي لحالات الطوارئ القائم على دراسة مسيرات فقه التحولات، فقه الدارسات المرحلية للعناصر الأربعة:

- تحولات المراحل ودافع التحول منذ عهد البعثة إلى قيام الساعة.
- أوعية القرار وعلاقتهم بخدمة الشيطان والدجال عبر التاريخ الإنساني.

- ضعف أهل الحق ووقوعهم في دائرة الغثاء المسيّس.
- هيمنـة الكفر والكافـر في دوائر القرار والاسـتقرار وصراع المصلين فيمـا بينهـم ضمـن دائـرة الخدمات وهيشـات الأسـواق وسماسـرة السياسة، وسياسة السماسرة لتسويق الأفكار.

وماذا بعد هذا...؟

فهـذه مكونات نطق بحصولها سـيد الأمة ونحن اليـوم نعاني منها، ولقد توقـف الجميع عند هذه الحالـة المزرية، وهي الناتج الطبعي لمرحلة الغثاء المسـيس، مرحلة الخدمة للإسـلام المشـلول من خلال سياسة التحالفات الإبليسية المفلسة في مسائل الولاء والانتماء، وتسيير الشعوب من عائدات الربـا والحـرام والشـبهة وحركـة الأسـواق العالميـة، وضمـن دورة المال الربوي في حركته العليا بين رجال الأعمال وبيوت المال، مقابل السكوت، واستلام عائدات الشيكات وأوراق البنكنوت في جانب الاقتصاد ، وأما في الجوانـب الأخرى كالثقافـة والإعلام والتربية والتعليم والسـياحة وحقوق المرأة والطفل، ومجموع حقوق الإنسان ، فمرجعيتها العالمية أيضاً قوانين الشـرعية الدولية ، ولا مكان للمشـروعية الدينية إلا فـي حدود المعاملات والعبادات الخاصة ومع الاسـتحياء المحرج وللأسـف،أما الشـعوب فهي تصلـي وتصوم وتزكي وتحج بين المنافسـة والتحريش، والقبض والنقض، والصـراع الطبقـي والطائفـي والسياسـي والعقـدي تحـت سـمع وبصـر المستثمرين الإقليميين والعالميين، وهلم جرا.

إن هـذه الحناجر المنفعِلة فوق منابر المسـاجد وهي تلوح بالنصرة التامة للإسـلام ، وبمحاربـة دوائر الكفر والحرام، إنما تشـير إلى حرب المسـلم للمسلم في دائرة مصالح الحكم والاحتكام، أما ما فوق ذلك فهي لا تملك القدرة على التغيير ولا إعادة ترتيب المسير، حتى لو بدت في خطبها الرنانة عداوة الغرب وحاملة السلاح ضد مصالحه...

فالمدرسة السلفية التي برزت يوماً ما في جزيرة العرب لتجديد مفاهيم التوحيد كما يقال، فقطعت يد السارق ، وجلدت الزاني، وسجنت تارك الصلاة، وهدمت القباب والآثار الدينية، وحولت آل البيت النبوي ومدارسهم ومآثرهم إلى طواغيت وأصنام تعبد هي المدرسة التي تركت العمل بالحدود الشرعية في السرقة والزنا وغير ذلك خلال مرحلة التطبيع السياسي والترقيع القياسي عند امتداد عناترها وعناصرها في العالم، وبعد تشبع أتباعها وأشياعها بالأموال من الشبه والحرام والإنفاق على الانفعال والاحتيال وفساد علاقات الأجيال.

ولم تطل مرحلة الربيع العربي إلا وقد انتهت قضية الحدود الشرعية في المدن السلفية المعاصرة، وصارت برنامجاً تلوح به الجماعات والأحزاب، كلما دخلت إلى بلد من بلدان المسلمين تبدأ بهدم القباب وحرق الأجداث وتنتهي بقطع يد السارق وجلد الزاني وتعذيب تارك الصلاة، وتأمين الأسواق من اللصوص والمعتدين، ونشر الأمن بالهيبة والقوة، حتى تستقر الكراسي، وتعظم المآسي، وتُستعبد الشعوب، وتموت الغيرة في النفوس فتعاد الكرة من جديد، كما كانت من قبل في عواصم السلفية المعاصرة، وهكذا دواليك.

إن مجتمعاتنا المتوترة في الأنظمة الجمهورية والأنظمة الملكية والأنظمة المشايخية ذات الاعتداد بالإسلام وإظهار شعائره في لغة الدستور ومرجعية بعض القوانين لقضايا الفتوى، والقوانين المدنية كما تسمى، وفي بناء المساجد، وتقرير مسائل المذهب وتنشئة مرجعيات الفقه والحديث والعقائد وما شاكلها لا تعالج مشكلتنا الأساسية، وإنما ترسخ المذهب المعمول به في الواقع حسب الحاجة والظروف التي لا تتجاوز الخروج من مسائل الاختلاف المذهبي فقط.

وإنما مشكلتنا في المنهج السياسي المرتبط بالقرار العالمي، وهو المنهج

الدجالـي المدمر لكافـة التركيبات الأخرى، بـل والمهيمن على مخرجاتها وتوجهها وفق الهدف الأساسي للدجال ومدارسه السياسية في الأرض.

ولأجـل هذا يجب على الراغبين في تجاوز هـذه العقدة المركبة الدخولُ إلـى فقـه التحـولات، لينظـروا عناصـر الحركـة المبطنـة كيـف يعملـون، وكيف يتعاملون في سـوق المسـاومات بالضمائر والديانة؟ وإلى أي مدى يتحركون، وكيف تبرز علاماتهم الجلية في خدمة الأعور والإبليس المغتر، وهم قد يعلمون وقد لا يعلمون.

فعلـة التغافـل لـدى صوفيتنـا المباركة تحتـاج إلـى تقييم وترميـم، وعلة الإفراط لدى الشـيعة تحتاج إلى كبح وتحجيم، وعلة التفريط لدى السـلفية المعاصـرة تحتاج إلى تقويـم وتكميم ... فالجميع من هـذه النماذج عدلوا عـن الحق في المعاملة، وجانبوا الوسـطية الشـرعية والاعتـدال الواعي في علاقتهـم ببعضهـم البعـض، وفـي قراءتهـم للنصـوص الشـرعية الخاصة بمفهـوم: «**المسـلم أخو المسـلم لا يظلمه ولا يسـلمه ولا يخذلـه ...إلخ**»، وسـوء تطبيقهـا علـى الحـوادث فيمـا يتعلـق بالفهـوم العقدية والسياسـية والاقتصادية، وهي ما عُرف بعلل الحكم والعلم في العلم بعلامات الساعة.

ولا مخـرج لأحـد في هذا العالم إلا بالعود طوعاً أو كرهاً إلى قراءة الدين الجامع بأركانه الأربعة، عسـى أن يجد المنصف من هذه المجموعات حلاً أفضل وطريقاً أمثل للغة شرعية يرفع بها حيف الذم واستباحة الدم.

ونحن في قراءتنا لهذه الرباعية بفضل الله وكرمه قد نلنا من الحل وأسبابه نصيباً ، وأدركنا فائدته وعائدته، وصار علينا من شروط الإيمان بسطه للغير، فلعل وعسـى، وقد ثبت عـن الذي لا ينطق عن الهوى صلـى الله عليه وآله وسـلم قولـه: «**لا يؤمن أحدكم حتـى يحب لأخيه ما يحب لنفسـه**»، **والذي نحبه لأنفسـنا إشاعة مبدأ السـلامة في عالم الندامة، حتى تتهيأ أسباب إعادة القرار إلى نصابه، ووسائل الاستقرار إلى برنامجها الشرعي الموعود.**

فالمرحلـة القادمة وكلنا ننتظر فيها فرجاً موعوداً إنما تبدأ بتهيئة الشـعوب للاجتماع على منهج النمط الأوسط.

أما سـلوك العدوان السياسي والمذهبي والطائفي والعقدي وما قبل ذلك وما بعد ذلك فخدمة للشيطان ومشاريعه ولو تبناها أهل البيت أنفسهم.

فطهارة أهل البيت قائمة على القرآن والسـنة وليسـت قائمة على سياسـة التحريش والمنافسـة،وإنما هم الثقل الأصغر وسـفن النجـاة، ولكن الكثير منهـم انحدر عن هذا المجد الأثيل إلى تكتلات المذاهب والأفكار والكتل حتـى ضاعـوا، وأضاعوا الشـعوب بيـن الإفـراط والتفريط، وتراهـم اليوم يلوحون بورقة آل البيت كمشروع جديد في عالمنا المعاصر لرسم المعركة القادمة بين السـنة المصنعة، وقد فشـلت في وضع بلسـم العلاج ووصلت إلـى أعلـى درجات الفشـل والإحراج، وبين الشـيعة المقنعـة وقد امتلكت أسـلحة الدمار الشـامل وامتلكت وسـائل التهديد وأرقى أسـاليب الضغط الجديـد، لترجيـح كفة الصـراع فـي الواقع العربـي والإسـلامي المنهوك، لنشـهد مسـرحية مـن نموذج آخـر وممثليـن متمرسـين ومتترسـين لتطبيق الدور الدينـي المؤثر على العقل الإعلامي والجيل الأفلامي الاستسـلامي المعاصـر، ولا جديـد ولا تجديد غير سياسـة ضياع الأمانة والتوسـيد كما عبر عن ذلك رسـول الله صلى الله عليه وآله وسـلم وهـو الجدير بالصدق والتصديـق، وبه عرفنا الحقيقة المرة عن خطباء الزفير والشـهيق، الحاملين لواء مضلات الفتن على كل طريق... فنسأل الله السلامة.

ولنقـف عند هذا الحد لننظر مقدمات المسـرحية، وغداً سنشـهد وقائعها وتطبيقاتهـا الدموية ومقالاتها الأنوية. ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾ [يوسف:٢١]

١ جماد الأول ١٤٣٤هـ

النقض الموعود والقبض المعهود

بسم الله الرحمن الرحيم

لولا عظمة النصوص القرآنية والنصوص النبوية في عالمنا المعاصر ومعرفة شرفها المقرون بقراءة فقه التحولات، لكان لهذا التعدي والتحدي بين علماء المسلمين أثر خطير على القلوب والأرواح والبصائر .

وإذا قلنا مثل هذا القول إنما نُحدده في تصورنا الذي تهيأ لنا ضبطه بالفقه المشار إليه ، أما غيرنا فلا بد أن ينزع إلى أحد طرفي الإفراط أو التفريط بما لا يدع مجالاً للشك في تصادم المسلمين تصادماً لا رجعة فيه ولا مناص منه ..

فالنقاش المطروح اليوم في ساحة الأثر والتأثير قائم على الإثارة والتحريش بين المنسوبين مرحلياً إلى أهل السنة والشيعة ، وهما المذهبان المختلفان على مدى تاريخ التكوُّن والتحول لدى طرفي الجفاء والغلو في الجانبين .

وقد كانت الشيعة تخفي عقدتها السياسية والفكرية خلف أقنعة الزمان والمكان ، كما كان بعض أهل السنة يجاهرون بالكشف المطلق عن هنات الشيعة وخباياهم الفكرية والعقدية بالوسائل والرسائل ونقد بعض المسائل[١]، ولكن الأمر في مرحلتنا المعاصرة قد خرج عن طوره المألوف والمتوقع إلى المواجهة السافرة التي لا غبار عليها ولا ضبابية فيها ، وخاصة من خلال القنوات الفضائية، والتي صارت تسمع الأمة المغلوبة المهزومة ما يزيدها هزيمة وضعفاً وإحباطاً ، ويفت في عضد ناشئتها وأجيالها الحائرة ، الناشئة المهزوزة في فكرها وعقيدتها وتعليمها وتربيتها واقتصادها وآمالها بعد ضياع قرارها وزعزعة استقرارها وعزتها، بفعل السياسات الماكرة والتحالفات

(١) دون تأكيد أو تحقيق جازم في شأن الانحرافات العقدية الخطيرة .

السائرة بين سماسرة السياسة والعلم، منذ عهد الغثاء وهيمنة الاستعمار، إلى عهد المواجهات العسكرية في العراق ومصر والشام ، وأخص هذه الأقاليم الثلاثة لأنها مثلث الدمار التاريخي المبرمج ، ولعل فهمنا هنا لهذا الموضوع يختلف عن فهم الفريقين عن طرفي الجفاء والغلو، وخصوصاً في محور المناقشة للتاريخ الإسلامي ومسيرة الحكم والعلم فيه .

فالفريقان ينطلقان من مناقشة الحوادث ومجرياتها والمكايدات ومرقوماتها ، وكل يحشد الأدلة المتنوعة لإبطال وجهة نظر الجانب الآخر، وقد طال هذا الجدل والنقاش وتجاوز مراحل الشتم والذم إلى مراحل المواجهة بالحرب وإساحة الدم ، ولا يجد أحد الفريقين مناصاً من إبادة الفريق الآخر تحت مسمى التطهير العرقي والصراع الطائفي والانتصار للحق الذي يعرفه ويدين الله به ولو على حساب الطعن في القرآن وفي السنة .

وبين مرحلتي التغيير والتطهير يبرز العلماء والمفكرون من الشيعة، لبسط فقه المبررات والمغالطة من منابر الفضائيات ومواقع ثورة المعلومات لمحاكمة التاريخ أو للدفاع عنه من خلال فقه الحوادث ومكايدات المؤرخين ونقلة التاريخ وفوضى المجموعات الفكرية المتحولة .

كما تبنَّى غلاة أهل السنة المواقف المعاكسة الضدية لكل موضوع تبناه الشيعة بالرد عليه، من خلال وصف الحوادث ومجريات الوقائع وقول الرواة والنقاد ، وكلام بعض الحفاظ، والخلط بين المتطرفين والمعتدلين ونسبة الخطأ بعمومه للتشيع والشيعة على غير تمييز ولا تمحيص ، حتى صعب الالتقاء على نقطة مشتركة للاجتماع والتآلف، أو التمييز بين ما هو إيجابي وما هو سلبي .

ومع هذا وذاك فإن فقه التحولات والعلم بعلامات الساعة لا يولي لهذا الاختلاف بالاً ، ولا يعطيه قيمة ذات اعتبار، لأنه ليس أصل المشكلة .. بقدر ما ينسبه إلى الإفراط أو التفريط ، أو يعتبره جزءاً من فقه الجفاء أو الغلو لدى المختلفين، بصرف النظر عن حشد الاستدلالات وانتقاء الحجج والبينات من قول هؤلاء ضد هؤلاء ، وقول هؤلاء ضد مخالفيهم .

ومع أن المكايدات قد بلغت قِمَّتها وأعلى مظاهرها في مرحلتنا المعاصرة ولم يعد كما سبق ذكره من أمل يرجى في شيء من التوافق، وخاصة بعد ظهور لغة السياسة و تدخلات أعداء الأمة، ممن يملكون قرار السلم والحرب في العالم المعاصر، ويهندسون المواقف المحلية والإقليمية والعالمية، إلا أن لغة فقه التحولات ومراجعة العلم الشرعي لفقه علامات الساعة تساعد الراغبين في معرفة الحق من جهة، ومعرفة فقه النصوص لا فقه الحوادث والمكايدات على ما يطلق عليه (منهج أهل النمط الأوسط) من جهة أخرى، وهو المنهج الشرعي الأساسي المرتبط بمرحلة الرسالة الخاتمة وما تلاه من منهجية الأئمة من سادة الصلح وبقية السيف الذين خرجوا عن دائرة الإفراط والتفريط ، بعيداً عن توظيف اللسان في الذم ، أو توظيف اليد في الدم باعتبار أن هذا التوظيف السلبي جاء في مراحل لاحقة فرضت نفسها على أمة الإسلام من خلال الصراع السياسي ومخرجاته الوضعية العقلانية ، أو توظيف النصوص النبوية والأبوية لخدمة الصراع ذاته للخروج منه والمخرج السديد لمن وعى ، ومن أراد حسن الاقتداء والاهتداء بدعوة المتبوع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أن يرتقي إلى مستوى هَدْيِهِ ومواقفه، ويتجنب الإثارة ورصد المعايب أو طول التفقه في تفاصيل وقائعها وملابساتها، فما هذه الأساليب إلا وقود فتنة ونار تأكل الأخضر واليابس، ولا ينتظم بها دين ولا يستعاد بها حق ولا

تقوم بها أمة .

والقول الفصل في هذا الاحتدام إحياء ما أمات الناس من سنته صلى الله عليه وآله وسلم، وهي سنة المواقف ، التي عبر عنها بقوله : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» ، وبرغم من طعن في الحديث وروايته فإن المعاني المشار بها في هذا الحديث ناطقة بصحته وسلامة مقصده صلى الله عليه وآله وسلم فيما أشار إليه : «فإن من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً» .

ومن فقه المخارج لمثل هذا الاحتدام إعادة القراءة الزمنية لفقه المدرستين مدرسة الإفراط ومدرسة التفريط، وربطهما معاً بمراحل التنشئة والظهور.

فالمرحلة الغثائية التي نحن اليوم نعيشها لا تحمل حصانة نصية، ولا يحمل رؤوس الحركة السياسية الإسلامية فيها أيضاً حصانة نصية، وإنما حصانتهم مربوطة بغطاء الشرعية الدولية التي هم أعضاء فيها وملتزمون بقراراتها، سواءً كانوا في مستوى الحكومات والأحزاب، أو كانوا في مستوى المؤسسات والجماعات والجمعيات .. علموا ذلك أم لم يعلموا .

وسواء تمذهبوا بالمذاهب التقليدية أم خرجوا عنها .

ونتيجة فقدان هذه الحصانة فكل المجموعات المتناحرة تعمل في إطار الخدمة للقرارات الدولية وتحت إشرافها شاءت أم أبت .

وما صراعها المذهبي والفئوي والطائفي إلا امتدادٌ لمؤامرات سياسية مبرمجة بدقة وعناية مسبقة بصرف النظر عن عمق مادة الصراع التاريخي ذاته تدفع بها ضمن معادلة الفوضى الخلاقة ، لتنتهي في آخر المطاف بحماية الدولة اليهودية ، وتأمين هيمنة القوى الدولية على مصادر القرار والطاقة والثروات،

ولتبقى عمائم العلماء وجماجم الدهماء وشارات الجماعات وشعاراتها وقود النارية الطبعية والوضعية، في معركة الولاء والبراء وعشوائية الانتماء، وفي أفضل معانيها ومشاهدها مجرد غطاء ديني وشرعي مسيس لتنفيذ مصالح حملة القرار .

أما إذا ارتقينا في الدراسة الزمنية إلى ما قبل مرحلة الغثائية فإننا سنرى سياسة المؤامرة المشتركة على ما يسمى (تركة الرجل المريض)، وأن تقسيم هذه التركة ضمن الأنصبة المقاسية والقياسية العالمية كان المشروع السابق لما أشرنا إليه بالغثائية اللاحقة .

وهي مرحلة جديرة بالدراسة على ضوء فقه التحولات، لنرى كيفية المعادلة السياسية التي تبناها المستعمرون لقلب الموازين، ورجحان كفة العملاء على كفة العلماء وتمهيداً للمرحلة المدونمة، وتطبيعاً لقبول الدولة اليهودية في فلسطين ، وإشهاراً لمدرسة التوحيد السياسي في جزيرة العرب مدرسة التحريش والمنافسة ، وفتحاً للأفكار الإلحادية الشيوعية العالمية كي تغزو الأمة الإسلامية في قعر دورها وعمق بلادها .

وبهذه القراءة لا بغيرها ندرك موقع الترجيح والدفع المبرمج المؤدي بالضرورة إلى تغليب مجموعة على أخرى داخل المجتمعات الغثائية والمجتمعات المدونمة ، بدءاً بالنقض السياسي ثم القبض العلمي والمعرفي، الذي أدى على ممر التاريخ القريب إلى ظهور المدارس الحديثة .. مدارسِ طلاب الخدمات وموظفي المؤسسات والشركات .

كما أنه أدى إلى ارتفاع أصوات النشاز الحزبي والفئوي والتياري المدعوم داخل الخيمة الإسلامية لضرب نماذج المناهج التقليدية: المذهبية والصوفية وآل

البيت (النمط الأوسط) ، وإضعاف كافة أجنحة التوسط الشرعي والاعتدال في الأمة عموماً، ليتحول الأمر على مدى معين إلى صراع بين طرفي الإفراط والتفريط في قوتين أساسيتين هما (مجموعات العمل السياسي من أهل السنة المصنعة المدعومة ومجموعات العمل السياسي من الشيعة المقنعة المحمومة) ذات العلاقة بالأنظمة الدولية والمشاريع السياسية العالمية ،إضافة إلى ما تبلور في هذه المرحلة من دعوات جديدة مرتبطة بالغثائية السياسية كالمدرسة الشيوعية الملحدة والمدرسة الليبرالية العلمانية والمدارس التوليفية السياسية قومية ومناطقية وإرهابية وصولية أو أصولية .

وأمام هذه الفوضى الفكرية العارمة لن يتأتى للمسلم المخذول معرفة الحقيقة إلا بالنظر الواعي في النصوص الشرعية ، وهي النصوص المبثوثة في فقه الركن الرابع من أركان الدين (علم آخر الزمان)، أو ما يعرف بالعلم بعلامات الساعة ، فهو العلم الكفيل بإبراز خطورة المرحلة من كافة الحيثيات وإدانة الجفاء والغلو المتربص بالأمة داخل خيمتها الإسلامية، سواء لدى أهل الحكم أو لدى أهل العلم أو لدى الشعوب المستغفلة المدفوعة إلى خراب دينها ودنياها، بشتى البرامج السياسية الانهزامية القائمة على ترجيح الإفراط ضد التفريط أو العكس منهما ، مما يضمن للعدو المتربص إضعاف الفريقين، بل إضعاف الإسلام كله بهذه السياسة، القائمة على علتي (المنافسة والتحريش) كما أخبر عنها من لا ينطق عن الهوى في قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

١) «لست أخشى عليكم الشرك ، وإنما أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها فتهلككم كما أهلكت من كان قبلكم» .

٢) «فوالله ما الفقر أخشى عليكم، وإنما أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم».

٣) «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم».

٤) «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وباعاً بباع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن».

إن البديل القرائي للمرحلة وساستها ومخرجاتها لدى الغلاة والجفاة في أهل السنة والشيعة وغيرهما من واقع نصوص فقه التحولات والعلم بعلامات الساعة، خير مفسر للمشكلة الإسلامية والإنسانية كلها.

حيث يتضح بهذه القراءة النصية:

١- ضرورة العودة في الاستدلال والاحتكام والجرح والتعديل إلى مرحلة الوحي والعصمة.

٢- وتجاوز ما حدث من الصراع المذهبي والسياسي اللاحق، ليبقى الصراع شاهد انحراف، وليس شاهد استدلال على سلامة فرد ولا جماعة ولا دولة ولا مذهب.

فالضابط النصي الصحيح مربوطاً بالمرحلة الأولى وهو الأصل في تعديل أو تجريح ما يلي:

١- الأفراد من الصحابة أو التابعين .

٢- المراحل من حكم وراثي أو شورى أو خلافة .

٣- المستجد من نصرة للدين أو حصول شرك أو استتباع أو ظهور مجدد أو مفسد أو اختراع أو اكتشاف أو هيمنة استعمار أو استهتار أو استثمار .

٤- الموعودات كالمهدي والدجال والمسيح ويأجوج ومأجوج والكوارث وما قبل ذلك وما بعد ذلك .

إن علم آخر الزمان كفيل بالإجابة على كافة الأسئلة المحيرة ذات العلاقة بمسيرة الإنسان في المراحل المعاصرة .

أما علم الثوابت التي يدرسها المسلمون على مختلف مذاهبهم وأفكارهم السياسية فلا علاقة لها بآخر الزمان وتقلباته، وإنما علاقتها بالبناء الشرعي للإنسان في إسلامه وإيمانه وإحسانه فحسب .

وبالقراءة النصية للزمان وظواهره ومظاهره وألسنته الناطقة والصامتة ومستجداته وموعوداته تنجلي الحقيقة، وتنكشف الأوجه المقنعة ذات العلاقة بالبرامج الإبليسية المتنوعة، كالاحتناك والتربص والتزيين والتسويل وجملة مفهوم المعاني القرآنية ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾[الإسراء:٦٤][1] .

---

(١) جمعنا كافة أنواع البرامج الإبليسية كالاحتناك والتربص، وكافة وسائل الشيطان

ولا ينجو من هذا المشروع إلا من سمّاهم القرآن ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الإسراء:٦٥] وهم في معنى من معاني الآية الذين لم يندرجوا تحت سياسة المرحلة باعتبار أن من معاني لفظة السلطان (المرحلة) .

والمرحلة الغثائية بالخصوص وما تلاها هي المرحلة التي برز فيها دور العمل المبرمج المشار إليه في الآية الكريمة بدور فعّال ومتطور .

وما مشكلتنا أمامها إلا سوء القراءة للنصوص القرآنية والنبوية ، أو النظر إليها من خلال الثوابت، باعتبارها المادة الأصولية المدروسة، وإهمال المتغيرات بإهمال السابقين لها .

فجاء مُخْرَجُ العلمِ المعاصر قاصراً عن معرفة قراءة علم آخر الزمان، وتقييم لغة وهوية المتحدثين به والمعبرين عنه بحق أو باطل، لغياب فقهه المشروع وللأسف .

إن الصراع بين مذهب أهل السنة والشيعة ـ منذ سقوط مرحلة الخلافة على عهد عبد الحميد الثاني وبدء مرحلة الاستعمار كمفصل تاريخي تحولي قد خرج عن ضوابطه الشرعية لدى الفريقين تماماً، بفقدان القرار الراعي للهوية الإسلامية .

وبدأ عهد الهوية المدونمة والسياسة الاستعمارية المنظمة، التي أعادت تشكيل الجغرافية المناطقية والجغرافية الانتمائية والولائية بأكثر من أسلوب ووسيلة، ليصبح الصراع التاريخي أكثر أثراً وتأثيراً على الفريقين بعامل الدفع السياسي الدجالي، وتوازناته الدولية والإقليمية والمحلية .

التي ذكرت في الكتاب السنة في فصل خاص ضمن كتابنا التكوين الآدمي .

فلا الأنظمة المنتمية إلى مذهب أهل السنة قد حكمت بأمر الله كما يجب ، ولا الأنظمة المنتمية إلى الشيعة قد حفظت أمر الله ورسوله وآل البيت كما يجب، وإنما اتخذ كل فريق سياسي لنفسه وأتباعه منهجاً توليفياً يرتبط بالأصلين من حيثية واحدة، ويخالف الأصلين من حيثيات عديدة ، والشاهد على هذا الأمر فقدان الحلول الاقتصادية الشرعية لدى الفريقين، واستتباعهما الفعلي في السياسة والسياحة والإعلام والتربية والتعليم والمرأة والثقافة وهلم جرا لبرامج الأنظمة الغربية والشرقية في أوسع مفاصل الحركة المعاصرة .

حيث لا يوجد برنامج اقتصادي إسلامي لدى أحد من الفريقين على مدى مراحل الاستعمار السياسي العالمي، ومنذ ارتباط هذه الأنظمة بمسميات الشرعية الدولية ، وقس على البرنامج الاقتصادي بقية البرامج الأخرى .

وأكثر ما بقي لهذه المجموعات المتصارعة مادة الاختلافات المذهبية والعقدية دون حلول ولا حجة ولا مدلول .

إنها كارثة وليسمعها كافة المنتمين لطرفي الصـراع في مدارس الإسلام المعاصرة بكافة نماذجها بدء من الصوفية المذهبية، ونهاية بالأحزاب الإسلامية اللامذهبية والجماعات التكفيرية والإرهابية، ومروراً بالحكومات العربية والإسلامية المتنوعة ، ذات الهويات المتنوعة ملكية وسلطنات وإمارات وجمهوريات ومشيخات وهلمَّ جرا، فالجميع ليس لهم هوية سياسية عالمية ، وإنما لهم صراع مذهبي وتعصب فئوي وطائفي وقبلي وقومي وسلالي وعرقي ومناطقي ، وكل هذا الحال يغذيه الشيطان ويدفع به ليقوي لدى الجميع علة الإثارة والتحريش ما بين الذم وإسالة الدم أو بهما جميعاً ، وهذا ما يتشدق به الكثير، ويعمل من أجل تحقيقه الجل الكبير، من هذه الأطراف المخدوعة ،

وبالتحديد منذ عهد فقد القرار وامتلاك العدو الكافر مفاصل التغيير وزعزعة الاستقرار، ولا أزيد على ما أشرت إليه، فالواقع خير شاهد، وما سيأتي من المشاهد والوقائع ستثبت للجميع غياب الفقه الشرعي للمراحل لدى حملة الفقه الأصولي المجرد وحملة الفقه الاستشـراقي والاشتراكي والتوليفي والعلماني والعلمني والعولمي، وحتى الفكر الإرهابي الصيلمي الأخير ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ﴾ [الروم:٤-٥] .

مقالة: كشف الأوراق الدَّجَّالية
أمرٌ يصعُب استيعابه

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما ترى جيلاً أو بعض جيل يملأ المرحلة ضجيجاً عن أمر سكت عن الإفصاح عنه سلفهم الصالح لسبب أو آخر، وتراهم يُعبرون عن استيائهم وغضبهم من وجهة نظر آخرين تهيأ لهم في ظروف المسيرة التاريخية كشف بعض الحوادث والنيل من عناصر قيامها سلباً وإيجاباً، ويعتقدون أنهم قد وقفوا بهذه الإشكالات على أمر خطير في تاريخ آل البيت يجب الحديث عنه والتناول لتفصيلاته اقتداءً ببعض المدارس المتحدثة عن تاريخهم وأحوالهم إذ هي – أي: هذه المدارس – تمثل الدفاع الصحيح عن المظلومين في نشراتها وكتبها وحديث علمائها ومشايخها، حتى صارت بذلك هدفاً وغرضاً لدى أعداء آل البيت..

إذاً والحال كذلك فالظاهرة العجيبة أن أبناء النمط الأوسط وذراري آل البيت من مدارس الإسلام المتنوعة في غمرة الأحداث والتحولات لا يجدون لهم موقعاً من الحياة يذكرهم بخير ويدافع عنهم وعن مواقف آبائهم، ما سوى هذه المدارس المعروفة في المرحلة.. بل حتى مدرسة السلف الصالح لآل البيت من ذرية الإمام المهاجر والفقيه لم تَعُد ذات صدى مفيد ولا أثر جديد في نفوس الأبناء والأحفاد الذين أخذهم صوت كل جديد.. وصاروا يتنصلون عن تاريخهم ويعملون بعلم وبغير علم على التخلص من مفهوم الولاء والارتباط والالتزام بما كان عليه آباؤهم وأسلافهم، واستبدال ذلك بالسؤال الملح عن أسباب جبن السلف وانسحابهم من معركة المواجهة لقتلة الأطهار.

ولم تأت هذه الظاهرةُ المتناولةُ قضيةَ آل البيت إلا خلفاً لمرحلة سبقتها، كان فيها العديد من ذات الفصائل قد اشتغلة برهة من الزمن بعد انتهائها بمدارس القبض والنقض القائمة على التكفير والتشريك والتبديع

لآبائهـم وأسـلافهم، وانطـوى العديـد من مثل هـؤلاء في هـذه الجماعات والجمعيـات والتيـارات والأحـزاب يحاكمـون مـن سـبق، ويتحـدّون من يتحدث باسـمهم من حملة النهج المذهبي والصوفي المتوارث.. وضاقت الأرض بمـا رحبت على أتباع المدرسـة التقليدية وهـم يعانون الأمرَّيْنِ من أبنـاء جلدتهـم، ممن يطالبونهم حيناً بتجديد الإسـلام وتطهيـر التوحيد من شـبهات الضلالات والتقاليد، وحيناً برفض الإسـلام كله من عصر الخلافة إلى اليوم، واحتضان ما يُسمى بمذهب آل البيت، المذهب القائم على هدم التاريـخ وتكفير الصحابة ولعن بعضهم والغلو في ذوات العترة بما لم يُنْزِل به الله من سلطان..

ولا زلنا ننتظر المزيد والمزيد من تسويق هذه المتناقضات، وترويج فقه التناقضات، وانخراط أشباهنا وأمثالنا في أعاصير هذه التحولات بوعي وبغير وعي.

وأعتقد أنَّ الوقت قد حان لكشـف قناع الزيف المركب، والإجابة العمليـة لكافة المغرر بهم من أبنائنا في الاتجاهـات والأطراف المتناقضة، بمن فيهم أتباع المدارس التقليدية، حيث سيجد هؤلاء فيما سنتناوله صدمة كبـرى لعقولهـم، وربما لم يُدركـوا حجم الخطورة في التعبيـر عنها إلا بعد سـماعها أو قراءتها.. لأنها ليسـت مـن جنس ما يتصـورون، ولا من فقه ما يتعلمـون، ولا مـن المواقف المذهبيـة والطائفية و العرقيـة والقومية، وإنما مـن مواقف الدين ذاته.. وهو الدين المغيَّب عن مسـرح الصراع والتناول.. إنه الكشف الذي قال فيه أبو هريرة: (لو بثثتُه لقطع مني هذا الحلقوم)، وهو العلم الذي قال فيه الإمام علي زين العابدين:

إني لأكتم من علمي جواهره   كي لا يرى ذاك ذوجهلٍ فَيَفْتَتِنَا

إنـه علم التحولات المتمثل في العلم بعلامات السـاعة والفتن المضِلَّة.. وسكوتنا عن كثير من الأمور فيه رفق بالأمة ورفق بالمتصارعين من الفئات

المسلمة والمستسلمة، وخاصة في تعيين أقماع الفتن في كِلا الأطراف.. لأن الضابط الشرعي يدفع الأقماع في كل طرف سواءً كانوا يتكلمون باسم أهل السنة أو باسم التشيُّع والشيعة أو بأي اسم من الأسماء الأخرى.. فالتحريش والمنافسة لغة هلاك ودمار لا حل فيها ولا علاج من حيثما كان الناطق بها والمتبني لها.. بل هي جسر الشيطان والمختلفين..

إن قراءتنا لفقه التحولات أبرزت لنا موقع التسييس الدجالي تحت الأقبية المدافعة عن القرار وامتلاكه.. سواء كان المتحدثون عنه من أهل الحق أو من ظالميهم.. حيث إن السلامة في الأطراف تكمُن في تجنبنا المنافسة والتحريش ووسائلهما.. لأن الحق إذا شابه التنافس ثم التحريش خرج من دائرة الشرعية إلى طرفي الإفراط والتفريط..

فالحق في ذاته ناصع بنصاعة مصدره الأساسي، ولكن ضبابية الناقلين له والمتحدثين عنه قد يُضعف هذه النصاعة وقد يُسَيِّسُهَا وهذه إحدى ظواهر استتباع الأمم.. «أصابكم داء الأمم»، والكل يأبى أن يوصف بهذا الداء – ولو كان مصاباً – وهو ما سماه الرسول: «بحالقة الدين.. البغضاء والحسد». والبغضاء والحسد علة تفسد العلاقة بين حَمَلة الأمانة أنفسهم فضلاً عن غيرهم، وإذا ما وقع الفرد أو الجماعة في داء الأمم ترتب على هذا الوقوع جملةٌ من الممارسات والمواقف المعبرة باسم الطبع لا بضوابط الشرع.. وهنا تكمن بصمات المسيخ الدجال وإيحاءات الشيطان بعلم أو بدونه.

البناء الهرمي للحضارات الإنسانية
ودور الحضارة الإسلامية في إعادة الاعتبار
الشرعي إليها
مع إحياء مهمة المسلمين في المرحلة المعاصرة
لإفشال المشروع الأنوي المسيس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ومنه يستمد العون ويتحقق الحفظ والصون والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الخاتم الذي أتم الله به النعمة ووحد به الأمة ـ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠]

وعلى آله وأصحابه وأتباعه وعلى كل من أحيا منهج التفاؤل بين الشعوب إلى يوم الدين . وبعد .

تعتبر الحضارات الإنسانية من وجهة الدين الإسلامي الحنيف ، ركاما معرفيا وتراثيا ماديا جامداً ، لا روح فيه ولا حياة .. لأن أصل الحياة كلها .. ما نصت عليه الآية الكريمة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٨-٥٧] .

والمعلوم أن كافة حضارات الشعوب المشار إليها بمفهوم الإنسانية يقصد بها من وجهة نظر المدرسة الحديثة مدرسة الاستشراق[(١)] ما بناه وحققه الإنسان قبل أي تطور معرفي وتفعيل مادي لظواهر الحياة .. وهذه الرؤية يفسرها العلماء الماديون بظاهرة الديانة والتدين، بينما يفسر الدين الإسلامي ظاهرة التطور المادي ومنجزات العقل الإنساني على أنها ثمرة من ثمرات التفاعل بين مواهب المخلوق أمام موجودات الخالق، سواء كانت جارية على يد مسلم مؤمن بالله تعالى .. أو على يد كافر ملحد أو وثني جاحد .

(١) المقصود بالاستشراق اهتمام العالم الغربي بالعالم والشرقي ودراسة علمائه لعادات وتقاليد واعتقادات دول الشرق، وتفسرها تفسيراً يتناسب مع سياسة الاستعمار والحملات الصليبية.

فالإسلام يفسر التاريخ وحضاراته من حقيقة الإيمان بالخالق وتنفيذ أوامره .. بينما الكافر والملحد يفسر التاريخ وحضاراته بالتطور العقلاني للإنسان واستخدامه للوسائل وحسن تفاعله مع الظواهر، ولا مكان هنا لما وراء الطبيعة غير حركة القوانين ونواميس الحركة ذاتها ..

ومسميات الحضارات الإنسانية كما يقررها علماء التاريخ تنحصر في التالي : الحضارة الصينية والهندية والسومرية والأشورية والبابلية والفينيقية والمصرية القديمة والفارسية، ويليها في الترتيب التاريخي القديم الحضارة الإغريقية، بل تعتبر هي الوارثة للحضارات السابقة لأن الإغريق فلسفوا العلم وصاغوا له النظريات والفروض وبقيت مؤلفاتهم وكتبهم محفوظة في العصور اللاحقة إلى اليوم .

وتتركز هذه الحضارات بمجموعها على ما تفسره العقول البشرية وتكتشفه من أمور الحياة وما بعد الحياة .. ولا علاقة لها بمسألة الوحي والأنبياء والرسالات السماوية، بل يفسرها البعض منهم بأنها تصورات فكرية، واعتقادات عقلانية، تطورت بفعل الزمن إلى الخوف من المجهول ثم تأليهه وعبادته ..

وأكثر ما يتناوله الباحثون حول الحضارات مسألة التجارة والحروب والآثار والتفوق العلمي، من هندسة وتخطيط وتعدين وفلك ورياضيات ومعادلات جبرية وهندسية، ودراسة الطبائع والأمزجة والعناصر والطب البشري بأنواعه ..

وعرفت العديد من العواصم التاريخية مقرونة بهذا التطور الإنساني الهائل ..

ولما جاء الإسلام وامتدت حضارته الفكرية والمادية في كثير من البلاد حاول البعض أن يرضخوا الإسلام وحضارته إلى ذات النمط الإنساني المجرد .. فيحولون التاريخ المادي القديم إلى مادة معرفة وفكر وفلسفة

تؤثر على العقل الإسلامي وتعيد صياغته .

حتى إن حركة التدوين والاقتباس التي ظهرت في العصر العباسي فسرها الكثير بأنها قائمة على الفلسفة الإغريقية والسريانية والفارسية من خلال الترجمة الحرة لموروثات الحضارات السابقة، وأنشئ لمثل هذا الاقتباس العديد من دور المعرفة كبيت الحكمة ببغداد ، ودار الحكمة بالقاهرة ، وجامع القيروان بتونس، وجامع القرويين بالمغرب، والجامع الكبير بصنعاء ، وجامع قرطبة بالأندلس وغيرها .

والصحيح أن الإسلام وحضارته لم يتأثر بالحضارات الإنسانية السابقة، وإنما جاء مصححا لأبعادها المادية المجردة، وموازنا بين الروح والمادة ،ومعيدا شرعيا للاعتبارات العقلانية، مربوطة بالتوحيد للخالق، ومجردة عن النظر في المادة وظواهرها، إلا من حيث التفاعل العلمي والعقلي المشروع .. ولهذا استجابت المادة للعقل الإسلامي وتطورت بتطوره .

ولهذا برز في مجال الحضارة الإسلامية عشرات المفكرين والعلماء ورواد الفلسفة والطب والرياضيات والهندسة، مقرونة بإيمان هؤلاء المفكرين برسالة الإسلام الخالدة، وبهدي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، من أمثال ابن الهيثم والبيروني وابن سينا والخوارزمي والكندي والطوسي وابن حيان وابن خلدون وعشرات من حملة الوعي الإسلامي المتطور .

ولولا هؤلاء العلماء لما كانت الحضارة الأوروبية المعاصرة موجودة أو حتى معلومة في تاريخ الحضارات، ولهذا قال بعضهم: (لا نبالغ إذا قلنا: إن أوروبا مدينة للعرب بخدمتهم العلمية .. تلك الخدمة التي كانت العاملَ الأكبرَ في النهضة العلمية الأوروبية في القرنين الثالث والرابع عشر) .

والعجيب أن رواد الفكر المادي في العالم شهدوا للإسلام دوره في نقل الحضارة كوسيط بين الإغريق والحياة الحديثة ، ولكنهم أغلفوا موقفه

الروحي ودعوته الإيمانية، وتجاوزوا دورها في إعادة الاعتبار الشرعي للدعوات الشرعية السابقة، وأغفلوا الحديث عن ذلك، ليستثمروا الإسلام ماديا، ويحاربونه روحيا وشرعياً، وهذا ما فعلوه ولا يزالوا يفعلونه.

وقد تأثر بلغتهم المادية جمهورٌ واسعٌ من طلاب المعرفة ورواد الدراسات التاريخية والاجتماعية والاقتصادية، ثم ما لبثت أقلامهم كعادتها أن نسبت كثيرا من ثمرات العلم التي جاءت على أيدي العلماء المسلمين إلى الحضارة الأوروبية دون إشارة إلى الرواد العرب والمسلمين الذين تكلموا عن التطور والجاذبية قبل داروين وديكارت وعن الدورة الدموية قبل هارفي .

فالإغفال المتعمد شمل التجاوز للجانبين الروحي الشرعي، وآثاره والمادي النظري وأسراره، ليوصف العرب والمسلمون في لاحق العصور بالشعوذة والتنجيم والخرافات والأساطير .. ثم ما لبثوا أن وصفوهم بالجهلة والبرابرة والقتلة والكهنوت، ثم جاء العصر الأخير ليصفوا الإسلام بالتطرف والإرهاب ودمار الشعوب ..

إن دراسة الظواهر بكافة أحوالها مسألة هامة لتحديد مسار الظاهرة وحدوثها وآثار مسيرتها من كل الوجوه .. فظاهرة التعدي على الإسلام والتحدي له مسألة قائمة منذ عصر البعثة إلى الهجرة إلى وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .. إلا أن قوة الدعوة ومشروعية مظهرها الإيجابي أخمد أصوات الشر وأضعف قدراتها.

وبهذا المظهر الإسلامي الإيجابي عبرت الحضارة الإسلامية عن نفسها ورسمت خطوط السلام والأمان والرحمة والمحبة والإخاء بين الشعوب، وفتحت أبواب العلوم ودراسة الحضارات وتقييمها، وإدانة الفاسد منها، وإحياء ما يجب إحياؤه منها .. وحذرت الأتباع من أهل الإسلام من مغبة الاستتباع الأهوج للأمم السالفة .. حملة الحضارة المادية المجردة.

وأشار معلم الأمة وداعيها إلى تحرر العقل من عبادة المادة والهوى والنفس والشيطان إلى عبادة الله، وأن هذا المبدأ هو مبدأ الأنبياء عليهم السلام عبر تاريخ الأمم والحضارات ، وأن كل أمة مهما عظمت آثارها وحضارتها إنما يشهد لها بالسلامة أو العكس من خلال مواقفها من دعوات الأنبياء، والأنبياء عليهم السلام هم حَمَلَةُ الأمانة الشرعية بين الشعوب، والدَّاعُون لها.

وما من نبي إلا وكانت له مع الكفر وحَمَلة منهجه الظلماني مواقف، وربما طغى الكفر بظلمانيته في بعض المراحل والأزمنة ليجهض الديانة الشرعية أو يطمسها أو يفرغها من داخلها، ويستثمرها لصالح الدجل والشيطان، وهذا كتاب الله العظيم بين أيدينا أعظم شاهد على دور الكفر والكفرة من حماة الحضارات الإنسانية المجردة ضد الديانات الشرعية في عموم مسيرة التاريخ الإنساني .

ولأن الأمر خطير في تقرير حقائق المصير الإنساني فالإسلام وأهله مسؤولون أمام الله أشد المسؤولية مع كل عصر وزمن ومرحلة لإقامة منهج العدل وحمايته، وإيضاح العلاقة بين مفهوم الحضارة الإنسانية المجردة والحضارة الإنسانية المرتبطة بالشرائع السماوية، ودور الإسلام في إعادة الوجه الشرعي للقراءات الحضارية في تاريخ الأمم السالفة وما يترتب على هذا المفهوم من ضوابط حوار الحضارات وتقارب الأديان التي تلوح بها قوى التأثير العولمي في المرحلة المعاصرة .. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى ما يجب ترسيخه لدى شباب المسلمين ودارسيهم من تصحيح مفهوم القراءة لمدلول الحضارات وضوابط هذه القراءة، بحيث يتفهم الجيل موقع الإسلام الحضاري وتفرده الإيجابي في الأطروحات التاريخية، وعلاجه الناجع أمام فشل كافة المفاهيم المادية المجزأة، سواء المفاهيم المعاصرة القائمة على العقل المجرد، أو المفاهيم القديمة ذات

الارتباط بالحضارات الإغريقية والهندية والسومرية وغيرها.

فللإسلام قراءتُه الحضاريةُ المتميزةُ، وله موقعه التاريخي الجامع بين تفعيل العقل الإنساني وثمراته وبين توحيد الخالق وتسخيره لما في العالم الكوني لبني الإنسان وفق المنهج السماوي القائم على الرسالات الشرعية.

والله الموفق..

خاتمة المقالات

لَوَامِعُ المَرْصَدْ   نُصُوصُهَا تَشْهَدْ
بِأَنَّ مَا فِيهَا   مَا قَالَهُ أَحْمَدْ
عَنْ مَظْهَرِ التَّغْيِيرْ   فِي عَصْرِنَا المُوصَدْ
وَعِلْمُهُ دِينٌ   مُوَصَّلٌ مُسْنَدْ
بِرَابِعِ الأَرْكَانْ   مِنْ فِقْهِ طَهَ الجَدْ
فَاقْرَأْ بِتَحْقِيقٍ   يَبْدُو لَكَ المَشْهَدْ

الفهرس